غير مرخصة للطباعة

المحـور التاسع

الشِّعر والأدب والحوار

١٥٤

نـحـن والـغـرب

أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩، ٢٠].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٥

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كُلُّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه، كمثل البهيمة تُنْتَجُ البهيمةَ، هل ترى فيها جَدْعاء؟!**» مُتَّفق عليه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ: «**أُعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطَهُورًا، فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركته الصلاةُ، فليصلِّ، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى النَّاس عامَّة**» مُتَّفق عليه.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالَمِين، والصلاة والسلام على محمَّد خاتم النبيِّين، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين، ومن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فهذه مجموعة من الحوارات بيننا وبين الغرب، ظهرت في صورة أسئلة محرجة، أو شائكة، رددتُ عليها بأجوبة بَيِّنة، بل حاسمة، سَمَّيْناها: «نحن والغرب»، ولا بدَّ لنا أن نُحَدِّد: من نحن؟ أو ما نحن؟ ومن الغرب؟ أو ما الغرب الَّذي يحاورنا ونحاوره؟

و«الغرب» في اللُّغة هو: الجهة الَّتي تغرب فيها الشمس، والبلاد الواقعة فيها، مقابل «الشرق» وهو الجهة الَّتي تشرق منها الشمس، والبلاد الواقعة فيها، وقد يُعَبَّر عنهما بـ «المشرق» و«المغرب»، وفي القرآن: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

والغرب والشرق أمرٌ نسبيٌّ، فكلُّ بلدٍ وكلُّ مكان له غربه وشرقه. ووطننا العربي مُقَسَّم إلى: شرقٍ وغرب، وقد اصطلح على أنَّ الغرب يبدأ من ليبيا إلى موريتانيا مرورًا بتونس والجزائر والمغرب الأقصى،

QaradawiBooks.com

وحين قسَّم النَّاس الكُرَة الأرضيَّة إلى شرقٍ وغرب، اضطرُّوا أن يُقَسِّموا الشرق إلى أقسام بحسَبِ موقعه، فهناك شرقٌ أقصى، وهناك شرقٌ أوسط، وهناك شرقٌ أدنى.

وقد اصطلح النَّاس على أنَّ الغرب هو أوربا وأمريكا، أمَّا آسيا وأفريقيا فهما شرق، وإن كان من أهل أفريقيا من يريد أن يُلْحِقَ نفسه بالغرب، كما ذكر د. طه حسين، في كتابه «مستقبل الثقافة»: أنَّ مصر إلى اليونان وإيطاليا وفرنسا أقرب منها إلى الهند والصين واليابان[1]. وكما ينادي بذلك كثيرون في شمال أفريقيا من دعاة الفرانكفونيَّة ومن دار في فَلَكهم.

هذا إذا نظرنا إلى الشرق والغرب من الناحية الجغرافيَّة، ولكنَّ الأهمَّ والأخطر من ذلك: هو الشرق والغرب من الناحية الثقافيَّة والحضاريَّة، وهي الناحية الَّتي لأجلها حدث الصراع، ووقعت الحروب طَوَال التاريخ، وإن كان أغلب ما دارت رحَى الصراع كان بين الغرب والشرق الأوسط «الكبير» كما يُسَمُّونه اليوم.

كانت قيادة عجلة الحضارة لقرونٍ طويلة في يد الشرق، حين ظهور الحضارات الشرقيَّة القديمة العريقة: الفينيقيَّة والفرعونيَّة والآشوريَّة والبابليَّة والفارسيَّة والهنديَّة والصينيَّة... وكان الشرق هو مصدر المعرفة والمدنيَّة والصناعة والرُّقِيِّ.

ثُمَّ انتقلت العجلة إلى الغرب لعدَّة قرون، حين ظهرت فلسفة اليونان، ومدنيَّة الرومان، وبرزت الدولة الرُّومانيَّة، وغزت أقطارًا كثيرة من الشرق، وتركت آثارها في بلاد شتَّى.

(١) مستقبل الثقافة العربية في مصر لطه حسين صـ ٢١ وما بعدها، نشر دار المعرفة، ط ٢، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ثم عادت عجلة القيادة الحضاريَّة إلى الشـرق مـرَّة أخرى على يد الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، الَّتي قادت الدُّنيا بزمام الدِّين، وأقامت مدينة العلم والإيمان، وأنشـأت حضارة ربَّانيَّة إنسـانيَّة أخلاقيَّة عالميَّة، ظلَّ العالم يتعلَّم منها، ويأخذ عنها حوالَيْ ثمانيةِ قرون، وقد ظهر لها فرع في الغرب في الأندلس أضاء نوره في أوربا واقتبس منه كثيرون من أبنائها.

ونام المسلمون وتخلَّفوا، واسـتيقظ الغربيُّون وتقدَّموا، وكان لا بدَّ لمن جدَّ أنْ يَجِد، ولمن زرع أنْ يحصُـد، وأنْ يقبض الغرب على زِمام الحضارة، ويُهَيْمن على العالـم بخبرته العلميَّـة، وبقُدْرَتِه الاقتصاديَّة، وبقوَّتِه العسكريَّة، وبقينا نحن معدودين في «العالم الثالث» أو في «البلاد النامية» أو في بلاد «الجنوب» العاجز المُتَخَلِّف الفقير.

ومنذ ظهر الإسلام قُدِّر له أنْ يصطدم بالغرب الَّذي كان يُمَثِّله هرقل إمبراطور الدولة الرُّومانيَّة «البيزنطيَّة» والَّذي أرسـل إليه الرسول الكريم رسالة يدعوه فيها إلى الإسـلام، وختمها بالآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولم يسـتجبْ هِرَقْل للدعوة، رغم إيمانه في قرارة نفسـه بأحقيَّتها وصدق صاحبها، وصمَّم على المواجهة، وبدأ أتباعه بقتل بعض الدُّعاة، وكان لا بدَّ من الصدام، وإن كانت القوى العسكريَّة غير متكافئة، فكانت سَرِيَّة مُؤْتة، وكانت غزوة تبوك في العهد النبوي.

وفي عهد أبي بكرٍ اسـتمرَّت المواجهة، وكانـت موقعة «اليرموك» الشهيرة، وفتح بلاد الشـام وفِلَسْطِين، ثُمَّ مصر وشـمال أفريقيا، وهذه

QaradawiBooks.com

الفتوح والانتصارات كلُّها على حساب إمبراطوريَّة الروم البيزنطيَّة، وقد أصبحت هذه البلاد جزءًا أصيلًا وعزيزًا من قلب ديار الإسلام، وقد كانت من قبل نصرانيَّة الديانة.

وكثيرًا ما مرَّت فترات طويلة من السلام والسكون والمهادنة بين الطرفين، لا يعكرها إلَّا بعض المناوشات على الحدود.

ولكن الحدث الكبير الَّذي حرَّك السواكن، وهيَّج الكوامن، وأثار الشجون، هو الحروب الَّتي بدأها الغرب بحملات متتالية للهجوم على الشَّرْق الإسلامي، مُسْتَغِلِّين ما أصاب أهله من فُرقة وتشرذم، نتيجة لما أصابهم من جهلٍ وغفلة، ومن انحرافٍ دينيٍّ، وفسادٍ أخلاقي، فكانت الحروب الشهيرة الَّتي عرفت عند مؤرِّخي المسلمين باسم «حروب الفرنجة» وعند الغربيِّين باسم «الحروب الصليبيَّة»!

وقد وقع من الغربيِّين في هذه الحروب من سفك الدماء، وهتك الأعراض، واستباحة المُقدَّسات والمحرمات، ما يندى له الجبين، وما تقشعر من ذكره الجلود، ولا سيَّما في معركة الاستيلاء على بيت المقدس، الَّتي جرت فيها الدماء للركب حقيقة لا مجازًا!

وانتهت هذه الحروب المؤسفة بانتصار المسلمين في النهاية، واستردادهم بلادهم، ورد الغزاة الطغاة على أعقابهم، بعد معارك حاسمة في حِطِّين وفتح بيت المقدس ودِمْياط والمنصورة، وغيرها. وقد بقيت في النفوس مرارات لا تزول بسهولة.

ثم جاء عصر الاستعمار، ودخل الغرب بلاد الإسلام مرَّة أخرى، أخذًا بثأره من نكسة الحروب الصليبيَّة القديمة، فقال قائدهم الإنجليزي

QaradawiBooks.com

«اللنبي» الَّذي دخل القدس سنة ١٩١٧م: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة! وقال القائد الفرنسي «غورو» أمام قبر صلاح الدِّين في دمشق: ها قد عدنا يا صلاح الدين!

وبدخول عصر الاستعمار، عاد الصراع إلى أشده، فإنَّ بلاد الإسلام رفضت الاستعمار، وقاومته شعوبه كلٌّ بمفرده، وكان هذا سرُّ ضعفها، فلم تقابله كتلة واحدة، بل فرادى مبعثرين، مع حالة الضعف والعجز والخلل والتخلُّف الَّتي كانت عليها الأُمَّة، وأعتقدُ أن حالة الضعف والعجز والخلل والتخلُّف هذه هي الَّتي سمَّاها مالك بن نبي «القابليَّة للاستعمار»، وإن كان في النفس من هذه التسمية شيء؛ لأنَّها توحي بقبول الاستعمار والرِّضا عنه، والتهيُّؤ له، ولا أحسب هذا مقبولًا ولا صحيحًا بحال، وإنَّما هو الفساد والاختلال الَّذي يمهد للغزو والاحتلال، كما أشارت إلى ذلك أوائل سورة الإسراء، حين أفسد بنو إسرائيل في الأرض، فسلَّط الله عليهم من يجوس خلال ديارهم، ويُتَبِّرون ما عَلَوا تتبيرًا.

لقد قاومت بلادُ الإسلام الاستعمارَ، لما يفرضه عليها دِينُها ـ فرض عين ـ من مقاومة الغزاة المحتلِّين بكلِّ ما لديهم من قُوَّة، ولكنَّ الاستعمار كان له الغلبة وَفْق سنن الله: أنْ ينتصر العلمُ على الجهل، والنظامُ على الفوضى، والقدرةُ على العجز، والاتِّحاد على التَّفَرُّق، والتقدُّم على التخلُّف، والقوَّة على الضعف.

ولكن الهزيمة الأولى لم تَكْسِر الإرادة نهائيًّا، فظلَّت الأُمَّة تتربَّص وتنتهز الفرصة، وظلَّ الرُّوَّاد والأبطال يوقظونها، ويُعِدُّونها لليوم الموعود، حتَّى تحرَّرت من الاستعمار، وكان آخرها الجزائر الَّتي ظلَّت

QaradawiBooks.com

تحت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني قرنًا وثلثًا من الزمان، ثمَّ عزمت على أنْ تتحرَّر، ودفعت الثمن غاليًا: مليونًا أو أكثر من الشهداء، وعادت الجزائر عربيَّة مُسْلِمة، بعد أنْ أرادوا أن يُفقدوها هُوِيَّتَها بالفرنسة، حتَّى تنسى دِينَها ولُغَتَها، حتَّى كانت الأنشودة الجزائريَّة الشعبيَّة بعد التحرير:

يا محمَّد مبروك عليك! الجزائر رجعت إليك!

ولكن الاستعمار قبل أن يرحل عن بلاد المسلمين، لم يتركها سالمة، بل إنَّه زرع فيها أمرين خطيرين:

الأوَّل: أنَّه زرع فيها شجرة شيطانيَّة، لا تزال تُنْبِتُ الشرَّ والفساد، ألا وهي إسرائيل، الَّتي انتزعت من بين ضلوعنا قطعةً من لحمنا ودمنا، وغرست في صدورنا خنجرًا لا زال جرحه يدمي، وأدخلت ضمن وطننا العربي المسلم، عدوًّا يتربَّص بنا الدوائر، ويكيد لنا المكايد، ولا يبني نفسه إلَّا على أنقاضنا، ولا يحيا إلَّا بموتنا، ولا ينتصر إلَّا بهزيمتنا، ولا تقرُّ له عينٌ إلَّا بتركيعنا وتطويعنا و«تطبيعنا»!

والثاني: أنَّه حين دخل بلادَنا لم يكن همُّه الاستعمارَ العسكريَّ وحده، كما فعل الصليبيُّون، بل خطَّط لانتصارٍ ثقافيٍّ وتعليميٍّ وتشريعيٍّ واجتماعيٍّ، يُغَيِّر به البلاد من داخلها، ونجح في ذلك إلى حدٍّ كبير، ووجد من أبناء المسلمين دُعاة صرحاء إلى تغريب أُمَّتهم، والسير وراء الغرب شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، واطمأنَّ الغرب عامَّة إلى أن غرسه لم يذهب سُدًى.

وفي وقتٍ من الأوقات، ظنَّ كثيرون أنَّ رياح الأطماع قد سكنت، وأنَّ نيران الأحقاد قد خمدت، وأنَّ موجات المخاوف قد ركدت، وأنَّ

QaradawiBooks.com

العلاقات يمكن أنْ تتوطَّد؛ فلا أطماع ولا مخاوف ولا أحقاد، وخصوصًا بعد أنْ ولَّى عصر الاستعمار، ولا سيَّما أنَّ الغرب احتاج إلى أبناء المسلمين ليعملوا عنده، ففتح باب الهجرة إليه، فهاجرت ملايين من أبناء الشمال الأفريقي، وخصوصًا إلى فرنسا، ومن أبناء تركيا، وخصوصًا إلى ألمانيا، ومن أبناء الهند وباكستان، وخصوصًا إلى بريطانيا.

كما احتاج المسلمون إلى الغرب ليأخذوا منه العلم في مختلف ميادينه، فأرسلوا الألوف، بل عشرات الألوف من أبنائهم في كلِّ اختصاص، ورأى الغرب أنْ يستفيد من ذلك، فاجتذب إليه من هؤلاء أذكاهم وأنبغهم، فاستبقاهم عنده، وحرمت منهم ديارهم الأصليَّة.

وشاء الله أن تقوم في بلاد الإسلام صحوة إسلاميَّة هائلة، لم يحسب أحد لها حسابًا، وهذا من عجائب هذا الدِّين، وقد أشار إلى ذلك «جب» في بعض كتبه بأنَّها تشبه «الانفجار» الَّذي لم يتوقَّعه أحد، قامت بعد أنْ ضربت الحركات الإسلاميَّة ضربات وحشيَّة موجعة، بل حسبها بعضهم قاتلة، ولكن رُبَّ ضارَّة نافعة، فقد نبَّهت هذه المحنُ الغافلين، وأيقظت النائمين، وحرَّكت الساكنين، وظهرت في كلِّ بلاد العرب والمسلمين صحوة شاملة، كانت صحوةَ عقولٍ وأفكار، وكانت صحوةَ قلوبٍ ومشاعر، وكانت صحوةَ إراداتٍ وعزائم، وكانت صحوةَ التزامٍ وسلوك، وكانت صحوة أخلاقٍ وفضائل، وكانت صحوةَ نشاطٍ وإبداع، وكانت صحوةَ دعوةٍ وجهاد.

برزت هذه الصحوة في بلاد العرب، وفي العالم الإسلامي، وفي خارج العالم الإسلامي حيث يعيش المسلمون أقلِّيَّات بين ظهرانَيْ مجتمعات غير مسلمة.

QaradawiBooks.com

وتجلَّى أثر هــذه الصحوة في كلِّ صعيد: الصعيــد الثقافي (المكتبة الإســلاميَّة)، والصعيد الاجتماعــي (الحجاب)، والصعيــد الاقتصادي (البنوك الإسلاميَّة)، والصعيد الجهادي (أفغانستان وفِلَسْطِين)، والصعيد السياســي (التنادي بتطبيق الشــريعة) والتنادي بـ «التضامن الإسلامي» طريقًا إلى الوحدة الإسلاميَّة.

وأزعجت هــذه الصحوة الغرب عامَّة، وأمريــكا خاصَّة، فرصدت مئات الملايين، وجنَّدت رجالها المدرَّبين، واســتعانت بالعملاء من بيننا والخائنين، لمحاصرة هذه الظاهرة الإسلاميَّة الَّتي فاجأت الجميع، بعد دراستها والإحاطة بأســبابها ومحركاتها وغاياتها، وعوامل قوَّتها وعوامل ضعفها.

وفي هذه الفترة سقط أحد القطبَيْن العظيمين المتنافسين على سيادة العالم: الاتِّحاد السوفيتي؛ وكان من أسباب سقوطه حرب أفغانستان الَّتي ساهم المسلمون فيها بالنصيب الأكبر، فقدموا خدمة مجانية للغرب، لم يقابلها بالاعتراف والشــكران، بل قابلها بترشيح «الإسلام عدوًّا» بديلًا للاتِّحاد السوفيتي.

وكتب المُفكِّرون الإستراتيجيُّون مثل: فوكاياما وهنتنغتون وغيرهما، محذِّرين من خطر الحضارة الإســلاميَّة «الناشزة» الَّتي يصعب تطويعها، ولا سيَّما إذا اتَّفقت وتقاربت مع الحضارة الكونفوشيوسيَّة (الصينيَّة).

وبدأ التحذير من «الخطر الأخضر» يعنون «الخطر الإسلامي» الَّذي بالغوا في تضخيمه وتهديده للعالم، بعد أن تقاربوا مع «الخطر الأصفر» أي الخطر الصيني، وبعد سقوط الخطر الأحمر (الروسي).

QaradawiBooks.com

ومن الإنصاف أن نقول: إنَّ بعض الأكاديميِّين المُنْصِفين رفضوا هذا التهويل، وأثبتوا أنَّ الإسـلام ليس خطرًا مَخُوفًا كمـا يقال. ومن هؤلاء البرفسور إسبوزيتو المعروف الَّذي كتب في ذلك كتابًا «الخطر الإسلامي: حقيقة أم أسطورة؟!».

وكانت أمريكا تُعِدُّ العُدَّة لتقوم بأدوار جديدة في الشرق الأوسط، أو قلْ بصريح العبارة: في بلاد الإسلام. فكانت حربُ الخليج الأولى، الَّتي دفعت بها «صدَّامًا» للاعتداء على إيران. ثمَّ كانت حرب الخليج الثانية، الَّتي دفعت فيها «صدَّامًا» أيضًا بطريق خَفِيٍّ إلى غزو الكويت.

وكان ذلك كلُّه مقدِّمةً لغزو العراق، والدخول العسكري إلى المنطقة، والتحكُّم فيها بيد من حديد، ومحاولة تغييرها من داخلها تغييرًا جذريًّا، تغييرًا يشـمل التعليم والثقافة والإعلام، بحيـث تتدخل أمريكا في كل شيء، جهرة حينًا، ومن وراء ستار أحيانًا.

ولم تعد تحتاج إلى لبس الأقنعة الَّتي تخفـي وجوهها، بل رأيناها بأعين رؤوسـنا تعمل على المكشـوف، وتدسُّ أصابعها في كلِّ شيء، حتَّى في تعليم الدين، تعليم العقائد والفقه والتفسير والحديث وغيرها.

وكانت أحداث ١١ سـبتمبر ٢٠٠١م من أبرز الأسـباب الَّتي أعطت أمريكا المُبَرِّر لهذا التدخُّل السـافر، وإن كان العارفون يعلمون أنَّ هذه السياسة قد رُسِمَت من قبل، وأنَّ هناك وثائق وتقارير معروفةً قد دلَّت على ذلك بوضوح.

شنَّت أمريكا حربًا كونيَّة كُبْرى على «الإرهاب» فيما زعمت، ولكنَّ الدلائل كُلَّها تنطق بأنَّ هذه الحرب إنَّما هي على الإسلام وأُمَّتِه وأوطانه،

QaradawiBooks.com

بهدف الاستيلاء على كلِّ مُقدَّرات هذه الأُمَّة، والتمكُّن منها، والدخول إلى أعماقها، والتحكُّم في مسيرتها، حتَّى تُملي عليها كيف تُفَكِّر إذا فَكَّرت، وكيف تتكلَّم إذا تكلَّمت، وكيف تعمل إذا عملت. فهي ترسم لها طريق التفكير، وطريق التدبير، وطريقة التنفيذ، بل تعلِّمها كيف تتديَّن، وكيف تفهم دِينَها، وكيف تمارس الدِّين في حياتها، بل أعلنوا بصراحة أنَّهم يريدون أنْ يصوغوا للمسلمين دينَهم من جديد. أي صناعة «إسلام أمريكاني» بدل «الإسلام القرآني» أو «المحمَّدي».

ولقد قال بوش في أوَّل الأمر: إنَّ هذه الحربَ حربٌ صليبيَّة طويلة الأمد، ونبَّهه خبراؤه إلى خطورة هذه الكلمة، ومدى أثرها على عقول المسلمين ونفوسهم، وما لها من إيحاءات تاريخيَّة، فاعتذر عنها، وقال من قال: إنَّها زلَّة لسان، وزلَّات اللسان إنَّما تعبر عن مكنون نفس الإنسان.

ولقد قال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: غِشُّ القلوب يظهر على صفحات الوجوه وفلتات الألسن! ثمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠][1].

بعد الحادي عشر من سبتمبر شُنَّت حملةٌ إعلاميَّة ضخمة على الإسلام، بجوار الحملة العسكريَّة، واعتبر الإسلام مصدر الإرهاب والعنف في العالم. وأصبح المسلمون يواجهون أسئلة شتَّى من الغربيِّين في كلِّ مكان، تَكِيل التُّهم للإسلام ولكتابه ونبيِّه وشريعته وحضارته وتاريخه وأُمَّته كيلًا جُزَافًا.

(١) انظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني (٦٧/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ووُجِّهت إليَّ بصفة خاصَّة عشراتٌ من هذه الأسئلة من هنا وهناك، من المخلصين من المسلمين يَطلبون الإجابة عنها، بدل أن يَرُدَّ على هذه الأسئلة العاجزون الَّذين يُسيئون بإجابتهم أكثر ممَّا يُحسِنُون.

جاءتني أسـئلة من رئيس البنك الإسـلامي للتنمية د. أحمد محمَّد علي، أرسـلها إليه عدد من الإخوة العاملين في مجال العمل الإسلامي بالولايات المتَّحِدة الأمريكيَّة وجاءتني أسـئلة مـن بعض الإخوة الَّذين يعيشـون في الغرب، منهم أخونا ثابت عيد في سويسرا، ومنهم إخواننا في «ائتلاف الخير» من لندن، وجاءتني أسئلةٌ من بعض الصحف العربيَّة. وحاورت بعض الصحفيِّين من أمريكا وإنجلترا وألمانيا[1].

ورأيت أن أجمع ذلك كلَّه بعضَه إلى بعضٍ لأُقدِّمه للقارئ الكريم، ليعرف عن بيِّنة: موقفنا من الغرب وموقف الغرب منَّا، على ضوء هدي القرآن وهدي السُّـنَّة، وتوجُّهات هذا الدِّين العظيم، ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ [الأنفـال: ٤٢]. وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفقير إلى عفو ربِّه

يوسف القرضاوي

الدوحة في ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ

٢ يونيو ٢٠٠٥م

(١) لا شك أنَّ القارئ سيلحظ تكرار كثير من الأسئلة، لأن موضوعها يشغل الجميع هنا وهناك. ولذا حرصنا أن نجيب عليها بالتفصيل في أول الأمـر، ثم نجيب باختصار بعد ذلك على الأسئلة المكررة، ونحيل إلى الرجوع إلى ما مضى.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

أسئلة من أمريكا

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

كنتُ قد تلقَّيتُ رسالة من الأخ الصديق الدكتور أحمد محمَّد علي رئيس البنك الإسلامي للتنمية بجُدَّة، حول عدد من الاتِّهامات والشُّبُهات الَّتي يثيرها الإعلام الأمريكي ضدَّ رسالة الإسلام وحضارته وأُمَّته، وكانت هذه الأسئلة قد أرسلها إلى رئيس البنك عدد من الإخوة العاملين في مجال العمل الإسلامي بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة ومنهم:

١ ـ الدكتور جمال برزنجي، نائب رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في ولاية فيرجينيا.

٢ ـ الدكتور طه جابر العلواني، رئيس جامعة العلوم الإسلاميَّة والاجتماعيَّة في ولاية فيرجينيا.

٣ ـ الدكتور نهاد عوض، المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الإسلاميَّة الأمريكيَّة (كير) في واشنطن.

وكان سبب هذه الأسئلة: ما أقامه الصهاينة ومؤيِّدوهم في الولايات المتَّحِدة من حملةٍ مسعورة، لا على بلدٍ بعينه من بلاد الإسلام، ولكن ضدَّ الإسلام ذاته بوصفه دينًا وعقيدة، وأخذت الأوساط الصهيونيَّة تبثُّ الخوف والذُّعْر من الإسلام بين المسؤولين في الإدارة الأمريكيَّة والكونجرس ووسائل الإعلام، وخصوصًا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م،

غير مرخصة للطباعة

وقد عمدوا في حملتهم هذه إلى تحريف معاني بعض الآيات القرآنيَّة، وإخراجها عن سياقها، ووضعها في غير موضعها، ممَّا أدَّى إلى أن أدارت الإدارة الأمريكيَّة ظهرها تمامًا لقيادات الهيئات والمؤسَّسات الإسلاميَّة الأمريكيَّة، وقطعت كلَّ صلاتها بهم، وأصبحت القيادات الإسلاميَّة تشعر أنَّ علاقتها بالإدارة الأمريكيَّة تمرُّ بأسوأ حالاتها، وأحلك أوقاتها.

وقد أشرت على الأخ الصديق الدكتور أحمد محمَّد علي، بأن يرسل هذه الاتِّهامات والشُّبهات إلى عددٍ من الأخوة العلماء والمُفَكِّرين المسلمين الثقات، الَّذين جمعوا بين التمكُّن من الثقافة الإسلاميَّة والاطِّلاع على ثقافة العصر، على أن تكون الإجابة عن هذه الأسئلة إجابة علميَّة تخاطب العقل المعاصر، ثُمَّ تُكوَّن لجنة تأخذ أفضل ما في هذه الإجابات، وتُضَمُّ بعضُها إلى بعض، وتصدر في صورة رسالة البنك الإسلامي للتنمية.

ولم يسعني ـ رغم أعبائي الكثيرة ـ إلَّا أن أدلي بدلوي لأُميط اللثامَ عن هذه الشبهات الزائفة، والاتِّهامات الباطلة، الَّتي طالما رَدَدْنا عليها.

وكانت الشبهات الَّتي أثيرت حسَب ما ورد إليَّ من إدارة الأبحاث والدراسات والترجمة؛ التابعة لمجلس العلاقات الإسلاميَّة الأمريكيَّة (كير) على هذا النحو:

١ ـ شبهات حول علاقة المسلم بغير المسلم. وقد تضمَّنت هذه شبهات عدَّة منها: موالاة الأعداء ـ وبعبارة أخرى: موادَّة من حادَّ الله

QaradawiBooks.com

ورسوله ـ الجزية، تمييز أهل الذِّمَّة بزيٍّ خاصٍّ عن المسلمين، موقفنا من الأقلِّيَّات.

٢ ـ شبهات حول الإرهاب.

٣ ـ شبهات حول الرِّدَّة وعقوبة المرتدِّ.

٤ ـ شبهات حول المرأة في الإسلام.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١

حول علاقة المسلم بغير المسلم

إنَّ الإسلام قد حدَّد العلاقة مع غير المسلمين، في آيتين مُحْكَمَتَيْن من كتاب الله، تُعْتَبَران بمثابة الدستور في ذلك، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وهاتان الآيتان نزلتا في شأن المشركين عُبَّاد الأوثان من قريش وأمثالهم ـ وقد شرع البرَّ بالمسالمين منهم، والإقساط لهم، فاختار عنوان «البرِّ» لهم، وهو الَّذي يستعمله المسلمون في أقدس الحقوق، بعد حقِّ الله تعالى، وهو برُّ الوالدين.

حثَّ القرآن هنا على برِّهم والإقساط إليهم، والإقساط، أي العدل: أن يُعْطَوا حقوقَهم ولا يبخسوا شيئًا منها، والبرُّ: أن يُعْطَوْا فوق حقوقهم.

كما أنَّ الإقساط: أن تأخذ منهم الحقَّ الواجب عليهم، ولا تزيد عنه. أمَّا البرُّ فهو أن تتنازل لهم عن بعض حقِّكَ، اختيارًا وكرمًا.

وهذا في شأن الوثنيِّين، الَّذين نزلت بخصوصهم الآيتان الكريمتان.

ولكن الإسلام أفرد «أهل الكتاب»: بعنوان خاصٍّ، وبمعاملة خاصَّة، حتَّى أجاز مصاهرتهم والتزوُّج من نسائهم، ومعنى هذا أنَّه أجاز للمسلم

QaradawiBooks.com

أن تكون زوجته وشـريكة حياته وأمُّ أولاده كتابيَّةً (مسيحيَّة أو يهوديَّة). ومُقْتَضَى هـذا: أن يكـون أهلُها أصهـارَه، وهم كذلك أجـداد أولاده وجَدَّاتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وأولاد أخوالهم وخالاتهم، وهؤلاء لهم حقوق «أولي الأرحام، وذوي القُرْبى».

كما أنَّ الإسلام اعتبر النصارى أقرب مودَّة للمسلمين من غيرهم، يقـول تعالـى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، كما قال نبيُّ الإسلام أيضًا: «**أنا أولى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدُّنْيا والآخرة**»[(١)].

فهذا عن القسم المهادن المسـالم من أهل الكتاب، أمَّا من لم يسالِم المسـلمين، وأعان عليهم عدُوَّهم، وحـارب دينَهم بكلِّ سـلاحٍ مادِّيٍّ ومعنوي، فهنا ينهى الإسلام المسـلم أن يُهادنه أو يُسالمه؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنـة: ٩]. ولا يوجد قانون على وجه الأرض يأمر الإنسان أن يُحِبَّ ويُسالم من يُحاربه، وقد اشتهرت في تاريخ الإنسانيَّة حروب معنويَّة ومادِّيَّة بين أمم الأرض، والسبب في ذلك تجرُّؤ أُمَّة على أُمَّة، أو تجاوز أُمَّة الحدَّ مع الأُمَّة الأخرى، أو إعانة أُمَّة لعدوِّ أُمَّة أخرى، ولا يُنْكَر على أُمَّةٍ أن تُعادي من يُعاديها، ويظهر لها عداوته.

* * *

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣)، ومسـلم في الفضائل (٢٣٦٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢

موادَّة من حادَّ الله ورسوله

ومن النَّاس من اتَّخذ من قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، اتَّخذوا منها دليلًا على أنَّ الإسلام ينهى عن مودَّة المسلم لغير المسلم بصفة مطلقة، ويُؤَكِّدون ذلك بقوله تعالى في أوَّل سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾.

وأودُّ أن أبيِّن هنا: أنَّ آية المجادلة لا تنهى عن مودَّة من كان غير مسلم، ولو كان مُسالِمًا للمسلمين، بل تنهى عن موادَّة ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي حارب الله ورسوله وشاقَّ الله ورسوله، فهذا شخص مُعَادٍ للإسلام وأهله، فكيف يطلب من المسلم أن يُظْهِر له الوُدَّ والمَحَبَّة؟

ولو كانت مودَّة غير المسلم ممنوعة في الإسلام ما أجاز الشرع الإسلامي للمسلم أن يتزوَّج الكتابيَّة، والزوجيَّة في نظر الإسلام تقوم على أسسٍ وأركان، منها: المودَّة والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

QaradawiBooks.com

ولذا قال ابن عبَّاس: لا يجوز زواج الكتابيَّة إذا كانت من قوم معادين للمسلمين، واستدلَّ العلماء لقوله بهذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. والمفروض في الحياة الزوجيَّة ما أثبتته الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

فآية ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ تعني: الأعداء المحارِبين للمسلمين.

﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾:

يؤكِّد هذا آية الممتحنة: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ...﴾.

فالآية قد عبَّرت عنهم بأنَّهم أعداء الله، وأعداء المسلمين ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ وليس مقبولًا أن يُعادوا الله ورسوله والمؤمنين، ويقابل المسلمون معاداتهم بالولاء لهم، وإلقاء المودَّة إليهم.

وليس هذا لمجرَّد كفرهم بالإسلام، بل ضمُّوا إليه إيذاء المسلمين وحصارهم وتعذيبهم وفتنتهم في دِينِهم، حتَّى أخرجوهم من ديارهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا: ربُّنا الله. ولذا قالت الآية: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

وقد ذكرت السورةُ قاعدةً من أعظم قواعد السلوك والتعامل مع المخالفين، ولو كانوا أعداءً، وهي: أنَّ العداوة ليست أمرًا دائمًا وأبديًّا بالضرورة، فقد تستحيل العداوة إلى مودَّة، ودوام الحال من المحال، وهذا ما قرَّرته السورة بصيغة الرجاء، حيث قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]. أي: والله

QaradawiBooks.com

قديرٌ على تحويل القلوب من كراهيــة إلى مودَّة، والله غفور رحيم: يعفو عمَّا سلف، ويسامح عباده فيما مضى.

وأهمُّ من ذلك وأعظم ما قرَّرته الســورة من دســتور في معاملة غير المسلمين، سنتحدَّث عنه فيما بعد.

المقصود من آية: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾:

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ...﴾ يجب أن يفهم في ضوء السياق وأسباب النزول للآيات. فالآية الَّتي تليها تشير إلى أنَّ اليهود والنصارى كانوا معادين للمسلمين، وكانوا في حالة من القــوَّة والمنعة، بحيث أصبح كثيرٌ مــن المنافقين ومَرْضَى القلوب يحاولــون التقرُّب إليهــم، والموالاة لهم، على حســابِ دينِهم وأُمَّتِهم وجماعتهم، وهذا لا يُنازع مُنْصِفٌ في أنَّه خطرٌ على سيادة الأُمَّة ووَحْدَتها وتماسكها، ولا سيَّما في مرحلة تكوينها، وتأسيس بُنْيانها.

تقول الآية الكريمة التالية للآية المذكورة: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣].

فالواضح من هذه الآيــة الأخيرة: أنَّنــا أمام جماعة مــن المنافقين الانتهازيِّين المخادعيــن، الَّذين يخونون جماعتهــم، ويوالون أعداءها، ويحلفون لهم كاذبين: إنَّهم لمعهــم! ولذا يقول القرآن: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

QaradawiBooks.com

ولا غرو أنَّ من يُوالي الأعداء وينضمُّ إليهـم، ويلقي إليهم بالمودَّة على حساب أُمَّتِه؛ أمرٌ مُجَرَّم ومُحَرَّم وطنيًّا ودينيًّا، ولا سيَّما في أوقات الصراع والحروب، فهو في نظر الوطنيَّة خيانة، وهو في نظر الدِّين رِدَّة، وهي معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

ومن هنا جاءت الآيـة التالية تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

كأنَّ الآية تقول: إنَّ هؤلاء الَّذين خانوا قومَهم وانضمُّوا إلى أعدائهم، وارتدُّوا عن دِينِهم، سيُعَوِّض الله الأُمَّة خيرًا منهم، بجيلٍ جديدٍ أو أجيالٍ جديدة على نقيض هؤلاء.

فهذه الآيات ليسـت فـي مُطْلَق يهود ونصـارى عاديِّين مُسَـالِمِين للمسـلمين، بل في يهود ونصـارى معادين لهم، محاربيـن لدعوتهم، كاليهود الَّذين نقضوا عهد رسـول الله، وانضمُّوا إلى أعدائه من الوثنيِّين المشـركين، الَّذين أغاروا على المدينة، وأرادوا القضاء على الرسـول وأصحابه، واستئصال شأفة المسلمين، واقتلاع الإسلام من جذوره.

والآيات التالية في سـياق النهي عن الولاء لليهود والنصارى تؤكِّد ذلك، يقـول تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

فهؤلاء قومٌ أعلنوا الحرب على الإسـلام وأهلـه، وهزئوا بعقيدته، وهزئوا بشعائره، وأعظمها الصلاة، واتَّخذوها هُزُوًا ولعبًا.

QaradawiBooks.com

أمَّا اليهود والنصارى العاديُّون المسالمون، فهم في نظر المسلمين أهل كتاب، أجاز القرآن مؤاكلتهم كما أجاز مُصَاهرتهم ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

وإذا كان أهل الكتاب لهم مكانة خاصَّة، ومعاملة خاصَّة لدى المسلمين، فإنَّ النصارى منهم يعتبرهم القرآنُ أقربَ مودَّة للمسلمين من اليهود الَّذين بارزوه بالعداوة برغم مبادرة الرسول ﷺ بعقد الاتفاقيَّة معهم بُعيد هجرته إلى المدينة، وقد جعلهم فئة من أهل الدار، يتناصرون في السِّلْم والحرب، ويتواسَوْن في السَّرَّاء والضرَّاء.

ولعلَّ الآيات الَّتي صُدِّرت بها سورة الروم تدلُّنا بجلاءٍ على قُرْب النصارى من المسلمين، فقد قامت حرب بين الدَّوْلتَيْن العظيمتَيْن في ذلك الزمن: الفُرس في الشرق، والرُّوم في الغرب، وانتصر الفُرْسُ على الرُّوم في أوَّل الأمر، فحزن لذلك المسلمون، وفرح المشركون؛ لأنَّ الفرس مجوس يعبدون النار، ويعبدون إلٰهَيْن: للخير والشرِّ، أو للنور والظُّلْمة، فهم أقرب إلى مُشْركي العرب عَبَدَة الأوثان، والرُّوم كانوا نصارى أهل كتاب، فكانوا أقرب إلى المسلمين.

وتجادل الفريقان وتراهنوا حول مستقبل الأُمَّتَين، ولمن تكون الغَلَبة بعد؟ وكان المسلمون بطبيعة الحال مع الرُّوم، والمشركين مع الفُرْس، فنزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

QaradawiBooks.com

فانظر كيف بشَّر القرآن المسلمين بنصر الرُّوم، وكيف عبَّر عن مشاعر المسلمين بقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾.

فهذا هو موقف الإسلام المبدئي من أهل الكتاب عامَّة، ومن النصارى خاصَّة.

وهذا لا يمنع أن تأتي آياتٌ من القرآن تنقد اليهود أو النصارى أو أهل الكتاب عامَّة، فيما حرَّفوا من كتبهم، وما بدَّلوا من عقائد موسى وعيسى، ومن ملَّة إبراهيم، وما غيَّروا من شرائع أنبيائهم، فالقرآن قد جاء مُصَدِّقًا ومُتَمِّمًا للتوراة والإنجيل، كما أعلن ذلك في آياتٍ كثيرة، كما جاء أيضًا «مُصَحِّحًا» لها، أو بتعبير آخر «مهيمنًا عليها» كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

كما ينقد القرآن مواقف أهل الكتاب ـ وخصوصًا اليهود ـ من دعوة الإسلام، ورسول الإسلام، وأُمَّة الإسلام، ومع هذا يأمر الرسول والمسلمين بالعفو والصفح، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ومعنى ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، أي: حتَّى يَشْرَح اللهُ صدورهم للإسلام، أو يرَوْا انتصار الإسلام وعلوَّ كلمته أمام أعينهم.

وقد أكَّدت سورة المائدة ـ وهي من أواخر ما نزل من القرآن ـ ذلك في قوله تعالى في شأن بني إسرائيل وقد نقضوا ما أخذ الله عليهم من ميثاق: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ

غير مرخصة للطباعة

﴿ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

فرغم ظهور الخيانة من أكثرهم أُمِرَ الرسولُ أن يعفو عنهم ويصفح، فهذا من الإحسان الَّذي يحبُّه الله تعالى، وهذا في نفس السورة الَّتي نهت عن اتِّخاذ اليهود والنصارى أولياء.

ونلاحظ أنَّ القرآن حين دان بني إسرائيل قال: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وذلك ليؤسِّس منهج العدل مع الخصوم في الرضا والغضب، ولذلك استثنى فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

وهذا هو نهج القرآن معهم، ففي سورة آل عمران بعد أن تحدَّث عن بعض مساوئهم التاريخيَّة، وقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ، قال: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥].

ويُقَرِّر القرآن أن من أقام منهم الأركان الأساسيَّة للدين، وهي: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالخلود والجزاء في الآخرة، والعمل الصالح، فإنَّ الله لن يضيع أجره، ولن يخيِّبَ سعيَه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقد كرَّر القرآن هذا المعنى وأكَّده في آية أخرى من سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

QaradawiBooks.com

آية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾:

ومن الآيات الَّتي تُذْكَر كثيرًا، ويُساء فهمها في العلاقة بين المسلمين من ناحية واليهود والنصارى من ناحية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

أرى كثيرًا من المُتَدَيِّنين المسلمين الَّذين لا يتدبَّرون الآيات، ولا يتأمَّلون النصوص بعُمْقٍ يجدون في هذه الآية حائلًا دون التفاهم والتعايش والتصالح مع اليهود والنصارى.

وهذا ليس بصحيح، ولا ينبثق هذا التفكير عن فهم سليمٍ للآية الكريمة لعدَّة أمور:

أوَّلًا: لأنَّ الآية خطابٌ خاصٌّ للرسول ﷺ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ﴾ ولم تجئ بلفظٍ عامٍّ من ألفاظ العموم المعروفة.

ثانيًا: لو سلَّمنا بأنَّها خطاب للجميع، فإنَّها لا تدلُّ على أكثر من عدم رضاهم عنَّا الرضا الكامل ـ أو الرضا المُطْلَق ـ حتَّى نتَّبع مِلَّتهم. وهذا شأن كلِّ ذي مِلَّة متمسِّك بمِلَّته، حريص عليها. ونحن كذلك لا نرضى عنهم تمام الرضا حتَّى يتَّبعوا مِلَّتنا. فهو موقفٌ طبيعي ومتبادل بين أهل الملل أو أهل الأديان جميعًا. وقد قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وثالثًا: أنَّ هدفنا ليس إرضاء اليهود والنصارى، حتَّى يكون عدم رِضَاهم حَجَر عَثْرَةٍ في طريقنا، أو عائقًا دون تفاهمنا وتعايشنا، بل هدفنا هو إرضاء الله تعالى قبل كلِّ شيء، وسواء رضي النَّاس عنَّا أو سخطوا،

QaradawiBooks.com

ولن نبيع رضوان الله تعالى برضا أيِّ مخلوق كان، ولا بأيِّ ثمنٍ مادِّيٍّ أو أدبي، ولو وضعوا الشمس في أيماننا، والقمر في شمائلنا، ما فرَّطنا مثقال ذرة في ابتغاء مرضاة ربِّنا.

ورابعًا: أنَّ الإسلام ـ برغم وجود هذه الآية ـ لم يمنع المسلم أن يؤاكل اليهوديَّ أو النصرانيَّ، وأن يُصاهره، فيتزوَّج ابنته أو أخته أو قريبته، وينجب منها أولادًا، يَبَرُّون أُمَّهاتهم وجَدَّاتهم وأخوالهم وخالاتهم، ويعاملونهم بما يجب لذوي الأرحام وأولي القربى من الحقوق والحرمات. كما قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

٣

قضيَّة الجزية

غير مرخصة للطباعة

برغم الصحائف المشـــرقة الَّتي تؤكد مبادئ العدالة والسماحة الَّتي جاء بها الإســـلام، وبرغم التاريخ الحافل بالتسامح الفَذِّ في شتَّى صُوَره ومظاهره، رأينا بعض المُسْتَشْرِقين أثاروا بعض شبهات جمعوها من هنا وهناك، وحسبوها تُشَوِّه هذا الموقف الناصع، والتاريخ الرائع. والحقيقة أنَّ هذه المسائل الَّتي أثيرت حولها تلك الشبهات لو فُهِمَتْ على وجهها، ووُضِعَتْ في زمنها وإطارها، لكانت مأثرةً للإسلام وأُمَّته في علاقاته مع أهل الذمَّة.

فمن هذه الشبهات الَّتي أثاروها ويثيرها المُسْتَشْرِقون: قضيَّة «الجزية» الَّتي غُلِّفت بظلالٍ كئيبة، وتفســـيراتٍ سوداء، جعلت أهل الذمَّة يفزعون من مُجَرَّد ذكر اسمها، فهي في نظرهم ضريبة ذُلٍّ وهوان، وعقوبة فُرِضَتْ عليهم مقابل الامتناع عن الإسلام. وهذه لا شكَّ نظرةٌ زائفة، ولا أساس لها من أحكام الإسلام وتعاليمه وفلسفته العامَّة.

ومن نظر إلى الأمم الغالبة قبل الإســـلام: مـــاذا كانوا يفرضون على الأمم المغلوبة، تُبَيِّن له عدل الإسلام وسماحته الَّتي لا نظير لها.

وقد بيَّنْتُ في كتابي «غير المســـلمين في المجتمع الإسلامي» وجه إيجـــاب الجزية علـــى الذِّمِّيِّين، وأنَّها بـــدل عن فريضتيـــن فُرِضَتَا على

المسلمين: فريضة لها طابع عسكري، وأخرى لها طابع مالي، فريضة الجهاد، وفريضة الزكاة، وخصوصًا فريضة الجهاد، فهي الأقرب إلى أن تكون الجزية بديلًا عنها. ونظرًا لـ «الطبيعة الدِّينيَّة» لهاتين الفريضتَيْن لم يلزم الإسلام بهما غير المسلمين.

على أنَّه في حالة اشتراك الذميِّين في الخدمة العسكريَّة والدفاع عن الحوزة مع المسلمين فإنَّ الجزية تسقط عنهم[١].

كما أنِّي بحثت في كتابي «فقه الزكاة» مدى جواز أخذ ضريبة من أهل الذمَّة بمقدار الزكاة، ليتساوَوْا بالمسلمين في الالتزامات الماليَّة، وإن لم تُسَمَّ «زكاة» نظرًا لحساسية هذا العنوان بالنظر إلى الفريقين، ولا يلزم أيضًا أن تُسمَّى «جزية» ما داموا يأنفون من ذلك. وقد أخذ عمر رضي الله عنه من «نصارى بني تَغْلِب» ـ وهم قوم عرب ـ «الجزية» باسم «الصَّدَقة» حين طلبوا منه ذلك، تألُّفًا لهم، واعتبارًا بالمسمَّيَات لا بالأسماء[٢]؛ إذ المقصود أن يدفعوا ما يدلُّ على إذعانهم لسلطان الدولة الإسلاميَّة.

وزيادة في الإيضاح والبيان، ودفعًا لكلِّ شبهة، وردًّا لأيَّة فرية، يَسُرُّني أن أُسَجِّل هنا ما كتبه المؤرِّخ المعروف سير توماس. و. أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» عن الغرض من فرض الجزية وعلى من فُرِضَت، قال: «ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيِّين ـ كما يريد بعض الباحثين على الظنِّ ـ لونًا من ألوان

(١) انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صـ ٤٠ ـ ٤٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(٢) انظر كتابنا: فقه الزكاة (١/١١٦ ـ ١٢١)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنَّما كانوا يؤدُّونها مع سائر أهل الذمَّة. وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الَّذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش، في مقابل الحماية الَّتي كفلتها لهم سيوف المسلمين، ولمَّا قدَّم أهل الحيرة المال المُتَّفق عليه، ذكروا صراحة أنَّهم دفعوا هذه الجزية على شريطة «أن يمنعونا وأميرُهم البغيَ من المسلمين وغيرهم»[١].

كذلك حدث أن سجَّل خالد في المعاهدة الَّتي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحِيرة قوله: «فإنْ منعناكم فلنا الجزية، وإلَّا فلا»[٢].

ويمكن الحكم على مدى اعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط، من تلك الحادثة الَّتي وقعت في عهد الخليفة عمر. لما حشد الإمبراطور هرقل جيشًا ضخمًا لصدِّ قوات المسلمين المحتلَّة، كان لزامًا على المسلمين ـ نتيجة لما حدث ـ أن يُرَكِّزوا كل نشاطهم في المعركة الَّتي أحدقت بهم. فلمَّا علم بذلك أبو عُبَيْدة قائد العرب كتب إلى عُمَّال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم بردِّ ما جُبِيَ من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى النَّاس يقول: إنَّما ردَدْنا عليكم أموالكم لأنَّه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنَّكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنَّا لا نقدر على ذلك، وقد رددْنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إنْ نصرنا الله عليهم». وبذلك رُدَّت مبالغ طائلة من مال الدولة، فدعا المسيحيُّون

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣٧١/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٣٦٧/٣، ٣٦٨).

QaradawiBooks.com

بالبركة لرؤساء المسلمين، وقالوا: «ردَّكم الله علينا، ونصركم عليهم (أي على الروم)، فلو كانوا هم، لم يرُدُّوا علينا شيئًا، وأخذوا كلَّ شيء بقي لنا»[١].

وقد فُرِضَت الجزية ـ كما ذكرنا ـ على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكريَّة الَّتي كانوا يُطالَبون بها لو كانوا مسلمين، ومن الواضح أن أيَّ جماعة مسيحيَّة كانت تُعفى من أداء هذه الضريبة إذا ما دخلت في خدمة الجيش الإسلامي. وكانت الحال على هذا النحو مع قبيلة «الجراجمة»، وهي مسيحيَّة كانت تقيم بجوار أنطاكية، سالَمَت المسلمين وتعهَّدت أن تكون عونًا لهم، وأن تُقاتل معهم في مغازيهم، على شريطة ألَّا تؤخذ بالجزية، وأن تُعْطَى نصيبها من الغنائم[٢].

ولمَّا اندفعت الفتوح الإسلاميَّة إلى شمال فارس سنة (٢٢هـ) أُبْرِمَ مثل هذا الحِلْف مع إحدى القبائل الَّتي تُقيم على حدود تلك البلاد، وأُعْفِيَتْ من أداء الجزية مقابل الخدمة العسكريَّة[٣].

ونجد أمثلة شبيهة بهذه للإعفاء من الجزية في حالة المسيحيِّين الَّذين عملوا في الجيش أو الأسطول في ظلِّ الحُكْم التُرْكي. مثال ذلك ما عومل به أهل ميغاريا (Migaria) وهم جماعة من مَسِيحيِّي ألبانيا الَّذين أُعْفُوا من أداء هذه الضريبة على شريطة أن يُقَدِّموا جماعة من الرجال

(١) رواه أبو يوسف في الخراج صـ ١٥٣. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) انظر: فتوح البلدان للبلاذري صـ ١٥٩ وما بعدها، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

(٣) الطبري (١٥٦/٤).

QaradawiBooks.com

المسلَّحين لحراسة الدروب على جبال «Cithaeron» و«Geraned» الَّتي كانت تؤدِّي إلى خليج كورنته؛ وكان المسيحيُّون الَّذين استُخْدموا طلائع لمقدِّمة الفتح التركي لإصلاح الطرق وإقامة الجسور، وقد أُعْفُوا من أداء الخراج، ومُنِحُوا هِبَاتٍ من الأرض المُعفاة من جميع الضرائب[١].

وكذلك لم يدفع أهالي (Hydra) المسيحيُّون ضرائب مباشرة للسلطان، وإنَّما قدَّموا مقابلها فرقة من مائتين وخمسين من أشدَّاء رجال الأسطول، كان ينفق عليهم من بيت المال في تلك الناحية[٢].

وقد أُعْفِيَ أيضًا من الضريبة أهالي رومانيا الجنوبية الَّذين يطلقون عليهم «Armatioli»[٣] وكانوا يُؤلِّفون عنصرًا هامًّا من عناصر القوَّة في الجيش التركي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديَّيْن، ثمَّ المدريُّون «Midrdites» وكان ذلك على شريطة أن يُقَدِّموا فرقة مسلحة في زمن الحرب[٤]. وبتلك الرُّوح ذاتها لم تُقَرَّر جزية الرؤوس على نصارى الإغريق الَّذين أشرفوا على القناطر[٥] الَّتي أمدَّت القُسْطَنْطِينِيَّة بماء الشُّرب[٦]، ولا على الَّذين كانوا في حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة[٧] نظرًا إلى ما قدَّموه للدولة من خدمات. ومن جهةٍ أخرى أُعْفِيَ

(١) وهو يسميهم: «Mncelum» Marsigli vol., p.86.

(٢) finaly vol vi. pp. 30-33

(٣) lazar, p. 56

(٤) De Lajanquiere, p. 14

(٥) هو نوع من القناطر تقام على أعمدة لتوصيل مياه الشرب إلى المدن، وقد كانت شائعة في الدولة الرومانيَّة منذ القرن الأول الميلادي.

(٦) Thomas Smith, p. 265

(٧) Dorostamus, p. 326

QaradawiBooks.com

الفلَّاحون المِصْرِيُّون من الخدمة العسكريَّة على الرغم من أنَّهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية[١] في نظير ذلك، كما فُرِضَتْ على المسيحيِّين»[٢][٣].

هذا ما سجَّله المؤرِّخ المنصف توماس أرنولد مؤيَّدًا بالأدلَّة والمراجع المُوَثَّقة.

* * *

(١) يقصد: بدل الخدمة العسكرية وهو مبلغ معين تفرضه السلطة (القرضاوي).

(٢) De Lajanquiere, p. 265.

(٣) الدعوة إلى الإسلام صـ ٧٩ ـ ٨١، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وزميليه، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٧٠م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

ملابس أهل الذمَّة وأزياؤهم

ومن هذه الشبهات الَّتي ضخَّمها المُسْتَشْرِقون: ما يتعلَّق بملابس أهل الذمَّة وأزيائهم، وما رُوِيَ أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترط عليهم ألَّا يتشبَّهوا بالمسلمين في ثيابهم وسُرُوجهم ونعالهم، وأن يضعوا في أوساطهم أو على أكتافهم شارات معيَّنة تُمَيِّزهم عن المسلمين. ويُنْسَب ذلك إلى عمر بن عبد العزيز أيضًا.

ومن المُسْتَشْرِقين المُؤرِّخين من يشكُّ في نسبة الشروط أو الأوامر المتعلِّقة بالزيِّ إلى الخليفة العادل عمر بن الخطاب؛ لأنَّ كتب المُؤرِّخين الأقدمين الموثوق بها، والَّتي عُنِيَتْ بمثل هذه الأمور، لم تشتمل عليها (كتب الطبري، والبلاذري، وابن الأثير، واليعقوبي، وغيرهم)[1] وأنا مع هؤلاء.

و«الشروط العُمَرِيَّة» الَّتي تُنْسَب إلى عمر بن الخطاب، والَّتي شرحها ابن القَيِّم في جُزْأين، ولم تثبت نسبتها إلى عمر بسندٍ صحيح، وهذا ما اعترف به ابن القيِّم وغيره، ولكنَّه ادَّعى أنَّ شُهْرَتَها تُغني عن ثبوت سندها. وهو ما لا نُسَلِّم به، فكم من أمور تشتهر بين النَّاس

(١) انظر: الإسلام وأهل الذمة صـ ٨٤، ٨٥، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الكتاب التاسع والأربعون، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

ـ حتَّى بين أهـل العلم منهم ـ ويتناقلها بعضُهـم عن بعض، وهي في الحقيقة لا أصل لهـا[١]. فالمدار في إثبات النقول على صحَّة السـند، وسلامته من الشذوذ والعِلَّة.

على أنَّ الأمر أهون من أن يُتَكَلَّف إنـكارُه وردُّه، لو عُرِفَتْ دواعيه وأسبابه، وعرفت الملابسات التاريخيَّة الَّتي وُجِدَ فيها.

فهو ليس أمـرًا دينيًّا يُتَعَبَّد بـه في كلِّ زمانٍ ومـكان كما فهم ذلك جماعة من الفقهاء، وظنُّوه شـرعًا لازمًا، وهو ـ إن صحَّ ـ ليس أكثر من قرارٍ إداريٍّ أو أمرٍ من أوامر السـلطة الشـرعيَّة الحاكمة يتعلَّق بمصلحة زمنيَّة للمجتمع آنـذاك، ولا مانع من أن تتغيَّر هـذه المصلحة في زمنٍ آخر، وحالٍ أخرى، فيُلغى هذا الأمر أو يُعَدَّل.

لقد كان التمييـز بين النَّاس تبعًـا لأديانهم أمـرًا ضروريًّا في ذلك الوقت، وكان أهل الأديان أنفسهم حريصين عليه، ولم يكن هناك وسيلة للتمييز غير الزِّيِّ، حيـث لم يكن لديهم نظام «الهُوِيَّـات» أو البطاقات الشخصيَّة المعروف في عصرنا، الَّتي يُسَجَّل فيها مع اسم الشخص ولَقَبِه دِينُه، وحتَّى مذهبه في بعض البلـدان، فالحاجة إلى التمييز وحدها هي الَّتي دفعت إلى إصدار تلك الأوامر والقرارات. ولهذا لا نرى في عصرنا أحدًا من فقهاء المسلمين يرى ما رآه الأوَّلون من طلب التمييز في الزِّيِّ لعدم الحاجة إليه.

(١) مثل كثير من الأحاديث المشهورة بين الناس وفي الكتب، وهي ضعيفة أو ضعيفة جدًّا، أو موضوعة، أو لا أصل لها، وقد صُنِّفت فيها الكتب، ومثل بعض الأشـياء التي تشـتهر في التاريخ وليس لها أصل مثل «خولة بنت الأزور» وغيرها.

QaradawiBooks.com

ويسُـرُّني أن أنقل هنا ما كتبه الدكتور الخربوطلي في توضيح هذه القضيَّة ودوافعها، فقد قال[١]: «ونحن نرى أنَّه لـو افترضنا جدلًا حقيقة هذه الأوامر الصـادرة عـن الخليفتَيْـن (عمر بن الخطـاب وعمر بن عبد العزيز)، فقد كان هذا لا غُبَار عليه، فهو نوع من التحديد للملابس في نطاق الحيـاة الاجتماعيَّة، للتمييز بين أصحـاب الأديان المختلفة، وبخاصَّة أنَّنا فـي وقت مُبَكِّـر من التاريـخ، ليس فيه بطاقـات تُثْبِتُ الشـخصيَّة، وما تحمله عادة من تحديد الجنسـيَّة والدِّين والعمر وغير ذلك، فقد كانت الملابس المتميِّزة هي الوسيلة الوحيدة لإثبات دِينِ كُلِّ من يرتديها، وكان للعرب المسـلمين ملابسهم، كما للنصارى أو اليهود أو المجوس ملابسهم أيضًا، وإذا كان المُسْتَشْرِقون قد اعتبروا أن تحديد شـكلِ ولونِ الثياب هـو من مظاهـر الاضطهاد، فنحن نقـول لهم: إنَّ الاضطهاد في هذه الصورة يكون قد لحق بالمسـلمين وأهل الذمَّة على السـواء. وإذا كان الخلفاء ينصحون العرب والمسـلمين بألَّا يتشـبَّهوا بغيرهم، فمن المنطقي أن يأمروا غير العرب وغير المسلمين ألَّا يتشبهوا بالعرب المسلمين».

وناقش المؤرخ «ترتون»[٢] هذه المسألة أيضًا، وأبدى رأيه فيها فقال: «كان الغرض من القواعد المتعلِّقة بالملابس: سهولة التمييز بين النصارى والعرب، وهذا أمر لا يرقى إليه شكٌّ. بل نراه مُقَرَّرًا تقريرًا أكيدًا عند كلٍّ من أبي يوسـف[٣] وابن عبد الحَكَم[٤]، وهما من أقـدم الكُتَّاب الَّذين

(١) الإسلام وأهل الذمة صـ ٨٦، ٨٧.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) الخراج لأبي يوسف صـ ١٤٠.

(٤) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ ١٧٨، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وصلت كتبُهم إلينا، على أنَّه يجب أن نلحظ أنَّه لم تكن ثمَّةَ ضرورةٌ وقت الفتح لإلزام النصارى بلُبْس مُعَيَّن من الثياب يخالف ما يلبسه المسلمون، إذ كان لكلٍّ من الفريقين وقتذاك ثيابه الخاصَّة، وكان النصارى يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم دون جبر أو إلزام. على أنَّ الحاجة استلزمت هذه الفروض فيما بعد، حين أخذ العرب بحظٍّ من التمدُّن؛ إذ حَمَل الإغراء الشعوب الخاضعة لهم على الاقتداء بهم في ملابسهم، والتشبُّه في ثيابهم.

ومهما يكن الرأيُ فإن كانت هذه الأوامر الَّتي تحدِّد أنواع وأشكال الملابس حقيقيَّة، فإنَّها لم توضع موضع التنفيذ في معظم العصور التاريخيَّة.

وهناك فرقٌ بين وجود القانون ومدى تطبيق هذا القانون، فقد انتهج معظم الخلفاء والوُلاة المسلمين سياسة تسامحٍ وإخاءٍ ومساواة، ولم يتدخَّلوا كثيرًا في تحديد ملابس أهل الذمَّة، ولم ترتفع أصواتٌ مطلقًا بالشكوى أو الاحتجاج.

وهناك أدلة تاريخيَّة تثبت هذه الحقائق الَّتي ذكرناها، فقد كان الأخطل الشاعر النصراني (المتوفى في سنة ٩٥هـ) يدخل على الخليفة الأموي عبد الملك بن مَرْوان وعليه جُبَّة وحرز من الخَزِّ، وفي عنقه سلسلة بها صليب من الذهب، وتتعصَّر لحيته خمرًا[1] ويحسن الخليفة استقباله!

(١) الأغاني للأصفهاني (٤٣٠/٨)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ. وفي النفس شيء من صحة هذا الخبر، ولا غرو فهو من أخبار (الأغاني) التي لا يُعوَّل عليها كثيرًا. ولو صح لدل على تهاون الخليفة أكثر من دلالته على تسامحه.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ الاتفاقيَّة الَّتي وقعها المسلمون في سنة ٨٩هـ مع «الجراجمة» المَسِـيحيِّين الَّذين يسـكنون المناطق الجبليَّة من بلاد الشام، تضمَّنت النصَّ على أن يلبس الجراجمة لباس المسلمين[١].

تحدَّث أبو يوسـف عن لباس أهل الذمَّة وزِيِّهم فقال: «لا يُتْرَكُ أحدٌ منهم يتشبَّه بالمسلمين في لباسه، ولا في مركبه، ولا في هيئته». واعتمد أبو يوسـف في تفسـير ذلك على قول عمر بن الخطاب: «حتى يُعْرَف زِيُّهم من زيِّ المسـلمين». أي أنَّه لا اضطهاد في الأمر، إنَّما هي وسيلة اجتماعيَّـة للتمييز، مثلما نـرى اليوم في كلِّ مجتمـع حديث من تعدُّد الأزياء؛ لكلِّ طائفةٍ أو أصحابِ حرفةٍ أو مهنةٍ زِيٌّ واحد يُمَيِّزهم.

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري صـ ١٦١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٥

موقفنا من الأقلِّيَّات

وقد عرضنا لموقف الإسلام من الأقلِّيَّات في أكثر من كتاب، منها «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي» ورسالة «الأقلِّيَّات الدينيَّة والحل الإسلامي» وكتاب «أولويَّات الحركة الإسلاميَّة» وبعض الفتاوى والبحوث في كتابنا «فتاوى مُعاصِرة» الجزء الثاني، وكتابنا «من فقه الدولة في الإسلام». كما بيَّنَّا ذلك في محاضرات شتَّى في أكثر من بلد.

وأعتقد أنَّ اجتهادنا في هذه القضيَّة الكبيرة قد استبانت معالمه، واتَّضحت صورته في ضوء الأدلَّة الشرعيَّة، ولقي القَبُول من جمهرة المسلمين.

كيف تُحَلُّ مشكلة الأقلِّيَّات الدِّينيَّة؟

ويمكن أن أقتبس بعض ما كتبتُه من قبل هنا، لإيضاح موقف الاجتهاد الإسلامي المعاصر من هذه القضيَّة الخطيرة، الَّتي يستغلُّها أعداء الأُمَّة بين الحين والحين، لأغراضٍ في أنفسهم، لإثارة الفتنة الطائفيَّة، حتَّى إنَّهم في أمريكا اليوم ـ بتأثير اللوبي الصهيوني ـ يزعمون أنَّ الأقباط مُضْطَهَدُون دينيًّا في مصر، وهو زعم لا أساسَ له. ويتلخَّص موقفنا فيما يلي:

نسخة مجانية

١ ـ لا وجه لدعوى بعض النَّاس وجُلُّهم من العِلمانيِّين الَّذين لا يوالون الإسلام ولا المسيحيَّة: أنَّ الاتِّجاه إلى الحلِّ الإسلامي والشرع الإسلامي يُنافي مبدأ الحُرِّيَّة لغير المسلمين، وهو مبدأ مُقَرَّر دوليًّا وإسلاميًّا، فقد نَسُوا أو تناسَوْا أمرًا أهمَّ وأخطر، وهو أنَّ الإعراض عن الشرع الإسلامي والحلِّ الإسلامي من أجل غير المسلمين ـ وهم أقلِّيَّة ـ ينافي مبدأ الحُرِّيَّة للمسلمين في العمل بما يوجبه عليهم دينهم، وهم أكثريَّة.

وإذا تعارض حقُّ الأقلِّيَّة وحقُّ الأكثريَّة، فأيَّهما نُقَدِّم؟

إنَّ منطق الديمقراطيَّة الَّتي يؤمنون بها ويدعون إليها أنْ يُقَدَّم حقُّ الأكثريَّة على حقِّ الأقلِّيَّة.

هذا هو السائد في كلِّ أقطار الدُّنْيا، فليس هناك نظامٌ يرضى عنه كلُّ النَّاس، فالناس خُلِقُوا متفاوتين مختلفين، وإنَّما بحسْب نظامٍ ما أن ينال قبول الأكثريَّة ورضاهم، بشرط ألَّا يَحِيف على الأقلِّيَّة ويظلمهم ويعتدي على حرماتهم، وليس على المسيحيِّين ولا غيرهم بأسٌ ولا حرج أن يتنازلوا عن حقِّهم لمواطنيهم المسلمين ليحكموا أنفسهم بدينهم، ويُنَفِّذوا شريعة ربِّهم حتَّى يرضى الله عنهم.

ولو لم تفعل الأقلِّيَّة الدينيَّة ذلك وتمسَّكت بأن تنبذ الأكثريَّة ما تعتقده دينًا يعاقب الله على تركه بالنار، لكان معنى هذا أن تفرض الأقلِّيَّة ديكتاتوريَّة على الأكثريَّة، وأن يتحكَّم مثلًا ثلاثة ملايين أو أقلُّ في أربعين مليونًا أو أكثر، وهذا ما لا يقبله دِينِيٌّ ولا عِلمانيٌّ.

٢ ـ وهذا على تسليمنا بأنَّ هنا تعارضًا بين حقِّ الأكثريَّة المسلمة وحق الأقلِّيَّة غير المسلمة.

QaradawiBooks.com

والواقع أنَّه لا تعارض بينهما؛ فالمسيحيُّ الَّذي يقبل أن يُحْكَم حكمًا عِلمانيًّا لا دينيًّا، لا يَضِيره أن يُحْكَم حكمًا إسلاميًّا، بل المسيحي الَّذي يفهم دِينَه ويحرص عليه حقيقة، ينبغي أن يُرَحِّب بحكم الإسلام؛ لأنَّه حُكْمٌ يقوم على الإيمان بالله ورسالات السماء، والجزاء في الآخرة. كما يقوم على تثبيت القيم الإيمانيَّة، والمُثُل الأخلاقيَّة، الَّتي دعا إليها الأنبياء جميعًا، ثمَّ هو يحترم المسيح وأُمَّه والإنجيل، وينظر إلى أهل الكتاب نظرة خاصَّة، وإلى النصارى نظرةً أخصَّ وأقرب، فكيف يكون هذا الحكم ـ بطابعه الربَّاني الأخلاقي الإنساني ـ مصدرَ خوفٍ وإزعاج لصاحب دِين يؤمن بالله ورسله واليوم الآخر؟ على حين لا يُزْعِجُه حكمٌ لا دِينِي عِلماني يحتقر الأديان جميعًا، ولا يسمح بوجودها ـ إن سمح ـ إلَّا في ركن ضيِّق من أركان الحياة؟!

من الخير للمسيحي المُخْلِص أن يقبل حُكْم الإسلام، ونظامه للحياة، فيأخذه على أنَّه نظام وقانون ككلِّ القوانين والأنظمة، ويأخذه المسلم على أنَّه دِين يُرضي به ربَّه، ويتقرَّب به إليه.

ومن الخير للمسيحي ـ كما قال الأستاذ حسن الهضيبي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أن يأخذه المسلمون على أنَّه دين؛ لأن هذه الفكرة تعصمهم من الزلل في تنفيذه، وعين الله الساهرة ترقبهم، لا رهبة الحاكم الَّتي يمكن التخلُّص منها في كثير من الأحيان[1].

ومن هنا رحَّب العقلاء واسعو الأفق من المسيحيِّين بالنظام الإسلامي بوصفه السدَّ المنيع في وجه المادِّيَّة الملحدة الَّتي تُهدد

(١) رسالة دستورنا للأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين صـ ١٤، ١٥، نشر مكتبة المنار، الكويت.

QaradawiBooks.com

الدياناتِ كلَّها على يد الشُّيوعيَّة العالميَّة، كما نقلنا ذلك من كلام العلَّامة فارس الخوري[١].

وأودُّ أن أصحح هنا خطأً يقع فيه كثيرون، وهـو الظن بأنَّ القوانين الوضعية المسـتوردة من الغرب المسـيحي قوانين لهـا رحم موصولة بالمسـيحيَّة، فهذا خطأ مؤكد، والدارسـون لأصول القوانين ومصادرها التاريخيَّة يعرفون ذلك جيـدًا. بل الثابت بلا مراء أنَّ الفقه الإسـلامي أقرب إلى المسيحيَّة والمسيحيِّين في أوطاننا من تلك القوانين، لأصوله الدينيَّة من ناحية، ولتأثره بالبيئة المحيطة الَّتي هم جزء منها.

٣ ـ والادِّعاء بأنَّ سيادة النظام الإسـلامي فيه إرغام لغير المسلمين على ما يخالف دِينَهم، ادِّعاءٌ غير صحيح.

فالإسـلام ذو شُـعَب أربع: عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وشريعة، فأمَّا العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الإسـلام على أحد. وفي ذلك نزلت آيتان صريحتان حاسـمتان من كتاب الله: إحداهما مَكِّيَّة والأخرى مدنيَّة، في الأولى يقول تعالى مخاطبًا رسـوله الكريم ﷺ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وفي الثانية يقول ﷻ في أسلوبٍ جازم: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وجاء عن الصحابة في أهل الذمَّة: «اتركوهم وما يَدِينون»[٢].

ومنذ عهد الخلفاء الراشـدين واليهود والنصارى يـؤدُّون عباداتِهم ويُقيمون شـعائرهم في حُرِّيَّة وأمان، كما هو منصوص عليه في العهود

(١) انظر كلامه في كتابنا: بينات الحل الإسلامي صـ ٢١٤ ـ ٢٤٧، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٥، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

(٢) ذكره ابن الهمام في فتح التقدير (٣٦٢/٩)، نشر دار الفكر.

QaradawiBooks.com

الَّتي كُتبت في عهد أبي بكر وعمر، مثل عهد الصلح بين الفاروق وأهل إيلياء (القدس).

ومن شدَّة حساسية الإسلام أنَّه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على غير المسلمين، لما لهما من صبغة دينيَّة، باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى ـ مع أنَّ الزكاة ضريبة مالية، والجهاد خدمة عسكريَّة ـ وكلَّفهم مقابل ذلك ضريبة أخرى على الرؤوس، أعفى منها النساء والأطفال والفقراء والعاجزين، وهي ما يُسمَّى «الجزية».

ولئن كان بعض النَّاس يأنف من إطلاق هذا الاسم، فليُسَمُّوه ما يشاؤون؛ فإنَّ نصارى بني تَغْلِبَ من العرب طلبوا من عمرَ أن يدفعوا مثل المسلمين صدقة مُضاعَفة ولا يدفعوا هذه الجزية، وقَبِلَ منهم عمر، وعقد معهم صلحًا على ذلك[1].

أمَّا شُعْبة الأخلاق فهي في أصولها لا تختلف بين الأديان السماويَّة بعضها وبعض.

بقيت شُعْبة الشريعة بالمعنى الخاصِّ، معنى القانون الَّذي يُنَظِّم علائق النَّاس بعضهم ببعض؛ علاقة الفرد بأسرته، وعلاقته بالمجتمع، وعلاقته بالدولة، وعلاقة الدولة بالرَّعِيَّة، وبالدول الأخرى.

فأمَّا العلاقات الأُسْرِيَّة فيما يتعلَّق بالزواج والطلاق ونحو ذلك، فهم مُخَيَّرون بين الاحتكام إلى دينهم والاحتكام إلى شرعنا، ولا يُجْبَرُون على شرع الإسلام.

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٩/٣٣٥، ٣٣٦)، نشر مطبعة العاصمة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

فمن اختار منهم نظام الإسـلام في المواريـث مثلًا ـ كما في بعض البلاد العربيَّة ـ فله ذلك، ومن لم يُرِدْ فهو وما يختار.

وأمَّا ما عدا ذلك من التشريعات المدنيَّة والتجاريَّة والإداريَّة ونحوها فشأنهم في ذلك كشأنهم في أيَّة تشـريعات أخرى تقتبس من الغرب أو الشَّرق، وترتضيها الأغلبيَّة.

وبعض المذاهب الإسـلاميَّة لا تلزم أهل الذمَّة أو غير المسـلمين بالتشـريع الجنائي؛ مثل إقامة الحدود والعقوبات الشـرعيَّة، كقطع يد السارق، وجلد الزاني أو القاذف، ونحو ذلك. وإنَّما فيها التعزيز.

وتسـتطيع الدولة الإسـلاميَّة الأخذ بهذا المذهـب إذا وجدت فيه تحقيقَ مصلحـة، أو درءَ مَفْسـدة، كما فعلت ذلك جمهوريَّة السـودان الإسلاميَّة، بالنسبة للمناطق الَّتي تسكنها أغلبيَّة غير إسلاميَّة.

ومن هنـا كان لأهل الذمَّـة محاكمهم الخاصَّة يحتكمـون إليها إن شاؤوا، وإلَّا لجؤوا إلى القضاء الإسلامي، كما سجَّل ذلك التاريخ.

وبهذا نرى أنَّ الإسـلام لم يُجْبِرْهم على ترك أمـرٍ يَرَوْنه في دِينهم واجبًا، ولا على فعلِ أمرٍ يرونه عندهم حرامًا، ولا على اعتناق أمرٍ دينيٍّ لا يرون اعتقاده بمحْض اختيارهم، وهو ما يتمنَّاه المسلمون في الغرب أن يُطَبَّق عليهم مثل هذا النظام، فلا يُجْبَرُون على أمرٍ يعتقدونه حرامًا في دِينهم مثل خلع الحجاب للمرأة.

بل في التسامح الإسلامي ما هو أعظم وأوسع، ذلك أنَّ هناك أشياء يُحَرِّمها الإسلام مثل الخمر والخنزير، وهم يرونها حلالًا، والأمر الحلال للإنسان سَعة في تركه، فللمسـيحي أن يدع شرب الخمر ولا حرج عليه

QaradawiBooks.com

في دِينِه، بل لا أظنُّ دِينًا يُشَـجِّع شـرب الخمور، ويبارك حياة السُّـكْر والعربدة، وكلُّ ما في كتبهم أنَّ قليلًا من الخمر يُصْلِح المَعِدَة[١]، ولهذا اختلف المسيحيُّون أنفسهم في موقفهم من الخمر والسُّكْر.

وكذلك بوُسْع المسيحي أن يعيش عمرَه كلَّه ولا يأكل لحم الخنزير، فأكلُه ليس شَعِيرة في الدِّين، ولا سُنَّة من سنن النبيِّين، بل هو مُحَرَّم في اليهوديَّة قبل الإسـلام، ومع هذا نرى جمهرة من فقهاء الإسلام أباحوا لأهل الذمَّة من النصارى أن يأكلوا الخنزير، ويشـربوا الخمر، ويتاجروا فيهما فيما بينهم، وفي القُرى الَّتي تخصُّهـم، على ألَّا يُظهروا ذلك في البيئات الإسلاميَّة، ولا يتحدَّوْا مشاعر المسلمين، وهذه قمَّة في التسامح لا مثيل لها[٢].

ومنذ عدَّة سنوات دُعِيتُ من قِبَل نقابة الأطباء في مصر لندوة حول «المشـروع الحضاري الإسـلامي» في «دار الحكمـة» بالقاهرة، وكان المفروض أن يشـاركني أحدُ الأسـاتذة المعروفيـن[٣]، ولكنَّه اعتذر، فانفردتُ بإلقاء الموضوع، وبيان مقوِّمات مشروعنا الحضاري الإسلاميِّ الَّذي يعمل على إصلاح الفرد، وإسـعاد الأسرة، وترقية المجتمع، وبناء الأُمَّة الفاضلة، وإقامة الدولة العادلة، وإنشـاء عالـم متعارف وعلاقات إنسانيَّة سويَّة.

(١) هو من أقوال بولس، وليس من قول المسـيح عليه السلام. انظر: رسـالة بولـس إلى تيموثاوس (٢٣/٥).

(٢) انظر: بينات الحل الإسلامي وشـبهات العلمانيين والمتغربين صـ ٢١٤ ـ ٢٤٧، فصل: الأقليات الدينية والحل الإسلامي، وانظر أيضًا كتابنا: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي صـ ٦١ ـ ٧٤.

(٣) هو الأستاذ الدكتور إسماعيل صبري عبد الله وزير التخطيط في عهد عبد الناصر، ومن ممثلي الفكر اليساري في مصر.

QaradawiBooks.com

وبعد ذلك كانت أسـئلة ونقاشـات وتعليقات. وكان من أبرز هذه الأسئلة: سؤال من الأخ الدكتور جورج إسحاق الَّذي سأل بصراحة: أين موقعنا، يا دكتور قرضاوي ـ نحن الأقباط ـ في هذا المشروع؟ هل نظلُّ أهلَ ذِمَّة أو نحن مواطنون؟ هل سـتطالبنا بدَفْع الجِزْية أو ندفع ما يدفع المسـلمون؟ هل نُحْرَم من وظائف الوطن أو يأخذها من يسـتحقُّها منَّا بأهليَّته؟ إلخ هذا النوع من الأسئلة.

وقلتُ للدكتور إسحاق: إنَّ المشروع الحضاري هو لأهل دار الإسلام جميعًا المسـلمين منهم وغير المسلمين، وفقهاء المسلمين متَّفقون على أنَّ أهل الذمَّة من «أهـل الدَّار» ـ أي دار الإسـلام ـ وإن لم يكونوا من «أهل المِلَّة»، ومعنى أنَّهم مـن أهل الدار أنَّهم مواطنـون، ينتمون إلى الوطن الإسـلامي، فهم مسـلمون بحُكْم انتمائهم إلى الـدار أو الثقافة والحضارة. وهـذا ما عبَّر عنه الزعيم المصـري القِبْطي المعروف مكرم عبيد حين قال: أنا نصرانيٌّ دينًا، مسلمٌ وطنًا! وهذا ما قلته للدكتور لويس عوض حين زارنا في الدوحة مشاركًا في إحدى الندوات، وطلب مِنِّي أن أُعَقِّب على الندوة، فقلتُ له: أنا مسـلم بمقتضى العقيدة والملَّة، وأنت مسلم بمقتضى الثقافة والحضارة.

وكلمة «الذمَّة» كثيرًا ما تُفهم خطأً، ويظنُّ بعض النَّاس أنَّها كلمة ذمٍّ أو انتقاص، مع أنَّ معناها: العهد والضمان أي أنَّهم في عهد الله ورسوله وجماعة المسـلمين وفي ضمانهم، لا يجوز أن يُنْتَقض عهدُهم أو تُخفر ذمَّتُهم من أحد.

وإذا كانت كلمة «أهـل الذمَّة» تؤذي الأقبـاط وأمثالهم، فإنَّ الله لم يتعبَّدْنا بها، وقد حذف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ما هو أهمُّ منها،

QaradawiBooks.com

«كما ذكرنا من قبل» وهو كلمة «الجزية» المذكورة في القرآن، حين طلب بنو تغلب ذلك، وكانوا نصارى عربًا[١].

وفي عصرنا يتأذَّى إخواننا من المسيحيِّين وغيرهم من هذه التسمية، فلا مبرر للإصرار على بقائها، والعِبْرة للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني.

ولقد ذهبتُ من قديم في كتابي «فقه الزكاة»[٢] إلى أنَّ وليَّ الأمر المسلم يجوز له أن يأخذ من غير المسلمين في الدولة الإسلاميَّة ضريبة تساوي فريضة الزكاة، ولنُسمها «ضريبة التكافل» توحيدًا للميزانيَّة والإجراءات بين أبناء الوطن الواحد والدار الواحدة، وأيَّدت ذلك بأدلَّة شرعيَّة من داخل الفقه الإسلامي، وهذا ما أخذت به جمهوريَّة السودان منذ عهد نميري.

وقد ذكرت في «فقه الزكاة»[٣] أنَّ من فقهاء المسلمين عددًا أجازوا دفع الزكاة لغير المسلمين، وقد نقل ذلك عن عمر رضي الله عنه.

وممَّا يذكره التاريخ أنَّ عناصر من أهل الكتاب أسهمت في بناء الحضارة الإسلاميَّة أيَّام ازدهارها، لا تزال أسماءُ بعضِهم معروفةً مشهورة.

ولقد وصل بعضهم إلى منصب الوزارة، وهو ما قرَّره القاضي الماوردي وغيره من فقهاء السياسة الشرعيَّة.

---

(١) انظر كتابنا: السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها صـ ٢١٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) انظر: فقه الزكاة (١/١١٦ ـ ١٢١).

(٣) المصدر السابق (١/٧١٢ ـ ٧١٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والعامـــل المهمُّ هنا هو: وجـــود الثقة المتبادلة بيـــن الفريقين، وألَّا يتطلع غير المســـلمين إلى المناصب الَّتي لها طبيعة دينيَّة، كما لا يجوز للمســـلمين أن يتدخَّلوا في الشـــؤون الدينيَّة لغير المسلمين، أو يضيقوا عليهم فيها بغير حقٍّ.

والأصل العامُّ في التعامل هو هذه القاعدة الَّتي يتناقلها المســـلمون خاصَّتُهم وعامَّتُهم: لهم ما لنا، وعليهم ما علينا.

وهذا فيما عدا ما اقتضاه الاختلاف أو التميُّـــز الديني بطبيعة الحال لكلٍّ من الطرفيـــن، فهم غير مطالَبِين بالصـــلاة، ولا بالصيام، ولا بزكاة الفطر، ولا بالكفَّارات، ولا بالحجِّ، ولا بغيرها من فرائض الإسلام.

ومن المهمِّ جدًّا أن يكون من حقِّ الأكثريَّة المســـلمة أن تحتكم إلى شـــريعة ربها، وتُطَبِّقها في شـــؤونها، على ألَّا تحيف على حقوق الأقلِّيَّة، ويجب على الأقلِّيَّة ألَّا تضيق صدرًا بذلك، وهو ما كان عليه الأقباط طَوَال العصور الماضية والحديثة، قبل كيد الاستعمار ومَكْرِه، ولم نرَهم يتبرَّمون بالنصِّ على أنَّ دين الدولة الإسلام، بل رأينا كثيرًا من عقلاء المسيحيِّين في مصر وفي غيرها طالبوا مخلصين بوجوب تطبيق الشـــريعة وأحكامها وحدودها، ورأوا في ذلك العلاج الناجع للجرائم والرذائل في مجتمعاتنا.

وكما أنَّ الأقلِّيَّة رضِيَت بالقوانين المســـتورَدة من الخارج، ولم تجدْ في ذلك حرجًا، فأولى بها أن ترضى بشـــريعة الإسلام، فهي قطعًا أقربُ إلى المُثُل العليا الَّتي جاءت بها المسيحيَّة من القوانين الأجنبيَّة، ثمَّ هي قوانين «الدار» الَّتي تعيـــش فيها الأقلِّيَّة وتتعامل معها، فالمســـلم يتقبَّل الشريعة على أنَّها دين وانقياد لله، وغير المســـلم يتقبلها على أنَّها قانون ونظام رضيته الأغلبيَّة، شأنه شأن سائر الأنظمة والقوانين.

QaradawiBooks.com

قلتُ هذا الكلام أو نحوه في الإجابة عن سؤال د. جورج إسحاق، وصفَّق الحاضرون إعجابًا وقبولًا، وبعد انتهاء الندوة جاء الدكتور إسحاق يشدُّ على يدي، ويقول لي: ليتَكَ يا دكتور قرضاوي تأتي إلى الكنيسة لتقول هذا للأقباط في عُقْر دارهم، فإنَّ عندَهم هواجسَ ومخاوفَ كثيرةً من تطبيق شريعة الإسلام، وربَّما ساهم في هذا الخوف بعض المتشدِّدين من المسلمين.

وقلت للدكتور: أنا لا أمتنع عن هذا إذا دُعِيت، والواجب علينا البيان والبلاغ حتَّى لا تلتبس الأمور، وتُفْهَم الحقائق على غير وجهها، ويَسْتَغِلُّ أعداء الأُمَّة ذلك، ليوقدوا نار الفتنة، ويضربوا أبناء الأُمَّة الواحدة بعضهم ببعض، وهم المستفيدون أوَّلًا وآخرًا.

أمَّا الآراء المُتَشَدِّدة والمُضَيِّقة، والَّتي تتمسَّك بحرفيَّة ما جاء في بعض الكتب الَّتي كتبت في زمن غير زمننا، ولمجتمعٍ غير مجتمعنا، وفي ظروفٍ غير ظروفنا، فهي لا تلزمنا، وقد قرَّر المُحَقِّقون من علمائنا: أنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والعُرْف والحال، وقد تغيَّر كُلُّ شيء في حياتنا كمًّا وكيفًا عمَّا كان عليه أيَّام هؤلاء الفقهاء.

إلقاء السلام على المسلمين وغير المسلمين:

أمَّا إلقاء السلام على غير المسلمين فإنْ كانوا في مجلسٍ يجمع بينهم وبين المسلمين فلا خلاف في جواز إلقاء السلام عليهم، وقد روى البخاري في «صحيحه»: أنَّ رسول الله ﷺ رَكِبَ حمارًا حتَّى مرَّ على مجلسٍ فيه أخلاط المسلمين والمشركين وعبدة الأوثان واليهود، وفيهم

QaradawiBooks.com

عبد الله بن أبيٍّ ابنُ سَـلُولَ، وفـي المجلس ابن رَوَاحة، فسـلَّم عليهم النبيُّ ﷺ، ثمَّ وقف فنزل...[١].

وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث بعنوان: «باب التسـليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين».

وقال النووي: السُّنَّة إذا مرَّ بمجلس فيه مسلم وكافر: أن يُسَلِّم بلفظ التعميم ويقصد به المسلم[٢].

ابتداؤهم بالسلام إذا كانوا وحدهم:

وأمَّا ابتداؤهم بالسـلام إذا كانوا وحدهم، فذهب جمعٌ من السلف إلى جواز إلقاء السلام عليهم، واستدلُّوا بأدلَّة منها:

١ ـ قوله تعالـى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨] ومِنْ بِرِّهم: إلقاء السلام عليهم.

٢ ـ وقوله على لسان إبراهيم لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧].

٣ ـ وقوله تعالى آمرًا نبيه: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وذكر القرطبي أنَّ عددًا من السـلف فعل ذلك، ومنهم ابن مسعود، والحسن، والنَّخَعي، وعمر بن عبد العزيز[٣].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٤)، ومسـلم في الجهاد والسير (١٧٩٨)، عن أسامة بن زيد.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤٥/١٤)، نشـر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، وانظر: فتح الباري (٣٩/١١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩م.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١١/١١، ١١٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما ذكر ابن حجر في «الفتح»: أنَّ أبا أُمامة وابن عُيَينة فعلوا ذلك أيضًا.

وممَّا ورد: أنَّ ابن مسعود فعله مع دِهْقان صَحِبَه في طريقه، فلمَّا سئل: أليس يُكْره أن يُبْدؤوا بالسلام؟ قال: نعم، ولكنْ حقُّ الصحبة.

وكان أبو أمامة إذا انصرف إلى بيته لا يمرُّ بمسلمٍ ولا نصرانيٍّ، ولا صغير ولا كبير إلَّا سلَّم عليه، فقيل له في ذلك فقال: أُمِرْنَا أن نُفْشِي السلام.

وسئل الأوزاعي عن مسلمٍ مرَّ بكافرٍ فسلَّم عليه، فقال: إن سلَّمْتُ فقد سلَّم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون قبلك.

وقال أبو أمامة: إنَّ الله جعل السلام تحيَّة لأُمَّتنا وأمانًا لأهل ذِمَّتِنا[1].

وأخرج ابن أبي شَيْبة من طريق عون بن عبد الله عن محمَّد بن كعب: أنَّه سأل عمر بن عبد العزيز عن ابتداء أهل الذمَّة بالسلام، فقال: نردُّ عليهم ولا نبدؤهم. قال عون: فقلت له: فكيف تقول أنت؟ قال: ما أرى بأسًا أن نبدأهم. قلتُ: لم؟ قال: لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ﴾[2].

أمَّا حديث مسلم: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدَهم في طريقه فاضطرُّوه إلى أضيقه**»[3]، فهو مقيَّد بأيَّام الحرب، ويدلُّ على ذلك ما رواه البخاري في «الأدب المفرد»

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٢١٠)، وفي الكبير (١٠٩/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٧٤٧): رواه الطبراني عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي، ضعَّفه النسائي، وقال غيره: مقارب الحديث.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٦٢٦٤). وراجع هذه النقول في تفسير القرطبي (١١١/١١، ١١٢)، وفتح الباري (٣٩/١١).

(٣) رواه مسلم في السلام (٢١٦٧)، وأحمد (٧٦١٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والنسـائي عن أبي بَصْرة أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «**إنِّي راكبٌ غدًا إلى اليهود، فلا تبدؤوهم بالسلام**»[١].

ويمكن القول بتأكيد الجواز إن كان هناك سـببٌ يسـتدعي السلام كقرابة أو صحبة، أو جوار، أو سـفر، أو حاجة، وقد ذكر القرطبي ذلك عن النَّخَعي فقال: مؤوِّلًا حديث أبي هُرَيْرة: «**لا تبدؤوهم بالسـلام**» إذا كان بغير سـبب يدعوكم إلى أن تبدؤوهم بالسـلام من: قضاء ذِمَام، أو حاجةٍ تعرض لكم قِبَلهم، أو حقٍّ، أو جِوَارٍ، أو سفر[٢].

أمَّا إذا كانت التحيَّة بغير السلام فلا مانع منها، كأن يقول له: صباح الخير، مرحبًا، مساء الخير.

ردُّ السلام على غير المسلم:

وأمَّا ردُّ السلام على غير المسلم، فقد اتَّفق العلماء على أنَّه يردُّ على أهل الكتاب بـ «وعليكم»[٣]. ويشـهد لذلك قول النبيِّ ﷺ: «**إذا سـلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[٤].

وقد جعل البخاري هذا الحديث تحت بـاب: «كيف الردُّ على أهل الذمَّة» وعلَّق على ذلك ابن حجر بقوله: في هذه الترجمة إشارة إلى أنَّه لا مانع من ردِّ السلام على أهل الذمَّة، فلذلك ترجم بالكيفيَّة[٥].

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٣٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (١١٠٢)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٤٨).

(٢) انظر: القرطبي (١١٢/١١).

(٣) انظر: موسوعة الإجماع لسعدي أبو جيب (١٥٤/١)، نشر دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٨)، ومسلم في السلام (٢١٦٣) عن أنس.

(٥) انظر: فتح الباري (٤٢/١١).

غير مرخصة للطباعة

ويكون الردُّ بهذه الصيغة «وعليكم» إذا تحقَّق أنَّه قال: «السام عليكم» أو شكَّ فيما قال[١].

أمَّا إذا تحقق من قول: «السلام عليكم» قال ابن القيِّم: فالَّذي تقتضيه الأدلَّة الشرعيَّة وقواعد الشريعة: أن يُقال له: وعليك السلام، فإنَّ هذا من باب العدل، والله يأمر بالإحسان، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فندب إلى الفضل، وأوجب العدل[٢].

وقال الحافظ في «الفتح»: قال ابن بطَّال: «ردُّ السلام على أهل الذمَّة فرضٌ لعموم الآية، وثبت عن ابن عبَّاس أنَّه قال: من سلَّم عليك فرُد عليه ولو كان مجوسيًّا»[٣].

وكنتُ قد قرأتُ منذ زمن بعيد كلامًا لشيخنا العلَّامة السيِّد رشيد رضا في تفسيره «المنار»، وأحبُّ أن أنقل هنا بعض فقرات ممَّا قاله:

«إنَّ الإسلام دينٌ عامٌّ، ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في النَّاس ولو بالتدريج، وجذب بعضهم إلى بعض ليكون البشر كلُّهم إخوة. ومن آداب الإسلام الَّتي كانت فاشية في عهد النبوَّة إفشاء السلام إلَّا مع المحاربين؛ لأنَّ من سلَّم على أحدٍ فقد أمَّنه، فإذا فتك به بعد ذلك كان خائنًا ناكثًا للعهد.

---

(١) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٤٢٥/١)، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، نشر رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) انظر: المرجع السابق (٤٢٥/١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٦٢٧٩)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٠٧)، وحسَّنه الألباني في الأدب المفرد (٨٤٧)، وانظر: فتح الباري (٤٢/١١).

QaradawiBooks.com

ورُوِيَ عن بعض الصحابة كابن عبَّاس أنَّهم كانوا يقولون للذِّمِّي: السلام عليك. وعن الشَّعْبِيِّ من أئمَّة السلف أنَّه قال لنصرانيٍّ سلَّم عليه: وعليك السلام ورحمة الله تعالى. فقيل له في ذلك، فقال: «أليس في رحمة الله يعيش؟!»[1]. وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف[2]، وروى ابن المنذر عن الحسن أنَّه قال ﴿فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾: للمسلمين ﴿أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ لأهل الكتاب[3]، وعليه يُقال للكتابيِّ في ردِّ السلام عين ما يقوله وإن كان فيه ذكر الرحمة».

إلى أن يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمَّا جعل تحيَّة الإسلام عامَّة، فعندي أنَّ ذلك مطلوب، وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أنَّ اليهود كانوا يُسَلِّمون على المسلمين فيردُّون عليهم، فكان من تحريفهم ما كان سببًا لأمر النبيِّ ﷺ بأمر المسلمين أن يردُّوا عليهم بلفظ «وعليكم»، حتَّى لا يكونوا مخدوعين للمُحَرِّفين.

ومن مقتضى القواعد أنَّ الشيء يزول بزوال سببه، ولم يَرِدْ أنَّ أحدًا من الصحابة نهى اليهود عن السلام؛ لأنَّهم لم يكونوا ليحظروا على النَّاس آداب الإسلام، ولكن خَلَف من بعدهم خَلْفٌ أرادوا أن يمنعوا غير المسلم من كلِّ شيء يعمله المسلم؛ حتَّى من النَّظَر في القرآن، وقراءة الكتب المشتملة على آياته، وظنُّوا أنَّ هذا تعظيم للدِّين، وصون له من

(١) المنتقى شرح الموطأ للباجي (٢٨١/٧)، نشر مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

(٢) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ فقال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». متَّفق عليه: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، كلاهما في الإيمان.

(٣) رواه ابن المنذر في التفسير (٢٠٧٥)، تحقيق سعد بن محمد السعد، نشر دار المآثر، المدينة النبويَّة، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

المخالفين، وكلَّما زادوا بُعْدًا عن حقيقة الإسلام زادوا إيغالًا في هذا الضرب من التعظيم، وإنَّهم ليُشاهدون النصارى في هذا العصر يجتهدون بنشر دينهم، ويوزعون كثيرًا من كتبه على النَّاس مجانًا، ويعلِّمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليُقَرِّبوهم من دِينِهم ويجتهدون في تحويل النَّاس إلى عاداتهم وشعائرهم ليَقْرُبوا من دينهم».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث «**لا تبدؤوهم بالسلام**»:

فيظهر هنا أنَّه نهاهم أن يبدؤوهم؛ لأنَّ السلام تأمين، وما كان يجب أن يُؤَمِّنهم وهو غير أمين منهم لِمَا تكرَّر من غدرهم ونَكْثهم للعهد معه، فكان ترك السلام عليهم تخويفًا ليكونوا أقرب إلى المواتاة، وقد نقل النووي في «شرح مسلم»[1] جواز ابتدائهم بالسلام عن ابن عبَّاس، وأبي أُمَامة، وابن أبي مُحَيْرِيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال وهو وجهٌ لأصحابنا[2].

* * *

(١) انظر: شرح النووي (١٤/١٤٥) ونص كلامه: وذهبت طائفة إلى جواز ابتدائنا لهم بالسلام، رُوي ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة وابن أبي محيريز، وهو وجه لبعض أصحابنا. حكاه الماوردي.

(٢) انظر: تفسير المنار (٥/٢٥٥، ٢٥٦)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦

شبهات حول الإرهاب

غير مرخصة للطباعة

إنَّنا نُدِينُ الإرهاب بكلِّ صورة، مهما كانت دوافعه ومنطلقاته خَيِّرة في نظر أصحابه، فرأيي أنَّ الإسلام يرفض الفلسفة الَّتي تقول: الغاية تُبَرِّر الوسيلة.

فالإسلام يلتزم ويلزم بشرف الغاية وطُهْر الوسيلة معًا، ولا يُجِيز بحالٍ الوصول إلى الغايات الشريفة بطُرُقٍ غير نظيفة، لا يُجِيز للمسلم أن يأخذ الرِّشْوة مثلًا، أو يختلس المال، ليبني به مسجدًا، أو يُقيم به مشروعًا خيريًّا: «**إنَّ الله طَيِّب لا يقبل إلَّا طَيِّبًا**»[(١)].

ونحن كما نُدِين الإرهاب نُدِين العنفَ ونُنْكِره باسم الشرع، ولكن ما العنف الَّذي ننكره؟ وما الإرهاب؟ وما الفرق بينهما؟ إنَّ تحديد المفاهيم هنا «ضرورة علميَّة»، حتَّى لا تبقى هذه الكلمات الخطيرة مائعة ورجراجة يُفَسِّرها كلُّ فريقٍ بما يحلو له.

العنف[(٢)] ـ فيما أرى ـ أن تستخدم فئةٌ القوَّةَ المادِّيَّة في غير موضعها، وتستخدمها بغير ضابطٍ من خُلُق أو شرعٍ أو قانون. ومعنى «في غير موضعها»: أن تُسْتَخدم حيث يمكن أن تُسْتَخدم الحُجَّة أو الإقناع بالكلمة

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) للمزيد راجع كتابنا: الإسلام والعنف نظرات تأصيلية، نشر دار الشروق، ط١، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

والدعوة والحوار بالَّتي هي أحســن، وهي حين تستخدم القوَّة لا تُبالي مَنْ تقتل من النَّاس، ولا تسأل نفســها: أيجوز قتلُهم أم لا؟ وهي تعطي نفسها سلطة المفتي والقاضي والشرطي.

هذا هو العنف، أمَّا الإرهاب فهو: أن تستخدم العنف مع من ليس بينك وبينه قضيَّة، وإنَّما هو وســيلة لإرهاب الآخرين وإيذائهم بوجهٍ من الوجوه، وإجبارهم على أن يخضعــوا لمطالبك، وإن كانت عادلة في رأيك.

ويدخل في ذلك: خطــف الطائرات، فليس بيــن الخاطف وركاب الطائــرة ـ عادة ـ قضيَّة، ولا خــلاف بينه وبينهم، إنَّما يتَّخذهم وســيلةً للضغط على جهةٍ معيَّنة، مثــل: الضغط على حكومة الطائرة المخطوفة، لتحقيق مطالبَ له؛ كإطلاق مســاجين أو دفع فدية، أو نحو ذلك، وإلَّا قتلوا من قتلوا من ركاب الطائرة، أو فجَّروها بمن فيها.

كما يدخل في ذلك: احتجاز رهائن لديــه، لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولكن يتَّخذهم وسيلةَ ضغطٍ لتحقيق مطالبه أو يقتل منهم من يقتل، كما فعلت جماعة أبو سيَّاف في جنوب الفِلِبِّين وغيرهم.

ومن ذلك: قتل السُّــيَّاح في مصر، كما في مذبحة الأقصر، لضَرْب الاقتصاد المصري، للضغط على الحكومة المصريَّة.

ويدخل في هــذا: ما حدث في جزيرة «بالي» في إندونيســيا، فليس هناك مشكلة بين الَّذين ارتكبوا هذه الجريمة وهؤلاء السُّيَّاح.

ومن ذلك: ما حدث في ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م في نيويورك وواشنطن، من اختطاف الطائرات المدنيَّة برُكَّابها: مــن المَدنيِّين الَّذين ليس بينهم

QaradawiBooks.com

وبين خاطفيها مشكلة أو نزاع، واستخدامها «آلة هجوم» وتفجيرها بمن فيها، للضغط والتأثير على السياسة الأمريكيَّة.

وكذلك ضرب المَدنيِّين البــرآء في برجَيْ مركز التجــارة العالمي في نيويورك، وفيهم أُناس لا علاقة لهم باتِّخاذ القرار السياسي، وكلُّهم مواطنون يؤدُّون عملهم اليومي الَّذي يَعيشون منه، ومنهم مسلمون وغيرهم.

وإذا كُنَّا نُدين العنف بصفة عامَّة، فنحن نُدِين الإرهابَ بصفة خاصَّة، لما فيه من اعتداء على أُناسٍ ليس لهم أدنى ذنب يؤاخذون به ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطــر: ١٨]، ولِمَا فيه من ترويع البرآء الآمنين، وترويعهم في نظر الإسلام ظلم عظيم.

وقد أصدرت فتوى ـ منذ بِضْعَةَ عشر عامًا ـ بتحريم خطف الطائرات، وذلك بعد حادثة خطف الطائرة الكويتيَّة، وبقاء ركابها فيها محبوســين سِتَّةَ عَشَرَ يومًا، كما قتلوا واحدًا أو اثنين من رُكَّابها.

كما أفتيــتُ بتحريم حجز الرهائــن والتهديد بقتلهــم، إنكارًا على ما اقترفته جماعة «أبو سيَّاف».

وكذلك أصدرت بيانًا ـ عقب أحداث الحادي عشــر من ســبتمبر ـ أدنت فيه هذا العمل ومقترفيه، أيًّا كان دِينُهم أو جنسهم أو وطنهم.

وأيضًا أدَنْتُ الإرهــاب بوضوح في خُطَبــي ومحاضراتي ومقالاتي وكُتُبي، ومن ذلك: ما ذكرته فــي كلمتي الَّتي ألقيتُها فــي مؤتمر القمة الإسلاميَّة المسيحيَّة، الَّذي عقد في روما في أكتوبر ٢٠٠١م.

ومن ذلك: أن نبحث عن أســباب الإرهاب فــي العالم، ونجتهد أن نجتثَّها مــن جذورها، وأعظم أســباب الإرهاب هو: الظلــم والطغيان،

QaradawiBooks.com

والاستكبار في الأرض على النَّاس المستضعفين الَّذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلًا.

ولكن هنا يحق لنا أن نسأل عن العنف والإرهاب: هل هما ظاهرة إسلاميَّة؟ أو هما ظاهرة عالميَّة؟ فبعض أبواق الإعلام الغربي ـ ومن يدور في فلكها في ديارنا ـ تريد أن يبرز الإرهاب، وكأنَّه مقصور على المسلمين، أو كأنَّ جنسيَّته إسلاميَّة، وخصوصًا بعد أحداث ١١ سبتمبر، وهذا خطأٌ فاحش، بل ظُلْمٌ مُبِين.

لقد وجدنا العنف في أقطار ودول شتَّى في أنحاء العالم. لقد وجدناه في كلِّ القارَّات: في بريطانيا، وفي اليابان، وفي أمريكا نفسها، وفي الهند، وفي إسرائيل، فلماذا ألصق بالمسلمين وحدهم دون غيرهم؟ إنَّه الإعلام الغربي والأمريكي والصهيوني، الَّذي يكتم الحقَّ، ويُشِيع الباطل، ويقولون على النَّاس الكذب وهم يعلمون.

والحقُّ أنَّ أمريكا الَّتي ساندت الدولة الَّتي قامت على الدم والإرهاب من أوَّل يوم، ومن قبل أن تقوم دولة بني صهيون، تمارس هي نوعًا من الإرهاب كما تُحَدِّده هي كما تشاء، وبلا مُعَقِّب، معلنة أنَّ من ليس معها فهو مع الإرهاب!

وللأسف هناك جهات إعلاميَّة في الغرب تخلط بين الإرهاب والجهاد، الإرهاب الَّذي يُدِينه الإسلام ويرفضه، ولذا فكما بيَّنَّا الإرهاب المرفوض في الإسلام، نُبَيِّن معنى الجهاد الَّذي يُفْهَم خَطَأً.

كلمة «الجهاد» مثل كلمة «الاجتهاد» كلتاهما مشتقَّة من كلمة «جهد» ومعناها: بذل «الجهد» وهو الطاقة أو تحمل «الجُهد» وهو المشقَّة.

QaradawiBooks.com

ولكن «الاجتهـاد» يعني: بـذل الجهـد أو تحمل الجهـد العلمي والفكري لمعرفة أحكام الشرع واستنباطها من أدلتها.

أمَّا «الجهاد» فهو يعني: بذل الجهد أو تحمل الجهد البدني والنفسي والعملي من أجل الدفاع عن الدِّين، حتَّى تكون كلمة الله هي العليا.

وهو يبدأ بجهاد النفس، ثمَّ جهاد الشيطان، ثمَّ جهاد الظلم والفساد في المجتمع، ثمَّ بجهاد الكفَّار والمنافقين.

وقد قسَّـم ابن القيِّم في كتابه الشهير «زاد المعاد» الجهاد إلى ثلاثَ عشْـرةَ مرتبة: أربع منها لجهاد النفس، واثنتان لجهاد الشيطان، وثلاث لجهـاد الظلم والفسـاد والمنكر في المجتمـع، وأربع لجهـاد الكفَّار والمنافقين بالأيدي والألسنة والأموال والقلوب.

وواحدة فقط من هذه الأربع هي الَّتي اشتهرت باسم «الجهاد» وهي قتال الكفَّار بالسيف أو باليد.

مع أنَّ من تأمَّل النصوص وجدها تُفَرِّق بين مفهوم «الجهاد» ومفهوم «القتال» فكلُّ مسـلمٍ يجب أن يكون مجاهـدًا، وليس من الضروري أن يكون مُقَاتِلًا، إلَّا حين يُفْرَض عليه القتال لسببٍ من الأسباب، كما قال تعالـى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولقد رأينا القرآن يتحدَّث عن الجهاد في العهد المَكِّي، قبل أنْ يُشْرَع القتال، وهو جهاد الدعوة وتبليغ الرسـالة وإقامـة الحُجَّة، هو «الجهاد البياني» بالقرآن، كما قال تعالى في سورة الفرقان يخاطب رسوله محمدًا ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقـرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، ومثله جهاد الصبر على تبليغ الدعوة، وتحمُّل الأذى والمحنة

QaradawiBooks.com

في سبيل الله كما قال تعالى في أوائل سورة العنكبوت: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٦]. فهو جهاد التحمُّل والثبات على المشاقِّ والعذاب لأجل الدين.

وفي ختام سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالجهاد هنا سِلميٌّ، يعني: جهاد النفس والشيطان، في طاعة الله، وابتغاء مرضاته.

وقد ظلَّ الرسول ﷺ وأصحابه خلال العهد المكِّي «مجاهدين»، ولم يكونوا «مقاتلين» يتحمَّلون الاضطهاد والحصار، والإيذاء حتَّى كانوا يأتون إلى الرسول ما بين مشجوج ومضروب ومكسور، ويقولون: ائذن لنا أن نقاتل دفاعًا عن أنفسنا، فيقول لهم: «**كُفُّوا أيديَكم، وأقيموا الصلاة**»(١).

حتَّى كانت الهجرة وأصبح للإسلام دار، وتكوَّنت للمسلمين قاعدةٌ صلبة، فأذن الله للمسلمين الَّذين ظُلموا وأُخرجوا من ديارهم بغير حق أنْ يدافعوا عن أنفسهم، تقريرًا لحُرِّيَّة التديُّن، وذودًا عن حرمات الأديان وأماكن العبادة كلِّها، لليهود والنصارى والمسلمين جميعًا. لنقرأ هذه

(١) إشارة إلى حديث، عبد الرحمٰن بن عوف وأصحاب له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! فقال: «إنِّي أمرت بالعفو فلا تقاتلوا». فلما حوَّلنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]. رواه النسائي (٣٠٨٦)، والحاكم (٦٦/٢)، كلاهما في الجهاد، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عبَّاس.

QaradawiBooks.com

الآيات: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

ثمَّ أمر المسلمون أن يقاتلوا من يقاتلهم ويَكفُّوا أيديهم عمَّن يسالمهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة هي الاضطهاد في الدِّين من أجل العقيدة، وهو ما اعتبره الإسلام أشدَّ من القتل، وأكبرَ من القتل؛ لأنَّ القتل اعتداء على الجسد، والفتنة اعتداء على الفِكْر والرُّوح.

ويُقرِّر القرآن وجوب القتال لإنقاذ المستضعَفِين في الأرض من الشيوخ والنساء والولدان الَّذين لا يجدون لهم وليًّا ولا نصيرًا، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

وفي مقامٍ آخر قال القرآن عن المشركين: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

فالإسلام لا يتشوَّف إلى القتال، ولا يتطلَّع إلى سفْك الدماء، بل إذا انتهت الأزمة بين المسلمين وخصومهم بغير دماءٍ ولا قتال، عقَّب القرآن

QaradawiBooks.com

بمثل هذه الكلمة المُعبِّرة: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]. فما أبلغ هذه الكلمة وما أصدقَها تعبيرًا عن رُوح الإسلام السلميَّة ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾.

وحين انتهت غزوة الحُدَيْبِيَة بالصلح مع قريش، وإقامة الهدنة بين الفريقين، نزلت في ذلك سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقال الصحابة: أفتح هو يا رسولَ الله؟ قال: «**نعم، هو فتح**»[(١)]. فلم يتصوَّروا فتحًا بغير حرب.

وفي هذه السورة امتنَّ الله على المؤمنين فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] فانظر كيف امتنَّ بكفِّ أيدي المؤمنين عن أعدائهم.

وكان الرسول الكريم ـ وهو أشجع النَّاس ـ لا يحبُّ الحرب، ويقول لأصحابه: «**لا تتمنَّوْا لقاء العدوِّ، وسلوا اللهَ العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف**»[(٢)].

وكان يقول: «**أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن، وأقبح الأسماء: حربٌ ومُرَّة**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٧٣٦)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٨٠٠٢)، والحاكم في قسم الفيء (١٣١/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن مجمع بن جارية. وهو متَّفق عليه بنحوه عن سهل بن حنيف: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، والسائل فيه عمر بن الخطاب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن ابن أبي أوفى.

(٣) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٠٤، ١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي. وعلَّل الإمام الخطابي قبح اسم (حرب) لما في الحرب من المكاره. انظر: معالم السنن (١٢٦/٤، ١٢٧)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

QaradawiBooks.com

حتَّى لفظة «حرب» يكرهها، ولا يحبُّ التسمية بها، كما كان يفعل العرب في الجاهليَّة، مثل حرب بن أُمَيَّة.

ومع هذا يُحرِّض الإسلام على القتال، وبذل النفس والنفيس، إذا انتهكت حرماته، أو حوربت دعوتُه، أو احتُلت أرضُه، أو ديست مقدَّساتُه، بمثل هذه الآيات: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

وهذه الرُّوح القتاليَّة المستبسلة هي الَّتي يخشاها خصوم الإسلام، ويريدون إخماد جذوتها، أو على الأقلِّ إضعافها ما استطاعوا، حتَّى يستسلم المسلمون لهم، ويُذْعنوا لإرادتهم، وهذا ما لا يكون، ما دام للمسلمين قرآن يُتلى، وأحاديثُ تُحْفَظ، ومنابر تُذَكِّر.

وقد حاول الاستعمار من قديم إنشاء نِحَل مثل «القاديانيَّة» تنادي بفكرة: «إلغاء الجهاد» ولكنَّها أخفقت، ولم تقدر على تغيير جوهر الأُمَّة.

وهذه آثار الرُّوح الجهاديَّة نراها اليوم ماثلة للعيان في الانتفاضة الفِلَسْطِينيَّة، والمقاومة الفِلَسْطِينيَّة الباسلة، الَّتي أذهلت العالم بما قدمت من بطولات وتضحيات وشهداء، رغم ضعف الإمكانات وقلَّة الناصرين.

لكنَّه برغم هذا لا يُغلق الأبواب في وجه المُسَالَمة والمُصَالَحة، إذا تهيَّأت أسبابها، فقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

والجهاد في الإسلام تحكمه «أخلاقيَّات» صارمة ملزمة، فلا يُجِيز إلَّا قَتْل من يُقاتل، ولا يقتل النساء ولا الولدان والشيوخ الكبار، ولا الرهبان

QaradawiBooks.com

ولا الفلَّاحون أو التُّجَّار، ولا يُجِيز الغدر ولا التمثيل بالجثث، ولا قطع الأشجار، ولا هدم الأبنية، ولا تسميم الآبار، ولا يتبع ما يُسَمُّونه: سياسة الأرض المحروقة.

وهذا ما شـــهد به المُؤرِّخون للمسلمين في فتوحهم الَّتي كانت في حقيقتها تحريرًا للشـــعوب من طغيان الإمبراطوريات القديمة (الفُرْس والرُّوم) وقالوا: ما عرف التاريخ فاتحًـــا أعدل ولا أرحم من العرب[1]. أي المسلمين.

كيف نفهم آيات القتال؟

ومن قرأ القرآن بتدبُّر، وضمَّ آياتِه بعضها إلى بعض، تبيَّن له أنَّه إنَّما شـــرع القتال لمن يقاتل المســـلمين، أو يعتدي على حرماتهم، أو على المستضعفين من عباد الله، كما نرى في هذه الآيات:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠، ١٩١].

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

(١) انظر: حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ ٦٠٥، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م.

QaradawiBooks.com

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

ليس القتال لإكراه النَّاس على الإسلام:

وليس القتال في الإسلام لإكراه النَّاس على الدخول في الإسلام، فالإسلام يرفض بصورة قاطعة الإكراه في الدِّين.

يقول تعالى في القرآن المَكِّي: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ويقول في القرآن المدني: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

بل هذا الرفض للإكراه مُقَرَّر من عهد نُوح شيخ المرسلين: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

والقرآن لا يعتبر الإيمان إيمانًا إلَّا إذا نشأ عن اختيار حُرٍّ، وإلَّا رُفِض، مثل إيمان فرعون حينما أدركه الغرق: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] فكان الرد الإلٰهي عليه: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

QaradawiBooks.com

وكذلك رفض القرآن إيمان الأمم الَّتي تعلن الإيمان حين ينزل بها بأس الله وعقوبته ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

القتال ـ إذن ـ ليس لكُفْر الكُفَّار، فالكفر واقع بمشيئة الله تعالى، المرتبطة بحكمته.

وتَعَدُّد الأديان أمرٌ مفروغ منه في عقيدة المسلم، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. أي خلقهم ليختلفوا، ما دام قد أعطى كلًّا منهم العقل والإرادة.

القتال لمنع الفتنة في الدين:

وشرع الإسلام القتال كذلك لمنع الفتنة في الدِّين، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

والفتنة هي: مصادرة حُرِّيَّة النَّاس واضطهادهم من أجل عقيدتهم، مثل «أصحاب الأخدود» الَّذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات. والقرآن يعتبر هذه الفتنة للنَّاس أشدَّ من القتل، وأكبر من القتل؛ لأنَّ القتل يتلف الجسم، والفتنة تُتلف العقل والإرادة، وهما حقيقة الإنسان. ولذا ردَّ القرآن على المشركين الَّذين أعظموا القتال في الشهر الحرام، وقد وقع خطأً من بعض المسلمين، في حين أنَّهم هوَّنوا من صدهم عن سبيل الله، وإخراج النَّاس من ديارهم وفتنتهم في دينهم، فقال تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومعنى هذا أنَّ الإسلام يشرع القتال، ليُهيِّئ مناخ الحُرِّيَّة للنَّاس، ليؤمن من آمن عن إرادةٍ واختيارٍ حُرٍّ، ولا يخشى الفتنة في دِينه، والاضطهاد من أجل عقيدته.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

جريمة الرِّدَّة وعقوبة المرتدِّ

من أبرز الشبهات الَّتي يثيرها الغربيُّون وتلاميذهم وفروخهم حول الإسلام: موقف الإسلام من الرِّدَّة والمرتدين عنه، فهو لا يسمح لأحد أن يتركه بعد أن دخل فيه، ومن فعل ذلك حكم عليه بالقتل. وكأنَّ الإسلام بذلك يُكره النَّاس على البقاء فيه، ويسجنهم في قفصه بغير اختيارهم، وإلَّا أطار رؤوسهم بحدِّ السيف، كما قاتل أبو بكر الخليفة الأوَّل والصحابة معه في حرب المُرْتَدِّين من قبائل العرب.

وهذا ما جعل بعض الكتاب المُحْدَثين والمعاصرين ينكرون حدَّ الرِّدَّة، أو عقوبة الرِّدَّة ويقولون: إنَّها لم ترد في القرآن، كما ورد حدُّ السرقة، وحدُّ الزِّنى، وحدُّ القذف، وحدُّ الحرابة، بل ليس في القرآن آية واحدة تشير إلى عقوبة المرتدِّ!

بل ورد في القرآن ما يؤكِّد حُرِّيَّة الأفراد في اختيار دينهم، كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قَ: ٤٥]، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ويقول هؤلاء الكُتَّاب المُتَحَرِّرون: إنَّ كلَّ ما ورد في الرِّدَّة من الأحاديث: حديث واحد، لا ثاني له، وهو الَّذي يقول: «**من بدَّل دِينَه**

QaradawiBooks.com

فاقتلوه»[١]. ومثل هذا الحديث لا يُقاوم ظاهر القرآن، ولا يُشَرِّع هذا الحكم الخطير، وهو «قتل المرتد»، وهو عقوبة على جريمة فرديَّة تعتبر من جرائم الرأي، وإعمال العقل. فهل يحظر على الإنسان أنْ يُفَكِّر وأنْ يُغَيِّر موقفه بناءً على تفكيره؟

والجواب: أنَّ هذه الشبهات أو التساؤلات تشتمل على أغلاط أو مغالطات كثيرة، فليست «الرِّدَّة» مجرَّد جريمة فرديَّة لا أثر لها في المجتمع، وليست بجريمة هيِّنة الأثر والخطر، وليست مجرَّد رأيٍ يختاره المسلمُ بدل رأيٍ آخر.

كما أنَّه ليس صحيحًا أنَّ القرآن ليس فيه آيةٌ واحدة تُشير إلى عقوبة المرتدِّ، فهذا من سوء الفهم للقرآن، ومن القصور في استيعاب آياته وأحكامه.

وكذلك ليس بصحيحٍ أنَّ السُّنَّة النبويَّة لم يَجِئْ فيها بشأن الرِّدَّة إلَّا حديث واحد، فهذا ناشئ عن الجهل بالسُّنَّة، والقصور في الإحاطة بمصادرها، وهي ميسورة لمن يطلبها من الباحثين الجادِّين.

كما أنَّ عقوبة القتل للمرتدِّ ليست مُجْمَعًا عليها، فهناك من الفقهاء ـ كالنَّخَعي والثوري ـ من لم يرَ القتل لازمًا، ورأى أنَّ المرتد يُسْتَتاب أبدًا. وهو مَرْوِيٌّ عن الفاروق عمر.

خطر الرِّدَّة على المجتمع المسلم:

لقد بيَّنَّا في دراسة[٢] لنا: أنَّ أشدَّ ما يواجه المسلم من الأخطار: ما يُهَدِّد وجوده المعنوي، أي ما يُهَدِّد عقيدته، ولهذا كانت الرِّدَّة عن

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠١٧)، عن ابن عباس.

(٢) راجع كتابنا: قضية التكفير بين الغلو والضوابط الشرعية.

QaradawiBooks.com

الدِّين ـ الكفر بعد الإسلام ـ أشدَّ الأخطار على المجتمع المسلم. وكان أعظم ما يكيد لـه أعداؤه أنْ يفتنوا أبناءه عن دينهم بالقوَّة والسلاح أو بالمكر والحِيلة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

وفي عصرنا تَعَرَّض المجتمع المسلم لغزواتٍ عنيفة، وهجماتٍ شرسة، تهدف إلى اقتلاعه من جذوره، تمثَّلت في الغزو التنصيري، الَّذي بدأ مع الاستعمار الغربي، والَّذي لا يزال يمارس نشاطه في العالم الإسلامي، وفي الجاليات والأقلِّيَّات الإسلاميَّة، ومن أهدافه: تنصير المسلمين في العالم، كما وضح ذلك في مؤتمر «كلورادو» الَّذي عقد هناك سنة ١٩٧٨م. وقُدمت له أربعون دراسة حول الإسلام والمسلمين، وكيفيَّة نشر النصرانيَّة بينهم. ورصد لذلك ألف مليون دولار، وأسَّس لذلك «معهد زويمر» لتخريج المُتخصِّصين في تنصير المسلمين.

كما تمثلت في الغزو الشيوعي الَّذي اجتاح بلادًا إسلاميَّة كاملة في آسيا، وفي أوربا، وعمل بكل جهد لإماتة الإسلام، وإخراجه من الحياة نهائيًّا، وتنشئة أجيال لا تعرف من الإسلام كثيرًا ولا قليلًا.

وثالثة الأَثَافِيِّ: الغزو العِلماني اللاديني، الَّذي لا يبرح يقوم بمهمَّته إلى اليوم في قلب ديار الإسلام، يستعلن حينًا، ويستخفي أحيانًا، يطارد الإسلام الحقَّ، ويحتفي بالإسلام الخرافي، ولعلَّ هذا الغزو هو أخبث تلك الأنواع وأشدُّها خطرًا.

وواجب المجتمع المسلم ـ لكي يحافظ على بقائه ـ أن يقاوم الرِّدَّة من أي مصدر جاءت، وبأيِّ صورة ظهرت، ولا يدع لها الفرصة، حتَّى تمتدَّ وتنتشر، كما تنتشر النار في الهشيم.

QaradawiBooks.com

هذا ما صنعه أبـو بكر والصحابة ﷺ معه، حين قاتلـوا أهل الرِّدَّة، الَّذين اتَّبعوا الأنبياء الكذبة: مُسَـيْلمة وسَـجَاح والأسـدي والعَنْسِـي وغيرهم، والَّذين كادوا يقضون على الإسلام في مهده.

ومـن الخطر كل الخطـر: أن يُبتلـى المجتمع المسـلم بالمرتدِّين المارقين، وتشـيع بين جنباته الرِّدَّة الَّتي ذاعت في هذا العصر، وغزت أفكار أبنائه، حتَّى شككتهم في شـريعتهم، ولا تجد من يقاومها، وهو ما عبَّر عنها أحد الدعاة المرموقين بقوله: «رِدَّة ولا أبا بكر لها»[1]!

ولا بدَّ من مقاومة الرِّدَّة الفرديَّـة وحصارها، حتَّى لا تتفاقم ويتطاير شررها، وتغدو ردة جماعية، فمعظم النار من مستصغر الشرر.

إجماع الفقهاء على عقوبة المرتدِّ:

ومن ثمَّ أجمع فقهاء الإسلام على عقوبة المرتدِّ ـ وإن اختلفوا في تحديدها ـ وجمهورهم على أنَّها القتـل، وهو رأي المذاهب الأربعة، بل الثمانية.

القرآن وعقوبة المرتدِّ:

وأودُّ أن أُقرِّر هنا: أنَّه ليس صحيحًا أنَّ القرآن خلا من أي آية تشـير إلى عقوبة المرتدِّ في الدُّنْيا. وليس فيـه إلَّا قوله وتعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وهذه الآية في ذاتها تجرِّم الـرِّدَّة، وتعتبرها موجبة للخلود في النار، وهذا لا يكون إلَّا في الجرائم الكبرى.

(١) عنوان رسالة لطيفة للعلَّامة أبي الحسن الندوي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ثُمَّ إنَّ من علماء السلف كأبي قِلَابة وغيره، من قال: إن آية «الحرابة» في سورة المائدة نزلت في شأن المرتدين، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

كما أنَّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤] فالآية تشير بوضوح إلى أنَّ من سُنَّة الله تعالى: ألَّا يدع المرتدِّين يعيثون في الأرض فسادًا، ولا يقاومهم أحد، بل من شأنه تعالى أن يُهَيِّئ لهم قومًا من أهل الإيمان والجهاد يقاومون رِدَّتهم، ويعيدونهم إلى حظيرة الإيمان.

وأمَّا السُّنَّة فقد وردت فيها جملة أحاديث صحيحة عن عدد من الصحابة؛ عن ابن عبَّاس وأبي موسى ومعاذ وعليٍّ وعثمان وابن مسعود وعائشة وأنس وأبي هُرَيْرة ومعاوية بن حَيْدة. وقد جاءت بصيغ مختلفة وليس حديثًا واحدًا كما زعم بعضهم.

استتابة المرتدِّ وجوبًا:

على أنَّ جمهور الفقهاء الَّذين قالوا بقتل المرتدِّ أوجبوا أنْ يُستتاب قبل ذلك، وأنْ يُناقش، ويُعرف ما عنده ويردُّ عليه، وتُفَنَّد شبهاته، ويُزال عذره، ومن تاب قبلت توبته بلا ريب.

من الفقهاء من لم يرَ قتل المرتدِّ:

ومع أنَّ الجمهور قالوا بقتل المرتدِّ، فقد ورد عن عمر بن الخطاب ما يخالف ذلك:

QaradawiBooks.com

روى عبد الرزاق والبيهقي وابن حزم: أنَّ أنسًا عاد من «تستر» فقدم على عمر فسأله، ما فعل الستَّة الرهط من بكر بن وائل، الَّذين ارتدُّوا عن الإسلام، فلحقوا بالمشركين؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، قوم ارتدُّوا عن الإسلام، ولحقوا بالمشركين، قُتلوا بالمعركة. فاسترجع عمر (أي قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)؟ قال أنس: وهل كان سبيلهم إلَّا القتل؟ قال: نعم، كنتُ أعرض عليهم الإسلام، فإن أبوا أودعتهم السجن[1].

ومعنى هذا الأثر: أنَّ عمر لم يرَ عقوبة القتل لازمة للمرتدِّ في كلِّ حال، وأنَّها يمكن أن تسقط أو تؤجَّل، إذا قامت ضرورة لإسقاطها أو تأجيلها. والضرورة هنا: حالة الحرب، وقرب هؤلاء المرتدِّين من المشركين وخوف الفتنة عليهم، ولعلَّ عمر قاس هذا على ما جاء عن النبيِّ ﷺ في قوله: «**لا تُقْطَع الأيدي في الغَزْوِ**»[2]، وذلك خشية أن تدرك السارق الحَمِيَّة فيلحق بالعدوِّ.

وهناك احتمال آخر: وهو أن يكون رأي عمر أنَّ النبيَّ ﷺ حين قال: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**» قالها بوصفه إمامًا للأُمَّة، ورئيسًا للدولة، أي أنَّ هذا قرار من قرارات السلطة التنفيذيَّة، وعمل من أعمال السياسة الشرعيَّة وليس فتوى وتبليغًا عن الله، تلزم به الأُمَّة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ وحال. فيكون قتل المرتدِّ وكلُّ من بدَّل دينَه من حقِّ الإمام، ومن اختصاصه وصلاحية سلطته، فقد يرى عقوبته بالسجن، وقد يرى عقوبته بالقتل، فإذا أمر بذلك نفذ، وإلَّا فلا.

(١) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٦٩٦)، والبيهقي في المرتد (٢٠٦/٨).

(٢) رواه أحمد (١٧٦٢٦)، وقال مخرِّجوه: رجاله موثقون. والترمذي في الحدود (١٤٥٠)، وقال: غريب. وصحَّحه الألباني في المشكاة (٣٦٠١)، عن بسر بن أرطاة.

QaradawiBooks.com

على نحو ما قال الحنفيَّة والمالكية في حديث: «**من قتل قتيلًا له عليه بيِّنة فله سلبه**»[١]، وما قال الحنفيَّة في حديث: «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له**»[٢].

وهذا هو قول إبراهيم النَّخَعي، وكذلك قال الثوري: هذا الَّذي نأخذ به[٣].

وفي لفظ له: يُؤَجَّل ما رجيت توبته[٤].

والَّذي أراه: أنَّ العلماء فرَّقوا في أمر البدعة بين المغلَّظة والمخفَّفة، كما فرَّقوا في المبتدعين بين الداعية وغير الداعية. وكذلك يجب أن نفرِّق في أمر الرِّدَّة بين الغليظة والخفيفة، وفي أمر المرتدِّين بين الداعية وغير الداعية.

فما كان من الرِّدَّة مُغَلَّظًا وكان المرتدُّ داعية إلى بدعته بلسانه أو بقلمه، فالأولى في مثله التغليظ في العقوبة، والأخذ بقول جمهور الأُمَّة، وظاهر الأحاديث، استئصالًا للشرِّ، وسدًّا لباب الفتنة، وإلَّا فيمكن الأخذ بقول النَّخَعي والثوري، وهو ما روي عن الفاروق عمر.

إنَّ المرتدَّ الداعية إلى الرِّدَّة ليس مجرَّد كافر بالإسلام، بل هو حرب عليه وعلى أُمَّته، فهو مندرج ضمن الَّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا، والمحاربة ـ كما قال ابن تيمية ـ «نوعان: محاربة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٣٢١)، ومسلم (١٧٥١)، كلاهما في الجهاد، عن أبي قتادة.

(٢) رواه أحمد (١٤٨٣٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الأحكام (١٣٧٩)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٥)، عن جابر.

(٣) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٦٩٧).

(٤) ذكره ابن تيمية في الصارم المسلول لابن تيمية صـ ٣٢١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر الحرس الوطني السعودي، السعودية.

QaradawiBooks.com

باليد، ومحاربة باللسان، والمحاربة باللسان في باب الدِّين قد تكون أنكى من محاربة باليد، ولذا كان النبيُّ ﷺ يقتل من كان يحاربه باللسان، مع استبقائه بعضَ من حاربه باليد. وكذلك الإفساد قد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد... فثبت أنَّ محاربة الله ورسوله باللسان أشدُّ، والسعي في الأرض بالفساد باللسان أَوْكَد» انتهى[1].

والقلم أحد اللِّسَانَيْن، كما قال الحكماء، بل ربَّما كان القلم أشدَّ من اللسان وأنكى، ولا سيَّما في عصرنا، لإمكان نشر ما يُكتب على نطاق واسع.

ويشتدُّ خطر الرِّدَّة إذا اتَّخذت اتِّجاهًا جمعيًّا، فإنَّها تصبح مُهَدِّدة للأُمَّة في وجودها.

هذا إضافة إلى أنَّ المرتدَّ المُصِرَّ على رِدَّتِه محكومٌ عليه بالإعدام الأدبي من الجماعة المسلمة، فهو محرومٌ من ولائها وحبِّها ومعاونتها، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وهذا أشدُّ من القتل الحِسِّيِّ عند ذوي العقول والضمائر من الناس.

سرُّ التشديد في عقوبة الرِّدَّة:

وسرُّ هذا التشديد في مواجهة الرِّدَّة: أنَّ المجتمع المسلم يقوم أوَّلَ ما يقوم على العقيدة والإيمان، فالعقيدة أساس هُوِيَّته، ومحور حياته، ورُوح وجوده، ولهذا لا يُسْمَح لأحد أن ينال من هذا الأساس، أو يَمَسَّ هذه الهوية.

(١) انظر: الصارم المسلول لابن تيمية صـ ٣٨٥.

QaradawiBooks.com

ومن هنا كانت «الرِّدَّة المعلنة» كُبْرى الجرائم في نظر الإسلام؛ لأنَّها خطر على شخصيَّة المجتمع وكيانه المعنوي، وخطر على الضَّرُوريَّة الأولى من الضروريَّات الخمس: الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال. والدِّين أوَّلها؛ لأنَّ المؤمن يُضَحِّي بنفسه ووطنه وماله من أجل دِينه.

والإسلام لا يُكره أحدًا على الدخول فيه، ولا على الخروج من دِينه إلى دِينٍ ما،؛ لأنَّ الإيمانَ المعتدَّ به هو ما كان عن اختيارٍ واقتناع، وقد قال تعالى في القرآن المكِّي: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وفي القرآن المدني: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولكنَّه لا يقبل أن يكون الدِّين ألعوبة، يدخل فيه اليوم ويخرج منه غدًا، على طريقة بعض اليهود الَّذين قالوا: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

ولا يعاقب الإسلام بالقتل المرتدَّ الَّذي لا يُجاهر برِدَّته، ولا يدعو إليها غيره، ويدع عقابه إلى الآخرة إذا مات على كفره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقد يُعاقب عقوبةً تعزيريَّة مناسبة إذا عُرِفَتْ رِدَّته.

إنَّما يُعاقَبُ المرتدُّ المجاهِر، وبخاصَّة الداعية للرِّدَّة، حماية لهُوِيَّة المجتمع، وحفاظًا على أسسه ووحدته، ولا يوجد مجتمع في الدُّنْيا إلَّا وعنده أساسيَّات لا يسمح بالنيل منها، مثل: الهُوِيَّة والانتماء والولاء، فلا يُقْبَل أي عملٍ لتغيير هُوِيَّة المجتمع، أو تحويل ولائه لأعدائه، وما شابه ذلك.

QaradawiBooks.com

ومن أجل هـذا: اعتُبِرَت الخيانـة للوطن، ومـوالاة أعدائه ـ بإلقاء المودَّة إليهم، وإفشاء الأسـرار لهم ـ جريمة كبرى. ولم يقُلْ أحدٌ بجواز إعطاء المواطن حقَّ تغيير ولائه الوطني لمن يشاء، ومتى شاء.

والرِّدَّة ليست مُجَرَّد موقف عقلي، بل هي أيضًا تغيير للولاء، وتبديل للهُوِيَّة، وتحويل للانتماء. فالمرتدُّ ينقـل ولاءه وانتمائه من أُمَّة إلى أُمَّة أخرى، ومن وطنٍ إلى وطنٍ آخر، أيْ من دار الإسـلام إلى دار أخرى. فهو يخلع نفسه من أُمَّة الإسـلام، الَّتي كان عضوًا في جسدها، وينضمُّ بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها، ويُعَبِّر عن ذلك الحديث النبوي بقوله: «**التارك لدينه، المفـارق للجماعة**» كما في حديث ابن مسـعود المُتَّفَق عليه[1]، وكلمة «المفارق للجماعة» وصف كاشـف لا منشئ، فكلُّ مرتدٍّ عن دِينِه مفارقٌ للجماعة.

ومهما يكن من جُرمه، فنحن لا نشقُّ عن قلبه، ولا نتسوَّر عليه بيته، ولا نُحَاسِـبُه إلَّا على ما يعلنه جهرةً بلسانه، أو قلمه أو فعله، ممَّا يكون كفرًا بواحًا صريحًا، لا مجال فيه لتأويل أو احتمال، فأيُّ شـكٍّ في ذلك يُفَسَّر لمصلحةِ المتَّهم بالرِّدَّة.

إنَّ التهاون في عقوبة المرتـدِّ المعالِن الداعية، يُعَرِّض المجتمعَ كُلَّه للخطر، ويفتح عليه باب فتنةٍ لا يعلم عواقبها إلَّا الله سبحانه، فلا يلبث المرتدُّ أن يُغَرِّر بغيره، وخصوصًا الضعفاء والبسطاء من النَّاس، وتتكوَّن جماعة مناوئة للأُمَّة، تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأُمَّة عليها، وبذلك تقع في صراع وتمزُّق فِكْري واجتماعي وسياسي، قد يتطوَّر إلى صراعٍ دموي، بل حربٍ أهليَّة، تأكل الأخضر واليابس.

(١) رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦).

QaradawiBooks.com

وهذا ما حدث بالفعل في أفغانستان: مجموعة محدودة مرقوا من دينهم، واعتنقوا العقيدة الشُّيوعيَّة بعد أن درسوا في روسيا، وجُنِّدوا في صفوف الحزب الشيوعي، وفي غفلة من الأُمَّة وثبوا على الحكم، وطفقوا يُغَيِّرون هُوِيَّة المجتمع كلِّه، بما تحت أيديهم من سلطات وإمكانات، ولم يُسَلِّم أبناء الشعب الأفغاني لهم، بل قاوموا ثمَّ قاوموا، واتَّسعت المقاومة، الَّتي كوَّنت الجهاد الأفغاني الباسل ضدَّ المُرْتَدِّين الشُّيُوعيِّين، الَّذين لم يبالوا أن يستنصروا على أهليهم وقومهم بالرُّوس يَدُكُّون وطنهم بالدبابات، ويقذفونه بالطائرات، ويُدَمِّرونه بالقنابل والصواريخ، وكانت الحرب الأهليَّة، الَّتي استمرَّت عَشْرَ سنوات، وكان ضحاياها الملايين من القتلى والمُعَوَّقين والمصابين واليتامى والأرامل والثَّكَالى، والخراب الَّذي أصاب البلاد، وأهلك الزرع والضَّرْعَ.

كلُّ هذا لم يكن إلَّا أثرًا للغفلة عن المرتدِّين، والتهاون في أمرهم، والسكوت على جريمتهم في أوَّل الأمر، ولو عوقب هؤلاء المارقون الخونة، قبل أن يستفحل أمرهم، لوُقِيَ الشعب والوطن شرور هذه الحروب الضروس وآثارها المدمِّرة على البلاد والعباد، والَّتي لا تزال أفغانستان المسكينة تعاني ويلاتها وآثارها إلى اليوم.

أمور مُهِمَّة تجب مراعاتها:

والَّذي أريد أن أذكره هنا جملة أمور:

الأوَّل: أنَّ الحُكْم بِردَّة مسلم عن دينه أمر خطير جدًّا، يترتَّب عليه حرمانه من كلِّ ولاء وارتباط بالأسرة والمجتمع، حتَّى إنَّه يُفَرِّق بينه وبين زوجه وأولاده، إذ لا يحلُّ لمسلمة أن تكون في عصمة كافرٍ مرتدٍّ،

QaradawiBooks.com

كما أنَّ أولاده لم يعُدْ مؤتمنًا عليهم، فضلًا عن العقوبة المادِّيَّة الَّتي أجمع عليها الفقهاء في جملتها.

لهذا وجب الاحتياطُ كلَّ الاحتياط عند الحكم بتكفير مسلمٍ ثبت إسلامه؛ لأنَّه مسلمٌ بيقين، فلا يُزال اليقينُ بالشَّكِّ.

ومن أشدِّ الأمور خطرًا: تكفير من ليس بكافر، وقد حذَّرت من ذلك السُّنَّة النبويَّة أبلغ التحذير.

وقد كتبت في ذلك رسالة «ظاهرة الغلو في التكفير» لمقاومة تلك الموجة العاتية، الَّتي انتشرت في وقت ما: التوسع في التكفير، ولا يزال يوجد من يعتنقها في كثير من بلاد الإسلام.

الثاني: أنَّ الَّذي يملك الفتوى برِدَّة امرئٍ مسلم هم الراسخون في العلم، من أهل الاختصاص، الَّذين يُمَيِّزون بين القطعي والظَّنِّي، وبين المُحْكَم والمتشابِه، وبين ما يقبل التأويل وما لا يقبل التأويل، فلا يُكَفِّرون إلَّا بما لا يجدون له مخرجًا، مثل: إنكار المعلوم من الدِّين بالضرورة، أو وضعه موضع السخرية من عقيدة أو شريعة، ومثل سبِّ الله تعالى ورسوله وكتابه علانيةً وقصدًا، ونحو ذلك.

ولا يجوز ترك مثل هذا الأمر إلى المتسرِّعين أو الغُلاة، أو قليلي البضاعة من العلم، ليقولوا على الله ما لا يعلمون.

الثالث: أنَّ الَّذي يُنَفِّذ هذا هو وليُّ الأمر الشرعي، بعد حكم القضاء الإسلامي المختصِّ، الَّذي لا يحتكم إلَّا إلى شرع الله ﷻ، ولا يرجع إلَّا إلى المُحْكَمات البَيِّنات من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، وهما اللذان يُرْجَعُ إليهما إذا اختلف الناس: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

QaradawiBooks.com

والأصل في القاضي في الإسلام أن يكون من أهل الاجتهاد، فإذا لم يتوافر فيه ذلك استعان بأهل الاجتهاد، حتَّى يتبيَّن له الحقُّ، ولا يقضي على جهل، أو يقضي بالهوى، فيكون من قُضاة النار.

الرابع: أنَّ جمهور الفقهاء قالوا بوجوب استتابة المرتدِّ قبل تنفيذ العقوبة فيه، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول»: هو إجماع الصحابة ﷺ، وبعض الفقهاء حدَّدها بثلاثة أيام، وبعضهم بأقلَّ، وبعضهم بأكثر، ومنهم من قال: يستتاب أبدًا. واستثنى بعضهم الزنديق؛ لأنَّه يُظهر غير ما يبطن، فلا توبة له، وكذلك سابُّ الرسول ﷺ، لحرمة رسول الله وكرامته، فلا تُقبل منه توبة، وألَّف ابن تيمية كتابه في ذلك.

والمقصود بذلك إعطاؤه الفرصة ليُرَاجع نفسه، عسى أن تزول عنه الشبهة، وتقوم عليه الحُجَّة، إن كان يطلب الحقيقة بإخلاص، وإن كان له هوًى، أو يعمل لحساب آخرين، يُوَلِّيه الله ما تولَّى. ومن هنا نقول: إنَّ إعطاء عامَّة الأفراد حقَّ الحكم على شخص بالرِّدَّة، ثمَّ الحكم عليه باستحقاق العقوبة، وتحديدها بأنَّها القتل لا غير، وتنفيذ ذلك بلا هوادة يحمل خطورة شديدة على دماء النَّاس وأموالهم وأعراضهم، لأنَّ مقتضى هذا: أن يجمع الشخص العادي ـ الَّذي ليس له علم أهل الفتوى، ولا حكمة أهل القضاء، ولا مسؤوليَّة أهل التنفيذ ـ سلطات ثلاثًا في يده: يفتي ـ وبعبارة أخرى: يتَّهِم ـ ويحكم، ويُنَفِّذ، فهو الإفتاء والادِّعاء والقضاء والشرطة جميعًا!

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٨

المـرأة إنسانًـا

جاء الإســلام وبعض النَّاس ينكرون إنســانيَّة المــرأة، وآخرون يرتابون فيها، وغيرهم يعترف بإنســانيَّتها، ولكنَّه يعتبرها مخلوقًا خُلق لخدمة الرجل.

فكان من فضل الإســلام أنَّه كرَّم المرأة، وأكَّد إنســانيَّتها، وأهليَّتها للتكليف والمسؤوليَّة والجزاء ودخول الجنَّة، واعتبرها إنسانًا كريمًا، له كلُّ ما للرجل من حقــوق إنســانيَّة؛ لأنَّهما فرعان من شــجرة واحدة، وأخوان ولدهما أبٌ واحد هو آدم، وأمٌّ واحدة هي حواء.

فهما متســاويان في أصل النشــأة، متســاويان فــي الخصائص الإنسانيَّة العامَّة، متســاويان في التكليف والمسؤوليَّة، متساويان في الجزاء والمصير.

وفي ذلك يقول القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وإذا كان النَّاس ـ كل النَّاس ـ رجالًا ونســاءً، خلقهم ربُّهم من نفسٍ واحدة، وجعل من هذه النفس زوجًا تُكَمِّلها وتكتمل بها كما قال في آية أخــرى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعــراف: ١٨٩]، وبثَّ من هذه

QaradawiBooks.com

الأسرة الواحدة رجالًا كثيرًا ونساءً، كلُّهم عبادٌ لربٍّ واحد، وأولاد لأبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة، فالأُخُوَّة تجمعهم.

ولهذا أمرت الآية النَّاس بتقوى الله ربِّهم ورعاية الرَّحِم الواشجة بينهم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾.

فالرجل بهذا النصِّ أخو المرأة، والمرأة شقيقة الرجل، وفي هذا قال الرسول ﷺ: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرِّجَال**»[1].

وفي مساواة المرأة للرجل في التكليف والتديُّن والعبادة، يقول القرآن: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وفي التكاليف الدينيَّة والاجتماعيَّة الأساسيَّة يسوي القرآن بين الجنسَيْن بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي قصَّة آدم تُوَجِّه التكليفَ الإلٰهيَّ إليه وإلى زوجه سواء: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

---

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. ورواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، كلاهما في الطهارة، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ولكن الجديد في هذه القصَّة ـ كما ذكرها القرآن ـ أنَّها نسبت الإغواء إلى الشـيطان لا إلى حواء، كما فعلت التـوراة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

ولم تنفرد حواء بالأكل من الشجرة ولا كانت البادئة، بل كان الخطأ منهما معًا، كما كان الندم والتوبة منهما جميعًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

بل في بعض الآيات نسـبة الخطأ إلى آدم بالـذات وبالأصالة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طـه: ١١٥]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]. كما نسـب إليه التوبة وحـده أيضًا: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] ممَّا يفيد أنَّه الأصل في المعصية، والمرأة له تبع.

ومهما يكن الأمر فإنَّ خطيئة حـواء لا يحمل تبعتها إلَّا هي، وبناتُها منها براءٌ من إثمها، ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١]

وفي مساواة المرأة للرجل في الجزاء ودخول الجنَّة يقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

فنصَّ القـرآن في صراحة على أنَّ الأعمال لا تضيع عند الله، سـواء أكان العامل ذكرًا أو أنثى، فالجميع بعضُهم من بعض، من طينةٍ واحدة، وطبيعةٍ واحدة. ويقول: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

QaradawiBooks.com

وفي الحقوق الماليَّة للمرأة: أبطل الإسلام ما كان عليه كثير من الأمم ـ عربًا وعجمًا ـ من حرمان النساء من التملُّك والميراث، أو التضييق عليهنَّ في التصرُّف فيما يملكن، واستبداد الأزواج بأموال المتزوِّجات منهنَّ، فأثبت لهنَّ حقَّ الملك بأنواعه وفروعه، وحقَّ التصرُّف بأنواعه المشروعة. فشَرَع الوصيَّة والإرث لهنَّ كالرجال، وأعطاهن حقَّ البيع والشراء والإجارة والهِبَة والإعارة والوقف والصدقة والكفالة والحوالة والرهن، وغير ذلك من العقود والأعمال.

ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها ـ كالدفاع عن نفسها ـ بالتقاضي وغيره من الأعمال المشروعة.

كما جعل للمرأة حقَّ طلب العلم كالرجل، بل الواقع أنَّه اعتبر طلب العلم فريضة عليها، كما جاء في الحديث: «**طلبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم**»[1]. والمراد: كلُّ إنسان مسلم، رجلًا كان أو امرأة، وهذا بالإجماع.

وكذلك للمرأة حقُّ صلاة الجماعة في المسجد، فهي مطالَبَة بالفرائض والعبادات كما يطالب الرجل: الصلاة والصيام والزكاة والحجِّ وسائر أركان الإسلام، وهي مُثابة عليها كما يُثاب الرجل، وهي معاقَبة على تركها كما يعاقب الرجل، وهي مطالبة بالواجبات الاجتماعيَّة كما يُطالب الرجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط (٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٣)، وقال المناوي في فيض القدير (٥٢٦٥): قال ابن عبد البر: طرقه كلها معلولة. وقال النووي: ضعيف وإن كان معناه صحيحًا. وقال السيوطي: جمعت له خمسين طريقًا، وحكمت بصحته لغيره، ولم أصحح حديثًا لم أسبق لتصحيحه سواه. وقال السخاوي: له شاهد عند ابن أبي شاهين، بسند رجاله ثقات، ورواه نحو عشرين تابعيًّا. عن أنس.

QaradawiBooks.com

ومن حَقِّها أن تجير من استجار بها، وأن تُحترم إجارتها، كما فعلت أمُّ هانئٍ بنت أبي طالب يوم فتح مكَّة، فقد أجارت بعض المشركين من أحمائها، وأراد أحد إخوتها أن يقتله، فشكت ذلك إلى النبيِّ ﷺ، وقالت: يا رسولَ الله، زعم ابنُ أُمِّي أنَّه قاتلٌ رجلًا قد أجرتُه: فلان بن هُبَيْرة! فقال رسول الله ﷺ: «**قد أَجَرْنَا من أجرتِ يا أمَّ هانئ**»(١).

شبهات مردودة:

وهنا تعرض لبعض النَّاس شبهات، وتدور في خواطرهم أسئلة حول إنسانيَّة المرأة، ومنزلتها في الإسلام، نعرض لأهمِّها، ونجيب عنها إن شاء الله.

حكمة تمييز الرجل عن المرأة في بعض الأحكام:

ومن هذه الأسئلة: إذا كان الإسلام قد اعتبر إنسانيَّة المرأة مساوية لإنسانيَّة الرجل، فما باله فضل الرجل عليها في بعض المواقف والأحوال. كما في الشهادة، والميراث، والدِّيَة، وقِوَامة المنزل، ورياسة الدولة، وبعض الأحكام الجزئيَّة الأخرى؟

والواقع أن تمييز الرجل عن المرأة في هذه الأحكام، ليس لأنَّ جنس الرجل أكرم عند الله وأقرب إليه من جنس المرأة. فإنَّ أكرم النَّاس عند الله أتقاهم ـ رجلًا كان أو امرأة ـ كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولكن هذا التمييز اقتضته الوظيفة الَّتي خصَّصتها الفطرة السليمة لكلٍّ من الرجل والمرأة. كما سنوضِّح ذلك فيما يلي:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٥٧)، ومسلم في الحيض (٣٣٦)، عن أم هانئ.

QaradawiBooks.com

شهادة المرأة وشهادة الرجل:

جاء في القرآن في آية المداينة الَّتي أمر الله فيها بكتابة الدَّيْن والاحتياط له: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وبهذا جعل القرآنُ شهادةَ الرجل تساوي شهادةَ امرأتَيْن. كما قرَّر جمهور الفقهاء أنَّ شهادة النساء لا تُقْبَل في الحدودِ والقِصَاص.

والحمد لله أنَّ هذا التفاوت ليس لنقص إنسانيَّة المرأة أو كرامتها، بل لأنَّها بفطرتها واختصاصها لا تشتغل عادةً بالأمور الماليَّة والمعاملات المدنيَّة. إنَّما يشغلها ما يشغل النساء عادةً من شؤون البيت إن كانت زوجة، والأولاد إن كانت أمًّا، والتفكير في الزواج إن كانت أيِّمًا، ومن ثمَّ تكون ذاكرتها أضعف في شؤون المعاملات. لهذا أمر الله تعالى أصحاب الدَّيْن إذا أرادوا الاستيثاق لديونهم أن يُشهدوا عليها رجلَيْن أو رجلًا وامرأتَيْن، وعلَّل القرآن ذلك بقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

ومثل ذلك ما ذهب إليه كثير من الفقهاء الَّذين لم يعتبروا شهادة النساء في الحدود والقصاص، بُعْدًا بالمرأة عن مجاملات الاحتكاك، ومواطن الجرائم، والعدوان على الأنفس والأعراض والأموال. فهي إن شهدت هذه الجرائم كثيرًا ما تُغْمِض عَيْنَيْها، وتهرب صائحةً مولولةً، ويصعب عليها أن تصف هذه الجرائم بدقَّة ووضوح؛ لأنَّ أعصابها لا تحتمل التدقيق في مثل هذه الحال.

ولهذا يرى هؤلاء الفقهاء أنفسهم الأخذ بشهادة المرأة ـ ولو منفردة ـ فيما هو من شأنها واختصاصها، كشهادتها في الرَّضاع والبَكارة والثُّيُوبة والحيض والولادة، ونحو ذلك ممَّا كان يختصُّ بمعرفة النساء في العصور السابقة.

QaradawiBooks.com

على أنَّ هذا الحكم غير مُجْمَع عليه، فمذهب عطاءٍ من أئمَّة التابعين إلى الأخذ بشهادة النساء.

ومـن الفقهاء مـن يرى الأخذ بشـهادة النسـاء فـي الجنايات في المجتمعـات الَّتي لا يكـون فيها الرجال عـادة مثل حمامات النسـاء والأعـراس، وغير ذلك ممَّا اعتـاد النَّاس أن يجعلوا فيه للنسـاء أماكن خاصَّة، فإذا اعْتَدَتْ إحداهنَّ على أخرى بقتلٍ أو جرح أو كسـر، وشهد عليها شـهود منهنَّ، فهل تُهْدَرُ شـهادتهنَّ لمجرَّد أنهنَّ إنـاث أو تُطْلَبُ شهادة الرجال في مجتمع لا يحضرون فيه عادة؟

الصحيح أن تُعْتَبَر شهادتهنَّ ما دُمْنَ عادلاتٍ ضابطاتٍ واعيات.

وقال شـيخنا العلَّامة الشيخ محمود شلتوت شـيخ الأزهر الأسبق تعليقًا على قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]: «هذا ليس واردًا في مقام الشهادة الَّتي يقضي بها القاضي ويحكم، وإنَّما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامـل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾... إلى أن قال: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فالمقام مقام استيثاق على الحقوق، لا مقام قضاء بها.

والآية ترشـد إلى أفضل الأنواع الاسـتيثاق الَّذي تطمئنُّ به نفوس المتعاملين على حقوقهما.

QaradawiBooks.com

وليس معنى هذا أنَّ شـــهادة المرأة الواحدة أو شـــهادة النساء اللاتي ليس معهنَّ رجل، لا يثبت بها الحقُّ، ولا يحكم بها القاضي، فإنَّ أقصى ما يطلبه القضاء، هو «البيِّنة»، وقد حقَّق العلَّامة ابـــن القيِّم أنَّ البيِّنة في الشرع أعمُّ من الشهادة، وأنَّ كل ما يُتبين به الحقُّ ويظهره، هو بيِّنة يقضي بها القاضي ويحكم، ومن ذلك يحكم القاضي بالقرائن القطعيَّة، ويحكم بشـــهادة غير المســـلم متى وثق بها واطمأنَّ إليها. واعتبـــار المرأتين في الاستيثاق كالرجل الواحد ليس لضعف عقلها الَّذي يتبع نقص إنسانيَّتها ويكون أثرًا له، وإنَّما هو لأنَّ المرأة، كما قال الأستاذ الشيخ محمَّد عبده: «ليس من شأنها الاشـــتغال بالمعاملات الماليَّة ونحوها من المعاوضات، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة، ولا تكون كذلك في الأمور المنزليَّة الَّتي هي شغلها، فإنَّها فيها أقوى من ذاكرة الرجل، ومن طبع البشر عامَّة أن يقوى تذكرهم للأمور الَّتي تهمُّهم ويمارسونها، ويكثر اشتغالهم بها».

والآية جاءت على ما كان مألوفًا في شأن المرأة، ولا يزال أكثر النساء كذلك، ولا يشـــهدن مجالس المداينات، ولا يشغلن بأسواق المبايعات، واشتغال بعضهنَّ بذلك لا ينافي هذا الأصل الَّذي تقضي به طبيعتها في الحيـــاة. وإذا كانـــت الآية ترشـــد إلى أكمـــل وجوه الاســـتيثاق، وكان المتعاملـــون في بيئـــة يغلب فيها اشـــتغال النســـاء بالمبايعات وحضور مجالس المداينـــات، كان لهم الحقُّ في الاســـتيثاق بالمـــرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا إلى تذكُّرها وعدم نسيانها على نحو تذكُّر الرجل وعدم نسيانه»[1].

(١) انظر: الإسلام عقيدة وشريعة للإمام الأكبر الشـــيخ محمود شلتوت صـ ٢٣٩، ٢٤٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٨، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

«وما لنا نذهب بعيدًا وقد نصَّ القرآن على أنَّ المرأة كالرجل سواءً بسواء في شـــهادات اللعان، وهو ما شـــرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس على ما يقول شـــهود: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦ ـ ٩].

أربع شهادات من الرجل يعقبها اســـتمطار لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويقابلها ويُبْطِلُ عملها أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من الصادقين»[1].

ميراث المرأة وميراث الرجل:

أمَّا التفاوت في الميـــراث بين الرجل والمرأة والَّـــذي جاء فيه قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [النســـاء: ١١]، فالواضح أنَّـــه نتيجة للتفـــاوت بينهما فـــي الأعباء والتكاليـــف الماليَّة المفروضة على كلٍّ منهما شرعًا.

فلو افترضنا أبًا مـــات، وترك وراءه ابنًا وبنتًـــا، فالابن يتزوَّج فيدفع مهرًا، ويدخل بالزوجة فيدفع نفقتها، على حين تتزوَّج البنت فتأخذ مهرًا، ثمَّ يدخل بها زوجها، فيلتزم بنفقتها، ولا يُكَلِّفها فَلْسًـــا، وإن كانت من أغنى النَّـــاس، ونفقتها تُقَدَّر بقدر حالة السَّـــعة والضِّيق، كما قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧].

(١) المصدر السابق صـ ٢٤٠، ٢٤١.

QaradawiBooks.com

فإذا كان قد ترك لهما الأب مائة وخمسين ألفًا مثلًا، أخذ الابن منها مائة وأخته خمسين. فعندما يتزوَّج الابن قد يدفع مهرًا وهدايا نُقَدِّرها مثلًا بخمسةٍ وعِشْرين ألفًا. فينقص نصيبه ليصبح (٧٥,٠٠٠) خمسة وسبعين ألفًا، في حين تتزوَّج أخته فتقبض مهرًا وهدايا نُقَدِّرها بما قدَّرنا به ما دفع أخوها لمثلها. فهنا يزيد نصيبها فيصبح (٧٥,٠٠٠) خمسة وسبعين ألفًا، فيتساويا.

ثم تتزايد أعباء الرجل ونفقاته، فهو ينفق على أبنائه وبناته الصغار، وقد ينفق على أبويه الكبيرين إذا كانا مُعْسِرين، وينفق على إخوانه وأخواته الصغار إذا لم يكن لهم مورد، ولا عائل سواه، وينفق على الأقارب والأرحام بشروطٍ معروفة، والمرأة لا يجب عليها شيء من ذلك، إلَّا من باب مكارم الأخلاق.

على أنَّ قاعدة تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليست مُطَّرِدة، ففي بعض الأحيان يكون نصيب الأنثى مثل نصيب الذكر، كما في حال ميراث الأبوين من أولادهما ممَّن له ولد، كما قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١]، وذلك لأن حاجة الأبوين في الغالب واحدة.

وكذلك حال الإخوة لأمٍّ إذا ورثوا من أخيهم الَّذي لا والد له ولا ولد، وهو الَّذي يُورَثُ كَلَالة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢]، فهنا ترث الأخت للأم كالأخ للأمِّ؛ السدس، ويَشْرك الأكثر من الاثنين في الثلث بالتساوي بين الذكر والأنثى.

QaradawiBooks.com

وهذا التســاوي يوجد في عدَّة حالات في الميــراث معروفة لأهل الاختصاص.

بل هناك حالات يكون نصيب الأنثــى فيها أعلى من نصيب الذكر، كما إذا ماتت امرأة وتركت زوجها وأمها وأخوين شــقيقين، وأختًا لأم، فإن للأخت للأم الســدس كاملًا، وللأخوين الذكرين الشقيقين السدس بينهما، لكلٍّ واحد منهما نصف السدس (١٢/١)!

وكذا لو ماتت المرأة وتركت زوجها وأختها شقيقتها وأخًا لأب، فإن الزوج يأخذ النصف والأخت الشــقيقة تأخذ النصف الباقي بعد الزوج، والأخ لأب لا يرث شــيئًا؛ لأنَّه عصبة لم يبقَ له شــيء، فلو كان مكانه أخت فلها السدس يُعالُ لها به.

وعند ابن عبَّاس ومن وافقه: لو ماتت امرأة وتركت زوجًا وأبوين، فللزوج النصف، وللأم الثلث، وللأب الســدس، أخــذًا بظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النســاء: ١١] أي ثلث التركة كلها.

روى ابن حزم من طريق عبد الرزاق عن ابن عبَّاس أنَّه قال في زوجٍ وأبوين: للزوج النصف وللأمِّ الثلث من جميع المال.

وروى من طريق أبي عوانة عن عليٍّ مثله.

قال: وروي أيضًا عن معاذ بــن جبل، وهو قول شُــرَيْح، وبه يقول أبو سليمان (يعني داود الظاهري).

وقال ابن مسعود: ما كان الله ليراني أُفَضِّل أمًّا على أب.

QaradawiBooks.com

وهو قول عمر وعثمان وزيد بن ثابت من الصحابة، والحسن وابن سيرين والنخعي من التابعين، وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأصحابهم[١].

وهناك صور كثيرة ترث فيها الأنثى ولا يرث الذكر شيئًا.

وهذه الصور أحصاها أخونا الدكتور صلاح سلطان في كتاب له في هذه القضيَّة[٢].

الدية[٣]:

وأمَّا الدِّيَة فليس فيها حديث مُتَّفق على صحَّته، ولا إجماع مستيقن، كل ما ورد في دية المرأة حديثان: أصحهما ما رواه النسائي والدارقطني[٤] من طريق إسماعيل بن عيَّاش عن ابن جُرَيْج عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جَدِّه، وهذا إسنادٌ مُتَكَلَّم فيه، ولا تقوم بمثله الحُجَّة في هذا الأمر الخطير. وقد قال البخاري: إنَّ ابن جُرَيْج لم يسمع من عمرو بن شُعَيْب.

---

(١) انظر: المحلى (٢٧٣/٩ ـ ٢٧٦)، المسألة (١٧١٦)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) انظر: امتياز المرأة على الرجل في الميراث والنفقة للدكتور صلاح الدين سلطان صـ ١٦ ـ ٤٦، الفصل الأول، نشر سلطان للنشر بالولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) لنا دراسة مفصلة حول هذا الموضوع بعنوان: دية المرأة في الشريعة الإسلامية نظرات في ضوء النصوص والمقاصد، ضمن كتابنا: في الفقه الجنائي في الإسلام.

(٤) رواه النسائي في القسامة (٤٨٠٥)، وفي الكبرى (٧٠٠٨)، وقال عقبه: إسماعيل بن عياش ضعيف كثير الخطأ. والدارقطني في الحدود والديات (٣١٢٨)، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٦٠/٤): في إسناد هذا الحديث إسماعيل بن عياش وهو في غير الشاميين ضعيف كثير الخطأ لا يؤخذ حديثه. ولفظه: «عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى يبلغ الثلث من ديتها».

QaradawiBooks.com

والثاني: عن معاذ مرفوعًـا: «**ديةُ المرأةِ نصفُ ديـة الرجل**»[١]، قال البيهقي: إسـناده لا يثبت. ورويت أقوال عن بعض الصحابة، لم يصحَّ سـندها متَّصِلًا، ولو صحَّت لكانـت اجتهادًا يؤخذ منـه ويترك، وبقي الحديث الصحيح: «**في النَّفْس مائة من الإبل**»[٢].

وإذا لم يصحَّ حديث فـي القضيَّة يُحْتَجُّ بـه، فكذلك لم يثبت فيها إجماع، على ما في الإجماع من كلام.

بل ذهب ابن عُلَيَّة والأصمُّ ـ من فقهاء السـلف ـ إلى التسـوية بين الرجل والمرأة في الدِّيَة، وهو الَّذي يتَّفق مع عمـوم النصوص القرآنيَّة والنبويَّة الصحيحـة وإطلاقها، ولو ذهب إلى ذلـك ذاهب اليوم ما كان عليه من حرج، فالفتوى تتغيَّر بتغير الزمـان والمكان، فكيف إذا كانت تتمشَّى مع النصوص الجزئيَّة والمقاصد الكلية للشريعة؟

هذا ما ذهب إليه شيخنا الشيخ محمود شـلتوت في كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت عنوان «دية الرجل والمرأة سواء»: «وإذا كانت إنسانيَّة المرأة من إنسانيَّة الرجل، ودمُها من دمه، والرجل من المرأة، والمرأة من الرجـل، وكان القِصَاص هو الحكـم بينهما في الاعتـداء على النفس، وكانت جهنَّم والخلود فيها، وغضب الله ولعنته، هو الجزاء الأخروي في

(١) رواه البيهقي في الديات (٩٥/٨)، عن عبادة بن نسي، عن ابن غنم، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «دية المرأة على النصف من دية الرجل». قال البيهقي: وروي ذلك من وجه آخر عن عبادة بن نسي وفيه ضعف.

(٢) انظر: نيل الأوطار (٨٠/٧ ـ ٨٤)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشـر دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

قتل المرأة، كما هو الجزاء الأخروي في قتل الرجل، فإنَّ الآية في قتل المرأة خطأً، هي الآية في قتل الرجل خطأً.

ونحن ما دمنا نستقي الأحكام أوَّلًا من القرآن فعبارة القرآن في الدية عامَّة مطلقة لم تخصَّ الرجل بشيءٍ منها عن المرأة: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٩٢]. وهو واضح في أنَّه لا فرق في وجوب الدية بالقتل الخطأ بين الذكر والأنثى.

نعم، اختلف العلماء في مقدار الدِّيَة، أهو واحدٌ في الرجل والمرأة، أو ديتها على النصف من دية الرجل؟

وقد ذكر الإمام الرازي الرَّأْيَيْن في تفسيره الكبير فقال: مذهب أكثر الفقهاء أنَّ دية المرأة نصف دية الرجل، وقال الأصمُّ وابن عُلَيَّة: ديتها مثل دية الرجل.

وحجَّة الأكثر من الفقهاء أنَّ عليًّا وعمر وابن مسعود قَضَوْا بذلك، وأنَّ المرأة في الميراث والشهادة على النصف من الرجل فيهما، فكذلك تكون على النصف في الدِّيَة.

وحُجَّة الأصمِّ قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٩٢]. وأجمعوا على أنَّ هذه الآية دخل فيها حكم الرجل والمرأة، فوجب أن يكون الحكم فيها ثابتًا بالسويَّة»[1] اهـ.

(١) التفسير الكبير للرازي (١٧٩/١٠)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، وانظر: الإسلام عقيدة وشريعة صـ ٢٣٦، ٢٣٧.

QaradawiBooks.com

القوامة:

وأمَّا القوامة فقد قـال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤].

فإنَّما جعلهـا الله للرجل بنصِّ القـرآن لأمريـن: أحدهما وَهْبي والآخر كَسْبي.

الأوَّل: ما فضلـه الله به من التبصُّر في العواقـب، والنظر في الأمور بعقلانيَّـة أكثر من المـرأة الَّتي جهزهـا بجهاز عاطفي دفَّـاق من أجل الأمومة.

والثاني: أنَّ الرجل هو الَّذي ينفق الكثير على تأسيس الأسرة، فلو انهدمت سـتُهْدَم على أمِّ رأسه، لهذا سـيُفَكِّر ألف مرَّة قبل أن يتَّخذ قرارَ تَفْكِيكها.

المناصب القضائيَّة والسياسيَّة:

وأمَّا مناصب القضاء والسياسـيَّة، فقد أجاز الإمـام أبو حنيفة أن تتولَّى القضاء فيما تجوز شـهادتها فيه، أيْ في غيـر الأمور الجنائيَّة، وأجاز الإمامان الطبري وابن حزم أن تتولَّـى القضاء في الأموال وفي الجنايات وغيرها.

وجواز ذلك لا يعني وجوبه ولزومه، بل ينظر للأمر في ضوء مصلحة المرأة، ومصلحة الأسـرة، ومصلحة المجتمع، ومصلحة الإسلام، وقد يُؤَدِّي ذلك إلى اختيار بعض النساء المتميِّزات في سنٍّ معيَّنة، للقضاء في أمور مُعَيَّنة، وفي ظروف مُعَيَّنة.

QaradawiBooks.com

وأمَّا منعها من تولِّي منصب «الخلافة» أو رئاسة الدولة وما في حكمها، فلأن طاقة المرأة ـ غالبًا ـ لا تحتمل الصراع الَّذي تقتضيه تلك المسؤوليَّة الجسيمة. وإنَّما قلنا: «غالبًا»؛ لأنَّه قد يوجد من النساء من يكُنَّ أقدر من بعض الرجال، مثل «ملكة سبأ»، الَّتي قصَّ الله علينا قصَّتها في القرآن في سورة النمل، وقد قادت قومها إلى خيري الدُّنْيا والآخرة، حتَّى أسلمت مع سليمان لله ربِّ العالَمين. ولكن الأحكام لا تُبنى على النادر، بل على الأعمِّ الأغلب، ولهذا قال علماؤنا: النادر لا حكم له.

وأمَّا أن تكون مديرة أو عميدة أو رئيسة، أو عضوًا في مجلس نيابي، أو وزيرة، أو نحو ذلك، فلا حرج إذا اقتضته المصلحة، وقد فصَّلنا ذلك بأدلَّته في الجزء الثاني من كتابنا «فتاوى معاصرة»[١].

* * *

(١) انظر كتابنا: من فقه الدولة في الإسلام صـ ١٦١ ـ ١٧٦، فتوى ترشيح المرأة للمجالس النيابية، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٦، ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

أسئلة من لندن

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

١

أسئلة حول مشروع «ائتلاف الخير» والموقف من اليهود

شغلتني قضيَّة فِلَسْطِين ـ أو مأساة فِلَسْطِين ـ منذ صباي وبواكير شبابي، وأنا في المرحلة الابتدائيَّة من دراستي الأزهريَّة، ثمَّ ازددت انشغالًا واهتمامًا بها كلَّما نضجت وعرفت الحياة أكثر فأكثر. وذلك لعدَّة أسباب:

١ ـ أنَّها تتعلَّق بجزء من أرض الإسلام، وقد تعلَّمنا في الأزهر أن أيَّ جزء من أرض الإسلام يغزوه غازٍ، يفرض ـ فرض عين ـ على أهله جميعًا مقاومته، كلٌّ بما يقدر عليه من رجلٍ وامرأة، وأنَّ على المسلمين في أنحاء العالم أنَّ يعاونوهم بكلِّ ما يحتاجون إليه من مالٍ وعتادٍ ورجال.

٢ ـ أنَّها ليست جزءًا عاديًّا من أرض الإسلام، بل هي جزء عزيزٌ له خصوصيَّة، لا تتوافر لغيره، فهي أرض الإسراء والمعراج، وهي القِبْلة الأولى للمسلمين، وبها المسجد الأقصى الَّذي بارك الله حوله، وهو أحد المساجد الثلاثة الَّتي لا تشدُّ الرحال إلَّا إليها للتعبُّد فيها.

٣ ـ أنَّها قضيَّة تجلَّى فيها الظلم المُبِين الواقع على أهلها، فقد تآمر عليهم الانتداب البريطاني والمكر الصهيوني، على حين غفلةٍ ووهنٍ من

QaradawiBooks.com

العرب والمسلمين، واستخدم معهم أقسى أنواع العنف، وأقيمت المجازر البشريَّة لأهل البلاد، حتَّى أُخْرِجوا من ديارهم بغير حقٍّ، وشُرِّدوا في الآفاق، وحلَّ مَحَلَّهم الغرباءُ الوافدون من هنا هناك، وحصر أهل فِلَسْطِين في رقعة ضيقة هي الضفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة، وقيل لهم: هذه لكم، ليس لكم حقٌّ في غيرها. ثمَّ لم يدعوها لهم، بل احتلُّوها بالحديد والنار، ولا زالوا يُذيقون أهلَها الويلات، وينزلون بهم الخراب والموت كلَّ يوم.

فلا يزال أهل فِلَسْطِين يصبحون ويمسون على أطفال تُيَتَّم، وأمهات تُثْكَل، ونساء تُرَمَّل، وأسر كاملة تَفْقِد عائلَها، أو بيوتٍ تهدم ويُتْرَكُ أَهْلُها في العراء، وأراضٍ تُجْرَف بالقوَّة وتضمُّ إلى الدولة الغازية، ومزارع تُحْرَق وتترك أرضًا سوداء!

وأشجار زيتون مُعَمِّرة من مئات السنين تُقْلَع، وحصار اقتصادي كاد النَّاس معه لا يجدون القوت.

لهذا كان إخواننا من أهل فِلَسْطِين أحوج ما يكونون إلى المعونة من أهل الخير من إخوانهم من العرب والمسلمين، ومن الخيِّرين والرحماء من أنحاء العالم.

ومن هنا أصبحت إغاثة هؤلاء المساكين المستضعفين المكروبين المحاصرين: فريضة على كل من يقدر أن يقدِّم إليهم شيئًا أو يساعدهم على ذلك.

ونحن المسلمين مأمورين ـ بحكم إيماننا ـ أن نحضَّ على طعام المسكين كما قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

QaradawiBooks.com

وقـد ذم الله أهل الجاهليَّـة بقولـه: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

من أجل هذا: ناديتُ أنا وبعض الفضلاء والشرفاء من محبِّي الخير، وأصحاب الهمم العالية، والنيَّات الصادقة، بالعمل على إنشـاء مشروع إنساني خيري، يعمل بقدر الحاجة على سدِّ حاجة المحتاجين من أبنائنا في فِلَسْطِين؛ من إطعام جائع، أو كسـوة عارٍ، أو إيواء متشرِّد، أو رعاية أرملة، أو كفالة يتيم، أو علاج مريض، أو ترميم مستشفى أو مدرسة أو مسجد، أو إنشـائه عند اللزوم، وأطلقنا على هذا المشروع اسم «ائتلاف الخير»؛ لأنَّه يتكوَّن من عدد مـن الجمعيَّات والهيئـات الخيريَّة، الَّتي تتعاون في سدِّ هذه الثغرة، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] وقولـه ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[(١)].

وقد شرَّفني الإخوة الَّذين اجتمعوا على هذه المبادرة بأن أكون على رأس هذا الائتلاف الخيِّر، الَّذي كتب الله التوفيق للقائمين عليه، واستطاع أن يقوم بمهمَّات جليلة داخل أرض فِلَسْطِين، ممَّا دلَّ على أنَّ أهل الخير والراغبين فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى ومثوبته لا زالوا كثيرين والحمد لله.

ومن المؤكَّد: أنَّ هذا الائتلاف لا علاقة له إطلاقًا بالعمل العسكري، ولا العمـل السياسـي، ولا يَمُتُّ إليهمـا بصلة. وهذا واضـحٌ وضوحَ الشمس، منذ نشأة الائتلاف، وإلى اليوم: واضحٌ في أهدافه، وواضح في برامجه، وواضح في مشـروعاته وأعماله، وهو يعمل على المكشوف،

(١) متَّفق عليـه: رواه البخاري فـي المظالم (٢٤٤٦)، ومسـلم في البر والصلـة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وليس يعمل في سراديبَ تحت الأرض، ويعرض ما يقوم به على النَّاس جهارًا نهارًا، حتَّى لا يشكَّ شاكٌّ، أو يرتاب مُرْتاب.

ومع هذا نجد الَّذين في قلوبهم مرضٌ يَنْشُـرون القيل والقال، حول هذا الائتلاف، والقائمين عليه، وحول رئيسه «القرضاوي» الَّذين يتَّهمه الأفَّاكون بمساندة الإرهاب، وهو أوَّل من يستنكر الإرهاب، ويدعو إلى التسامح لا التعصُّب، والحبِّ لا الكراهية، والرفق لا العنف، والحوار لا الصدام، والسلم لا الحرب.

والحمد لله هذه كتبي ورسائلي ومقالاتي وفتاواي ومحاضراتي وخطبي وموقعي على الإنترنت كلُّها تشهد بذلك.

وقد أرسل إليَّ الإخوة القائمون على الائتلاف في لندن هذه الأسئلة الَّتي أثارها من أثارها، يرجون مِنِّي الإجابة عنها، إحقاقًا للحقِّ، وإبطالًا للباطل.

ولم يَسَعْني ـ رغم أعبائي وأشغالي وزحمة أوقاتي ـ إلَّا أن أجيب عنها، بقدر ما أسعفني الوقت، وأيَّدني التوفيق من الله تعالى، وعند إجابتي عن هذه الأسئلة إنَّما أوضح موقف الشرع الإسلامي فيما يجيزه أو لا يجيزه في شأن هذه القضايا حسب النصوص الشرعيَّة القرآنيَّة والنبويَّة، وعالم الدين المسلم إذا قصد بالسؤال لا بدَّ أن يجيب السائل، ولا يدعه حيران، وإلَّا كان من الَّذين يكتمون العلم، وهو ما حذَّر منه النبي ﷺ: «**من سئل عن علمٍ فكتمه أُلْجِمَ بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة**»[1].

(١) رواه أحمد (٧٥٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وحسَّنه، كلاهما في العلم، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

وإنَّما يجيب العالمُ المسلم حسَـب فهمه واجتهاده في الدِّين، وفق النصوص الشـرعيَّة، من الكتاب والسُّـنَّة، مسـتفيدًا من أقوال العلماء الثقات. وهو لا يَدَعِّي العصمة، ولكن يجتهد وفق الضوابط الشـرعيَّة، والأصول المرعيَّة.

والمفتي في فتـواه ليس كالقاضـي في حكمـه؛ لأنَّ القاضي يلزم بحكمـه، والمفتي لا يلزم بحكمه أحـدًا، إنَّما هو يجيب عمَّن سـأله، والمستفتي حرٌّ بعد ذلك.

وإنِّي لأرجو أن أكون بهذه الإجابات قـد وضَّحت موقفي، وأقمت الحجَّة على المفترين علـيَّ، وأعذرت إلى ربِّي، ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ [الأنفال: ٤٢].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

* * *

١ ـ ما هو موقفكم من اليهود بالعموم[1]؟

ج: أمَّا عن موقفي من اليهود، فهو معلوم لـكلِّ من طالع كتبي، أو استمع إلى محاضراتي وخُطَبي، وهو موقف الإسلام الَّذي أَدِين لله تعالى به، وأعني به الإسلام الوَسَط، الَّذي يُمَثِّل المنهج الوسط للأُمَّة الوسط، الَّذي يقف وسـطًا بين المتحلِّلين والمتزمِّتين، وبين التفريط والإفراط، وهو منهجي الَّذي آمنتُ به، ونذرتُ نَفْسِـي للدعوة إليه، وهو الإحسان

(١) للمزيد انظر ما كتبناه فـي كتابنا: القدس قضية كل مسـلم صـ ٣٨، ٣٩، تحت عنوان: هل نعادي إسرائيل لأنَّها يهودية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

إلى الجميع، والدعوة إلى التعارف والتعايش السِّلْمِي بين النَّاس كافَّة، دون عدوان على حقِّ أحد، أو انتهاك لحرمته؛ مع الإيمان بحقِّ كلِّ إنسان في المحافظة على دِينه وعقيدته، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولا شكَّ أنَّ اليهود هم أتباع موسى بن عمران عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام، وقد تحدَّث القرآن عن موسى عليه السلام وعن قومه في سورٍ كثيرة، حتَّى قال بعض علمائنا: كاد القرآن يكون لموسى وقومه! وحسْبنا أنَّ موسى ذكر في القرآن (١٣٦) مائة وستًّا وثلاثين مرَّة، وموسى يعتبر من أُولي العَزْم من الرسل، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّد عليهم الصلاة والسلام، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وموسى هو الَّذي خصَّه الله تعالى بكلامه المباشر دون رسل الله جميعًا، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

ويتحدَّث القرآن عن كتاب اليهود ـ وهو التوراة ـ حديثًا ينُمُّ عن الاحترام والتبجيل، فيقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

QaradawiBooks.com

واعتبر الإسلام اليهوديَّة ديانة سماويَّة، وسمَّى أهلها «أهل الكتاب»، وهو اسم يشملهم ويشمل النصارى معهم، ويناديهم بهذا اللقب المُعَبِّر: «يا أهلَ الكتاب».

وجعل لهم من الأحـكام ما يُمَيِّزهم عن غيرهم، مثل أكل ذبائحهم، وتزوُّج نسائهم، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

وهذه قمَّة في التسامح: أن يُجِيز الإسلام للمسلم أن يتزوَّج يهوديَّة، فتصبح ربَّة بيته، وشريكة حياته، وموضعَ سـرِّه، وأمَّ أولاده، مع ما في الزواج من المودَّة والرحمة كما قـال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وهذا الزواج ينشـئ رابطة المصاهرة الَّتي هي قرينة رابطة النسب، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. وبذلك يصبح أهل الزوجة أجداد الأولاد وجَدَّاتهم، وأخوالهم وخالاتهم، ويقرُّ لهم حقوق ذوي القربـى، وأولي الأرحام، وقد قال تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ومعنى هذا كله: أنَّ أهـل الكتاب أقرب إلينا من غيرهم من سـائر الملل، ولهذا نهانا القرآن أن نجادلهم إلَّا بالَّتي هي أحسـن، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا هو موقفي وموقف كلِّ المسلمين عمومًا من اليهود بوصفهم يهودًا. وهـذا ما لم يقاتلونا فـي الدِّين، أو يخرجونا مـن ديارنا، أو يظاهروا على إخراجنـا؛ فإن فعلوا ذلك؛ فلا ولاء ولا مسـالمة بيننا وبينهم حتَّى يعودوا عن عدوانهم، ويجنحوا إلى السـلم، وهو الَّذي نؤمن به ونسعى إليه. وهذا ما وضَّحته آيتان محكمتان في كتاب الله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فقسـم الله تعالى غير المسـلمين ـ ومنهم اليهود ـ إلى مسـالِمين للمسـلمين، وغير مسـالمين لهم، وجعل للأوَّلين البرَّ والقِسْط، وحرَّم الولاء للآخرين.

* * *

٢ ـ هل أنتم ضد اليهود لكونهم يهودًا؟

ج: الحق الَّذي يجب أن يعلمه النَّـاس، كل الناس: أنَّني وغيري من المسلمين لا نكره اليهود لكونهم يهودًا، ولهذا قلت مرارًا: إنَّ «اليهوديَّة» باعتبارها ديانةً ليست هي السبب في المعركة بيننا وبين دولة إسرائيل.

والقرآن اختار لليهـود ـ وكذلك النصارى ـ «لقبًـا» يوحي بالقرب والإيناس منهم، وهو «أهل الكتاب» ويناديهـم بذلك «يا أهل الكتاب» ويعني به: التـوراة والإنجيل، إشـعارًا بأنَّهم ـ في الأصـل ـ أهل دين سماوي، وإن حرَّفوا فيه وبدَّلوا.

QaradawiBooks.com

اليهود أقرب إلى ملَّة إبراهيم من النصارى[١]:

بل أزيد على ذلك فأقول: إنَّ اليهود ـ من الناحية الدينيَّة ـ أقرب إلى المسلمين في كثير من الأمور، من النصارى المسيحيِّين؛ لأنَّهم أقرب منهم إلى ملَّة إبراهيم عليه السلام، سواء في العقيدة أو في الشريعة.

على أن كل ما يؤمن به اليهود فيما يتعلَّق بالألوهيَّة والنبوَّة، يؤمن به المسيحيُّون؛ لأنَّ التوراة وملحقاتها من «الكتاب المُقَدَّس» عندهم، ويزيدون على اليهود ما انفردوا به من تأليه المسيح أو القول بالتثليث.

فلو كُنَّا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيِّين أيضًا.

ومن أجل هذا يتبيَّن لنا خطأ بعض عوامِّ المتديِّنين الَّذين يتوهَّمون أنَّ الحرب القائمة بيننا وبين اليهود حربٌ من أجل العقيدة.

وهذه النظرة الَّتي قد تخطر في بال بعض النَّاس خاطئة تمامًا، فاليهود ـ كما رأينا ـ يعتبرهم الإسلام أهل كتاب، يُبِيح مؤاكلتهم، ويُبِيح مصاهرتهم، وقد كانوا على معتقداتهم هذه، وقد عاشوا قرونًا بين ظهراني المسلمين، لهم ذمَّة الله تعالى، وذمَّة رسوله، وذمَّة جماعة المسلمين، وقد طردهم العالم، ولفظهم لَفْظَ النواة، من إسبانيا وغيرها، ولم يجدوا صدرًا حنونًا، إلَّا في دار الإسلام، وأوطان المسلمين، ولم يفكر المسلمون يومًا أن يحاربوا اليهود، أو يمسُّوهم بأذى. مع أنَّهم كانوا في تلك الأزمنة كلِّها مُتَمَسِّكين بعقيدتهم اليهوديَّة؛ لأنَّ دين المسلمين يُحَرِّم عليهم ذلك.

---

(١) للمزيد راجع ما ذكرناه في كتابنا: القدس قضية كل مسلم صـ ٣٩ وما بعدها، تحت عنوان: اليهود أقرب إلى ملة إبراهيم من النصارى.

QaradawiBooks.com

لا نعادي إسرائيل لأنَّها ساميَّة:

وأحبُّ أن أنبِّه هنا إلى نقطة تتعلق بالنقطة السابقة، وهي: هل سبب العداوة والحرب المُسْتَعِرة بيننا ـ نحن العرب والمسلمين ـ وإسرائيل: أنَّها دولة ساميَّة؟

والجواب: أن هذا أبعد ما يكون عن تفكير المسلمين، ولا يتصور أن يرد هذا بخواطرهم؛ لسَبَبَين أساسيَّين:

الأوَّل: أنَّنا ـ نحن العرب ـ ساميُّون، ونحن مع بني إسرائيل في هذه القضيَّة أبناء عمومة، فإذا كانوا هم أبناء إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الإسلام، فنحن أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ولا تستطيع إسرائيل أن تُزَايد علينا في ذلك، ولا أن تتَّهمنا بأنَّنا أعداء «الساميَّة» الَّتي تتاجر بها في الغرب، وتشهرها سيفًا في وجه كلِّ من يُعارض سياستها، أو ينتقد سلوكيَّاتها العدوانيَّة واللاأخلاقيَّة، بل اعتبر القرآن المسلمين كافَّة أبناء إبراهيم ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

والثاني: أنَّ المسلمين عالميُّون إنسانيُّون بحكم تكوينهم العقدي والفكري، وليسوا ضدَّ أيِّ عرقٍ من العروق أو نسبٍ من الأنساب، وقد علَّمهم دينُهم أنَّ البشريَّة كلَّها أسرة واحدة، تجمعهم العبوديَّة لله، والبنوة لآدم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال رسولهم الكريم: «**يا أيها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد،**

QaradawiBooks.com

ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى»[١].

على أنَّ اليهود اليـــوم لم يعودوا كلُّهم ســـاميِّين، كما يزعمون، فقد دخل فيهم عناصر شتَّى من سائر أمم الأرض، كما هو معروف عن يهود «مملكة الخزر» ويهود الفلاشا، وغيرهم، وهذا طبيعي، فاليهوديَّة ديانة، وليست جنسيَّة.

* * *

٣ ـ هل تحثُّون سماحتكم على قتال اليهود وقتلهم لكونهم يهودًا؟

ج: كلَّا، أنا لا أفتي بهذا ولا أحثُّ عليه بالمرَّة. وذلك لعدَّة أسباب:

أوَّلًا: أنَّ اليهود ـ باعتبارهم يهودًا ـ هم عندنا أهل كتاب، كما بيَّنْتُ ذلك بالأدلَّة، ونعتبر ديانتهم ديانة سماويَّة، وتوراتهم كتابًا سماويًّا، وإن كُنَّا نعتقد أنَّهم حرَّفوا فيـــه وبدَّلوا. ولكنَّه يبقى في أصله ســـماويًّا، كما نعتقد أن نبيَّهم موسى من أنبياء الله ورســـله، وقد كلَّمه الله تكليمًا، وله منزلة عظيمة في الإسلام، ولقصَّته مع فرعون، ومع قومه: مساحة واسعة في القرآن.

وقد أجاز الإسلام أن نأكل من ذبائح اليهود، وأن نصاهرهم، ونتزوَّج من نســـائهم، مع ما يفرضه الإســـلام في العلاقات الزوجيَّة من سكون ومودَّة ورحمة، وما توجبه روابط المصاهرة من ترابط وتقارب، وحقوق للأمومة والخؤولة وغيرها.

---

(١) رواه أحمـــد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح. وقال الهيثمي فـــي مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: أنَّ الإسلام يكره الظلم والظالمين، ويوجب العدلَ لكلِّ النَّاس، من أيِّ دينٍ كانوا، ومن أيِّ عرقٍ كانوا، ومن أيِّ إقليمٍ كانوا، ولا يتحيَّز لأحدٍ ضدَّ أحد، ولا لطائفةٍ ضدَّ طائفة، وإنَّما يتحيَّز للحقِّ وحده، فعدل الله لخلق الله جميعًا.

وقد نزلت تسع آيات من القرآن الكريم في سورة النساء، تدافع عن يهوديٍّ اتُّهم ظلمًا بالسرقة، وكان السارق مسلمًا من المنافقين أو ضعاف الإيمان، أراد قومه أن يُبَرِّئوه ويُلْصِقوا التهمة باليهوديِّ البريء، وكاد الرسول يُصَدِّقهم، ويدافع عنهم، لولا أن نزل الوحي القرآني يحامي عن اليهوديِّ المتَّهم ظلمًا، ويلحق التُّهمة بأهلها، ويعاتب الرسول ﷺ على تصديقه لهؤلاء.

يقول تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۞ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١١٣].

QaradawiBooks.com

ثالثًا: يجب أن نُبَيِّن هنا: أنَّنا في واقع الأمر لم نقاتلِ اليهود، أعني لم نُبَادئهم بحربٍ أو قتال، أو نسلَّ في وجوهم السيوف، ونرفع عليهم البنادق والرشاشات، حتَّى يقال لنا: لماذا تقاتلون اليهود؟ أو تحثُّون على قتلهم؟

والواقع أنَّ اليهود هم الَّذين بدؤونا بالقتال، بعد أن كانوا يعيشون بين ظهرانَيْنا آمنين مطمئنِّين، متمتِّعين برغد العيش، وسعة الرزق، ورفاهية الحياة، ولهم جاههم ومنزلتهم في المجتمع، نتيجة حصولهم على الثروات، وتَمَكُّنهم من التجارات، وإتقانهم لكثيرٍ من الصناعات، فلم يبخل المجتمع الإسلامي عليهم بالثروة الماليَّة، والمنزلة الاجتماعيَّة، بل المكانة السياسيَّة. حتَّى حسدهم كثير من المسلمين على ما وصلوا إليه من غنًى وجاهٍ ومنصبٍ، وحتَّى قال الشاعر المصري الساخر الحسن بن خاقان، يصف يهود زمانه:

يَهُودُ هَذَا الزَّمَانِ قَدْ بَلَغُوا ... غَايَةَ آمَالِهِمْ وَقَدْ مَلَكُوا
الْمَجْدُ فِيهِمْ، وَالْمَالُ عِنْدَهُمُو ... ومِنْهُمُ الْمُسْتَشَارُ وَالْمَلَكُ!
يَا أَهْلَ مِصْرٍ، إِنِّي نَصَحْتُ لَكُمْ ... تَهَوَّدُوا، قَدْ تَهَوَّدَ الْفَلَكُ[1]!

أنا في الحقيقة لا أحثُّ على قتل اليهود، ولكنِّي أتمنَّى أن يكُفَّ اليهود ـ أعني الصهاينة ـ عن قتلنا وتدمير ديارنا صباحَ مساءَ!

* * *

(١) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢٠١/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

٤ ـ هل ترون سماحتكم قتل يهودي بريء حرامًا وجُرْمًا؟ ولماذا؟

ج: نعم. أرى قتل أي إنسان بريء حرامًا وجرمًا وظلمًا، سواء كان يهوديًّا أم غير يهودي، فالأصل في الإسلام: أنَّه يُحَرِّم الدماء، ويحمي حقَّ الحياة لكلِّ إنسانٍ ولو كان جنينًا في بطن أُمِّه، ولا يجيز لأمِّه الَّتي حملته أن تُجْهِضه، ويجرم الإسلام قتل النفس البشريَّة، حتَّى إنَّ القرآن ليُقَرِّر مع الكتب السماويَّة: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

فمن لم يقتل نفسًا متعمدًا أو يفسد في الأرض كقُطَّاع الطريق وأمثالهم، فلا يحلُّ قتله، ومن اعتدى عليه فقتله بغير حقٍّ، فكأنَّما قتل النَّاس جميعًا؛ لأنَّ الاعتداء على نفس معصومة بمثابة الاعتداء على جنس البشر جميعًا.

بل الإسلام يُحرِّم قتل الحيوانات والطيور عبثًا، أي لغير منفعة ينشُدُها الإنسان من وراء القتل. ولذا جاء في الحديث: «**من قتل عصفورًا عبثًا جاء إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يَقْتُلْني لمنفعةٍ**»[(١)].

* * *

٥ ـ هل سبق أن دعوتم إلى قتل اليهود أينما كانوا وحيثما كانوا؟

ج: لا، لم يحدث هذا من قبل، ومن قرأ لي، أو استمع إليَّ يعلم ذلك جيدًا.

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، عن الشريد بن سويد. وانظر تعليقنا عليه في المنتقى، حديث رقم (٥٦٦).

QaradawiBooks.com

وأؤكِّد هنا: أنَّه لا يُتَصَوَّر من مثلي أن يدعو إلى قتل اليهود ـ باعتبارهم يهودًا ـ حيثما كانوا.

وذلك لأمرين:

الأوَّل: أنَّ من اليهود من يعارض قيام إسرائيل، ويتعاطف مع العرب، وينكر قيام الحركة الصهيونيَّة وأهدافها. وقد رأيت عددًا من هؤلاء في لندن، في الصيف الماضي (٢٠٠٤م) ومنهم: من حضر معنا جلسة افتتاح المجلس الأوربي للإفتاء في قاعة بلدية لندن، وعلَّق على كلامي مؤيِّدًا ومرحِّبًا.

وقد ودَّعني منهم ثمانية من الحاخامات والأحبار إلى مطار لندن، وظلُّوا واقفين معي، وأبوا أن ينصرفوا حتَّى دخلت إلى الطائرة. فكيف أفتي بقتل هؤلاء الأصدقاء؟

الثاني: أنَّني لا أفتي إلَّا بقتال من يقاتلنا، فأمَّا من لا يقاتلنا ولا يُعِين على قتالنا، فليس لنا عليه سبيل، كما قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٠]. مع التركيز في كلِّ الأحوال على تجنُّب الأبرياء والمسالمين من المَدنيِّين وغيرهم.

* * *

٦ ـ هل تدعون سماحتكم وتفتون بقتل المَدنيِّين الأبرياء، حتَّى لو كانوا من الإسرائيليِّين المسالمين؟

ج: أؤكِّد ما قلته من قبل: أنَّ من ثبتت مسالمته من الإسرائيليِّين، فلا يجيز شرعنا لنا ـ نحن المسلمين ـ أن نقتله؛ لأنَّا لا نقتل إلَّا من

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

يقاتلنا، أو يشارك في العدوان علينا، أمَّا المسالم حقًّا، فلا أفتي بقتله، بل أُحَرِّم قتله، وأجرِّم فعله، وأؤثِّم من فعل ذلك.

المهمُّ أن يثبت لنا مسالمته؛ وإذا ثبت لنا ذلك فلا يجوز أن نقصده بقتلٍ ولا قتال، ما دام يمكن فصله عن غيره، كما قال تعالى في شأن قومٍ من المُشْرِكين: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

وقد ذكرنا قبل ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

* * *

٧ ـ عندما تفتون سماحتكم بجواز العمليَّات الانتحاريَّة للفِلَسْطِينيِّين ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي، على ماذا تستندون؟ وكيف تُبَرِّرون ذلك؟ وهل ذلك دعوة لقتل الأبرياء المسالمين؟

ج: لا بدَّ أن أوضِّح بدايةً أن هذه العلميَّات ليست عمليَّات «انتحاريَّة» كما يحلو للبعض أن يُسَمِّيها، ولكنَّها عمليَّات للدفاع عن النفس والوطن ضدَّ الاحتلال الإسرائيلي المتجبِّر الظالم.

وتسمية هذه العمليَّات «انتحاريَّة» تسمية خاطئة ومُضَلِّلة، فهي عمليَّات فدائيَّة، وهي أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسيَّة المُنْتَحِر.

إنَّ المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، وهذا يُقَدِّم نفسه ضحيَّة من أجل دِينه ووطنه وأُمَّته. والمنتحر إنسانٌ يائسٌ من نفسه ومن رَوح الله،

QaradawiBooks.com

وهذا المجاهد إنسان كلُّه أمل في رَوْح الله تعالى ورحمته. المنتحر يتخلَّص من نفسه ومن همومه بقتل نفسه، والمجاهد يقاتل عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد، الَّذي وضعه القدر في يد المستضعفين ليقاوموا به جبروت الأقوياء المستكبرين.

فهؤلاء الشباب الَّذين يدافعون عن أرضهم هم ليسوا بمُنْتَحِرين، وليسوا بإرهابيِّين، فهم يقاومون ـ مقاومة شرعيَّة ـ مَنْ احتلَّ أرضهم، وشردهم وشرد أهلهم، واغتصب حقهم، وصادر مستقبلهم ولا زال يمارس عدوانه عليهم كل يوم؛ يدمر منازلهم، ويحرق مزارعهم، ويقلع أشجارهم، ويجرف أرضهم، ويهدم مساجدهم، ويمزق شملهم بجداره العازل، ودينهم يفرض عليهم الدفاع عن أنفسهم، ولا يجيز لهم التنازل باختيارهم عن ديارهم، الَّتي هي جزء من دار الإسلام، وهو عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة في الجهاد، يقصد به النكاية في العدو المقاتل، وقتل بعض أفراده، وقذف الرعب في قلوب الآخرين طالما أنَّ هذا العمل لا يقصد به بحال الأبرياء والمسالمين سواء كانوا مدنيين أو غير ذلك.

وليس في هذا أي دعوة لقتل المسالمين الأبرياء، وإذا قتل طفل أو شيخ في هذه العمليَّات، فهو لم يقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ وبحكم الضرورات الحربية، الَّتي قد يصاب فيها الأبناء بسبب الآباء، ومن القواعد الفقهيَّة: الضَّرورات تُبيح المحظورات. ولكنَّ هذه القاعدة تُكملها وتضبطها قاعدةٌ أخرى، هي: أنَّ ما أبيح للضرورة يُقَدَّر بقدرها. وذلك حتَّى لا يتوسع النَّاس في الضرورة، وتظل استثناءً.

QaradawiBooks.com

وإذا وجدوا الخيـــر في الكفِّ والإحجام أحجمـــوا؛ لأنَّه لا مصلحة خاصَّة للفدائيِّين إلَّا رضوان الله تعالى وابتغـــاء مثوبته، ونصرة قضيَّتهم العادلة، فإذا لم تخدم القضيَّة بهذا الأسلوب، وكان ضرره أكبر من نفعه ترك، وبحث عن أسلوبٍ آخر، وآليَّة أخرى. «**وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[١].

وقد وجد الإخوة فـــي حماس والجهاد الإســـلامي ومن وافقهم من فصائل المقاومة أن يوقفوا العمليَّات الاستشـــهاديَّة في الوقت الحاضر، وأن يستبدلوا بها ضرب المســـتوطنات ونحوها من الأهداف العسكريَّة، ما داموا قادرين على ذلك، ولذلك مرت شهور، ولم نقرأ ولم نسمع عن عملية من هذه العمليَّات. فهم لا يلجـــؤون إليها إلَّا للضرورة كما قلت، فإذا زالت الضرورة، توقفت هذه العمليَّات.

وهناك ســـعي من رئيس السلطة الفِلَسْـــطِينيَّة الجديد محمود عبَّاس «أبي مازن» للســـير فيما ســـمَّوه «الحل الســـلمي» والاتفاق على وقف إطلاق النار مـــن الجانبين، بحثًا عن الوصول إلـــى حلول عملية لإنهاء الصراع بطريـــق المفاوضات، وقد وافقت فصائل المقاومة الفِلَسْـــطِينيَّة ـ إســـلاميَّة ووطنية ـ أبا مازن على هدنة «مشـــروطة» علـــى أن توقف الاعتداءات من قبل الإســـرائيليِّين، مســـاهمة في إنجاح المسعى الَّذي اختارته الســـلطة. والتزمت الفصائل الإســـلاميَّة بهذه الهدنة، وبخاصَّة حركـــة المقاومة الإســـلاميَّة «حماس». ونأمل ألَّا تســـتفزَّهم إســـرائيلُ ومستوطنوها بالغدر والعدوان.

* * *

(١) متَّفق عليـــه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومســـلم في الإمـــارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

٨ ـ هل تدعون سماحتكم وتحثُّون على القيام بعمليَّات انتحاريَّة ضد الإسرائيليِّين أم أنَّكم تقولون بأن ذلك من الناحية الشرعيَّة والدينيَّة مبرر ضد الظلم والاحتلال إذا لم تتوافر وسيلة أخرى لمقاومة الاحتلال؟

ج: أودُّ أن أؤكِّد هنا أن هذه العمليَّات الفدائيَّة ليست هي الأصل في مقاومة الاحتلال، وإنَّما لجأ إليها شباب الانتفاضة والمقاومة لأنَّهم مضطرُّون إليها، وما داموا مضطرِّين لهذا الطريق للدفاع عن أنفسهم، وتحرير وطنهم، وإرعاب أعدائهم، المصرِّين على عدوانهم، المغرورين بقوتهم، وبمساندة القوى الكبرى لهم، فليس لهم خيار، والأمر كما قال الشاعر العربي قديمًا:

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ فَمَا حِيلَةُ الْمُضْطَرِّ إِلَّا رُكُوبُهَا[1]!

ولا بدَّ أن ننوه هنا إلى أنَّ الأحكام نوعان:

الأوَّل: أحكام في حالة السعة والاختيار.

الثاني: أحكام في حالة الضيق والاضطرار.

والمسلم يجوز له في حالة الاضطرار ما لا يجوز له في حالة الاختيار، ولهذا حرم الله تعالى في كتابه في أربع آيات: الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، ثمَّ قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومن هنا أخذ الفقهاء قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، وإخوتنا في فِلَسْطِين في حالة ضرورة لا شكَّ فيها، بل هي ضرورة ماسَّة وقاهرة،

(١) من شعر كميت بن يزيد، كما في جمهرة أشعار العرب صـ ٧٩٠، تحقيق علي محمد البجادي، نشر نهضة مصر، القاهرة.

QaradawiBooks.com

للقيام بهذه العمليَّات الاستشـــهاديَّة، لإقلاق أعدائهم ومحتلِّي أرضهم، وبثِّ الرعب في قلوبهـــم، حتَّى لا يهنأ لهم عيش، ولا يقـــرَّ لهم قرار، فيعزمون على الرحيل، ويعودوا من حيث جاؤوا. ولولا ذلك لكان عليهم أن يستســـلموا لما تفرضه عليهم الدولـــة الصهيونيَّة مـــن مذلَّة وهوان، يفقدهم كلَّ شيء، ولا تكاد تُعْطيهم شيئًا!

أعطوهم عُشـــر معشـــار ما لدى إســـرائيل من دبَّابات ومجنزرات، وصواريخ وطائرات، وسفن وآليات، ليُقاتلوا بها. وسيدعون حينئذٍ هذه العلميَّات الاستشهاديَّة، وإلا فليس لهم من سلاحٍ يؤذي خصمهم، ويقضُّ مَضْجَعَهم، ويحرمهم لذَّة الأمن وشـــعور الاســـتقرار، إلَّا هذه «القنابل البشريَّة»؛ أن «يقنبل» الفتى أو الفتاة نفسه، ويفجرها في الغازي المحتلِّ لأرضـــه مُضَحِّيًا برُوحه في ســـبيل الله، مُؤْثِـــرًا حياة وطنـــه على حياته الشخصيَّة. فهذا هو السلاح الَّذي لا يســـتطيع عدوُّه ـ وإن أمدته أمريكا بالمليارات وبأقوى الأســـلحة ـ أن يملكه، فهو ســـلاح متفرِّد، ملَّكه الله تعالى لأهل الإيمـــان وحدهم، وهو لون من العـــدل الإلٰهي في الأرض لا يدركه إلَّا أولو الأبصار. فهو ســـلاح الضعيـــف المغلوب في مواجهة القوى المتجبرة، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

* * *

٩ ـ هل ترون ســـماحتكم أنَّه إذا ما وقع يهـــود تحت الاحتلال، هل يكون مـــن حقهم القيـــام بعمليَّـــات انتحاريَّة للدفاع عن أنفســـهم ضد المحتل، كما ترون أنَّه من حقِّ الفِلَسْطِينيِّين؟

ج: كلُّ من كان له وطنٌ شـــرعيٌّ غير مُغْتَصَـــب ولا مُنْتَزَع من أرض الآخرين بالحديد والنار جاز دفاعه عنه من غير شكٍّ، فإن هذا حقٌّ كفلته

QaradawiBooks.com

كلُّ الشـرائع السـماويَّة وأقرته القيم الأخلاقيَّة، كمـا كفلته كذلك كل القوانين والمواثيق الدوليَّة وأعني به حقَّ الدفاع عن النفس، والوطن إذا غزاه غازٍ أجنبي.

بل هـذا ما تقضي به قوانين الفطـرة، فإننا نجد في داخل الجسـم البشري جندًا مجنَّدًا يُقَاوم كلَّ جسم غريب، حفاظًا على الحياة من تلك الجراثيم والأجسام الغازية من خارج الجسم.

وإذا كُنَّا أجزنا للفِلَسْـطِينيِّين أن يدافعوا عـن وطنهم ـ الَّذي احتلَّ ـ بهذه العمليَّات الفدائيَّة، فيلزمنا أن نجيز لليهود وغيرهم أن يقوموا بمثلها إذا غزى وطنهم الشـرعي واحتُلَّت أرضهم. ولسنا من أصحاب ازدواج المعايير، ولا ممَّن يَكِيل بكَيْلين: كيل للأصدقـاء، وكيل للخصوم، بل نحن مأمـورون بالعدل مـع من نحبُّ ومـن نكره. قـال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ أي شدَّة بُغْضِهم لكم أو بغضكم لهم ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وجوابنا هنا مؤسس على افتراض أنَّ لليهود وطنًا خاصًّا؛ لهم الحقُّ في استيطانه وامتلاكه، لا وطن انتزعوه من أرضِ غيرهم بالعنف والإرهاب.

* * *

١٠ ـ هل تفتون سماحتكم أنَّه من حقِّ جميع من وقع تحت الاحتلال استخدام العمليَّات الانتحاريَّة ضدَّ المحتل، سواء كان ذلك مسلمًا أو غير مسلم، ما دامت هذه العلميَّات لا تقع بحق أبرياء مسالمين؟

ج: نعم، كلُّ من يحتلُّ الأرض ظالمًا بغير حقٍّ، سـواء كان عربيًّا أو عجميًّا، مسـلمًا أو غير مسـلم تجب مقاومته وتحرير الأرض من شرِّه بشتَّى الطرق المتاحة.

QaradawiBooks.com

ولهذا وقفت ضدَّ غزو «صدام» للكويت بقــوَّة، وكانت خطبتي بعد الغزو من جامع عمر بــن الخطاب في قَطَرَ ضدَّ هــذا الغزو الظالم هي المادَّة الأولى لإذاعة الكويت الحُرَّة، الَّتي ظلَّت عدَّة أيَّام تُكَرِّرها كلَّ يومٍ عدَّة مرَّات. وإذا ضاقت بمن يقاومون الاحتلال السبل، ولم يجدوا غير العمليَّات الفدائيَّة ســبيلًا للتخلُّص من الاحتلال الغاشم وجبروته، فمن حقِّهم أن يســتخدموها دفاعًا عن وطنهم، ووصولًا إلى حقِّهم، ما دامت هذه العمليَّات لا تقع في حقِّ أبرياء مسالمين، كما في السؤال.

* * *

١١ ـ هل تفتــون بجواز القيــام بعمليَّــات انتحاريَّة ضــدَّ الأبرياء والمسالمين والَّذين لا علاقة لهم بالجيش سواء كانوا يهودًا أو إسرائيليِّين أو غير ذلك؟ ولماذا؟

ج: أنا أفتي بمشــروعية العمليَّات الفدائيَّة ضدَّ الغزاة المحتلِّين ومن يعاونهم، ومن حــقِّ المغزوِّيــن أن يقامــوا غزاتهــم ويطاردوهم بكلِّ ما يستطيعون من قوَّة، سواء كان هؤلاء المغزوُّون فِلَسْطِينيِّين أم لبنانيِّين أم مِصْريِّين أم عراقيِّين أم هنودًا أم يهودًا، أم أي شعب كان.

وهذا في نظر الإســلام ليــس أمرًا مشــروعًا فقط، بــل هو واجب وفريضة، وتركه يوقع في الإثم والمخالفة الشرعيَّة؛ لأنَّه تفريط في أرض الإسلام، الَّتي يجب على المسلمين أن يدافعوا عنها بالأنفس والأموال. وهو كذلك يجرئ الطغاة والمتجبرين على افتراس الضعفاء إذا لم يجدوا من يقاومهم ويصد عدوانهم.

أمَّا الأبرياء والمســالمون حقًّا، الَّذين أثبتوا لنا مســالمتهم بالبيِّنة، وأنَّهم ينكــرون على قومهــم ما يقترفون كل صباح ومســاء من مظالم

QaradawiBooks.com

ومذابحَ ومآسٍ، فهـؤلاء لا نقاتلهـم ولا نقتلهـم، ولا نأخذهم بذنب حكومتهم، وهم يبرؤون من فعلها، إذ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، و﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

على أن هناك من الفقهاء من يقول: إنَّ على هؤلاء أن يتحملوا نتيجة وجودهم في وطن مغتصب من أهله، وإلا كان عليهم أن يخرجوا من هذا الوطن، ويعودوا من حيث جاؤوا أو جاء آباؤهم.

* * *

١٢ ـ هل تدعون سماحتكم إلى كراهية اليهود وبث مشاعر البغض ضدهم وضد كل من ليس بمسلم من أصحاب الديانات الأخرى كالمسيحيَّة؟

ج: يشهد اللهُ جلَّ جلاله، كما يشـهد كلُّ من سمع خطبي وقرأ كتبي أنِّي من دعاة الأُخُوَّة الإنسـانيَّة، وأُومِن أنَّ البشـر جميعًا عائلة واحدة، تنتمي من ناحيـة الخلق إلى رب واحد هو خالـق الجميع، ومن ناحية النسـب إلى أب واحد، هو أبو الجميع آدم، وأدعـو النَّاس جميعًا إلى الحبِّ لا البغض، والتسـامح لا التعصُّب، والرفـق لا العنف، والرحمة لا القسوة، والسلام لا الحرب.

الأدعية الاستفزازيَّة:

ومن أكبر الدلائل على أنَّ منهجي الَّـذي أدعو إليه منهج يدعو إلى إشاعة السـلام والحب، ويدعو إلى التسامح مع المخالفين: أنَّني ناديت بالابتعاد عمَّا أسـميته: الأدعية الاسـتفزازيَّة، وقلت: ليس من الموعظة الحسـنة اتِّخاذ الأدعية الاسـتفزازيَّة في صلوات الجمـع، وفي قنوت النوازل وغيرها.

QaradawiBooks.com

وممَّا أنكرته في هذا المجال: أن بعض الوُعَّاظ والخطباء يدعون الله تعالى أن يهلك اليهود والنصارى جميعًا، وأن ييتِّم أطفالهم، ويرمِّل نساءهم، ويجعلهم وأموالهم وأولادهم غنيمة للمسلمين.

ومن المعلوم: أن في كثير من بلاد المسلمين توجد أقلِّيَّات من النصارى ـ وربَّما من اليهود ـ وهم مواطنون يشاركون المسلمين في المواطنة، وليس من اللائق أن ندعو بدعوة تشمل هؤلاء بالهلاك والدمار. إنَّما اللائق والمناسب أن ندعو على اليهود الغاصبين المعتدين، وأن ندعو على الصليبيين الحاقدين الظالمين، لا على كل اليهود والنصارى. كما ندعو على الظالمين والطغاة من المسلمين أنفسهم. نسأل الله تعالى أن يريح البشريَّة من الظالمين من كل الديانات.

على أنِّي لم أجد في أدعية القرآن، ولا في أدعية الرسول، ولا في أدعية الصحابة مثل هذه الدعوات المثيرة: يتِّم أطفالهم، ورمِّل نساءهم، وأمثالها. بل أدعية القرآن في المعركة مثل: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦]

ومن أدعية الرسول في وقت الحرب والقتال: «**اللهمَّ مُنزل الكتاب، ومُجْرِيَ السَّحاب، وهازم الأحزاب، اهزمْهم وانصُرْنا عليهم**»(١).

«**اللهمَّ إنَّا نجعلُك في نحورهم، ونعوذُ بك من شرورهم**»(٢).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٢٤)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد، عن عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) رواه أحمد (١٩٧٢٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الصلاة (١٥٣٧)، والنسائي =

QaradawiBooks.com

وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، أي: لا يحب الَّذين يعتدون ويتجاوزون في دعائهم.

غير المسلمين بدل الكفار:

ومن أكبر الدلائل أيضًا على أنَّ منهجي الَّذي أدعو إليه ـ منهج الإسلام الوسط ـ منهج يدعو إلى إشاعة السلام والحب: ألا نخاطب المخالفين لنا باسم الكفار، ولا سيَّما مخالفونا من أهل الكتاب.

وذلك لأمرين:

أوَّلهما: إنَّ كلمة «كُفَّار» لها عدَّة معانٍ، بعضها غير مراد لنا يقينًا، ومن هذه المعاني: الجحود بالله تعالى وبرسله وبالدار الآخرة، كما هو شأن الماديين الَّذين لا يؤمنون بأي شيء وراء الحس، فلا يؤمنون بإلٰه، ولا بنبوة، ولا بآخرة.

ونحن إذا تحدَّثنا عن أهل الكتاب لا نريد وصفهم بالكفر بهذا المعنى، إنَّما نقصد أنَّهم كفَّار برسالة محمَّد وبدينه، وهذا حقٌّ، كما أنَّهم يعتقدون أنَّنا كفار بدينهم الَّذي هم عليه الآن، وهذا حقٌّ أيضًا.

والثاني: أنَّ القرآن علمنا ألا نخاطب النَّاس ـ وإن كانوا كفارًا ـ باسم الكفر، فخطاب النَّاس ـ غير المؤمنين ـ في القرآن، إما أن يكون بهذا النداء «يا أيها الناس» أو «يا بني آدم» أو «يا عبادي» أو «يا أهل الكتاب».

= في الكبرى في السير (٨٥٧٧)، والحاكم في الفيء (١٤٢/٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وأكبر ظني أنهما لم يخرجاه. ووافقه الذهبي، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

ولم يجئ في القــرآن خطاب بعنوان الكفر إلَّا فــي آيتين: إحداهما خطاب لهم يوم القيامة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التحريم: ٧].

والأخرى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافــرون: ١ ـ ٦]. فكان هذا خطابًا للمشركين الوثنيِّين الَّذين كانوا يساومون الرسول الكريم على أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلٰهه ســنة، فأرادت قطع هذه المحاولات بأســلوبٍ صــارم، وبخطابٍ حاسم، لا يُبقي مجالًا لهذه المماحكات.

ولهذا آثرت مــن قديم أن أعبر عــن مخالفينا مــن أهل الأديان الأخرى بعبارة «غير المســلمين». وأصدرت من قديــم كتابي «غير المسلمين في المجتمع الإســلامي» وقد طبع مرَّات ومرات، وترجم إلى عدة لغات.

مواطنون بدل أهل الذمَّة:

ومن أكبر الدلائل كذلك على أن منهجي الَّذي أدعو إليه ـ منهج الإســلام الوســط ـ منهج يدعو إلى إشاعة الســلام والحب: أنَّني أتوقف إزاء بعــض الكلمات الَّتي لم تعد مقبولــة لدى إخواننا من الأقلِّيَّات غير المســلمة داخل المجتمع المســلم، مثل الأقباط في مصر، وأمثالهم في البلاد العربيَّة والإسلاميَّة الأخرى، وهي مصطلح «أهل الذمَّة»[1].

(١) راجع ما ذكرناه سابقًا في هذا الكتاب تحت عنوان: موقفنا من الأقليات.

QaradawiBooks.com

التعبير بالأخوة عن العلاقات الإنسانيَّة:

ومن أكبر الدلائـــل أيضًا على أن منهجي الَّـــذي أدعو إليه ـ منهج الإسلام الوسط ـ منهج يدعو إلى إشـــاعة السلام والحب: أنَّني دعوت إلى التعبير بالأخوة عن العلاقة بين البشـــر كافَّة، والمراد بها «الأخوة الإنسانيَّة» العامَّة، على اعتبار أنَّ البشريَّة كلها أسرة واحدة، تشترك في العبوديَّة لله، والبنوة لآدم، وهذا ما قرَّره حديث نبوي شريف، خاطب به رسول الإسلام الجموع الحاشـــدة في حجة الوداع، فكان ممَّا قاله في هذا المقام:

«يا أيها النَّاس، ألا إن ربكم واحـــد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمـــي على عربي، ولا أحمر على أســـود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى»[1].

وهذا الحديث يؤكد قول الله تعالى في مطلع ســـورة النســـاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والأرحـــام هنا تشـــمل الأرحام الخاصَّة، والأرحـــام العامَّة، كما يدلُّ ســـياق الخطاب القرآني، وفي ذلك يقول شاعر مسلم:

إِذَا كان أَصْلي من تُـــرَابٍ فَكُلُّها بِلَادِي، وكُلُّ العَالَمِينَ أَقَارِبِي[2]**!**

(١) سبق تخريجه صـ١١٧.

(٢) هو أبو العـــرب مصعب بن محمد الصقلي من شـــعراء المغرب. انظر: الـــدر الفريد وبيت القصيد (٦٩/٣)، تحقيق د. كامل ســـلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، والحماسة المغربية (٧٧٥/١)، تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

وفي حديث زيد بن أرقم مرفوعًا قال ﷺ: «**اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه: أنا شهيد أنَّ العباد كلهم إخوة**»(١).

ومن هنا لم أَرَ حرجًا في التعبير عن العلاقة بين المسلمين ومواطنيهم من غير المسلمين بـ «الأخوة».

والمراد بها: الأخوة الوطنيَّة أو القومية، فليست «الأخوة الدينيَّة» هي الأخوة الوحيدة الَّتي تصل بين البشر. إنَّها لا شك أعمق ألوان الأخوة وأوثقها رباطًا، ولكنَّها لا تنفي أن هناك أنواعًا أخرى من الأخوات.

ودليلنا على ذلك: ما جاء في القرآن الكريم من حديث عن الأنبياء وصلتهم بأقوامهم المكذبين لهم، واعتبار القرآن كل نبي من هؤلاء «أخًا» لقومه، وإن عصوه وكذبوه وكفروا برسالته.

اقرأ معي قول الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٥ ـ ١٠٧].

فانظر كيف أثبت أخوة نوح لهم، مع أنَّهم كذبوه، لأنَّهم قومه، وهو منهم فهي أخوة قومية لا شك فيها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤]، وقال مثل ذلك عن صالح ولوط، ولكنَّه حين تحدث عن شعيب قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]، ولم يقل: أخوهم شعيب؛ لأنَّه لم يكن منهم، وإنَّما كان من مدين، ولذا قال في سورة أخرى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤].

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والطبراني (٢١٠/٥)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥). عن زيد بن أرقم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومثل هذه التعبيرات تقرِّب الآخرين منا، وتزيل الفجوة بيننا وبينهم، وهذا ما يبطل كيد الأعـداء المتربصين بنا، والَّذين يريدون أن يشـعلوا فتيل الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، ليصطادوا في الماء العكر، ويتخذوا من ذلك ذريعة للتدخل في شؤوننا، والتسلط علينا، والتحكم في رقابنا، وأولى بنا أن نردَّ كيدهم في نحورهم، بمثـل هذه المواقف الَّتي تجعل قوى الأُمَّة كلَّها جبهة متراصة في مواجهة مكرهم وعدوانهم.

* * *

١٣ ـ هل ترون في السلام العادل حلًّا وضرورة؟

ج: إذا كان السلام عادلًا وشاملًا، فأنا أوَّل من يُرحِّب به، فديننا دين السلام، وربنا من أسمائه «السلام»، ومن أسمائنا المشهورة «عبد السلام» وتحيتنا في الدُّنْيا والآخرة: السلام.

ولكن المشكلة هنا: أن إسـرائيل تريد أن تفسر السلام على هواها، وتريد أن تملي شروطها، وتفرض على الفِلَسْطِينيِّين والعرب ما تريد.

إنَّ السلام العادل ـ في حدِّه الأدنى الآن ـ هو الَّذي يقيم للفِلَسْطِينيِّين دولة مسـتقلة اسـتقلالًا حقيقيًّا لا صوريًّـا، يملكون أرضها وسـماءها ومياهها، ويعرفون حدودها، وعاصمتها القدس.

ويضمن حق العودة للاجئين الَّذين شردتهم إسرائيل في الأرض.

ويضمن تعويضًا عادلًا للفِلَسْطِينيِّين عما لحق بهم من أضرار، ممَّن هدمت بيوتهم، وأحرقت مزارعهم، وأتلفت أشجارهم.

إذا طرح هذا السـلام بحق، ولم يكن مجرد مناورة وكسب للوقت، على حين تعمل الآلة العسـكريَّة عملهـا في قتل الفِلَسْـطِينيِّين وتدمير

QaradawiBooks.com

بنيتهم التحتية، فأهلًا وسهلًا به، وقد قال تعالى في شأن المحاربين للمسلمين: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۞ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ...﴾ [الأنفال: ٦١، ٦٢].

فهنا يغلب حُسْن النيَّة على سوء الظنِّ، ترغيبًا في السلام، وحرصًا عليه، واستمساكًا به.

* * *

١٤ ـ بصفتكم رئيسًا لائتلاف الخير هل ترون من أهداف الائتلاف: أن يدعم المقاومة المسلحة، حتَّى ولو كانت مشروعة.

ج: لا. ليس من أهداف ائتلاف الخير أن يدعم المقاومة، وإن كنا نراها مشروعة؛ لأن للمقاومة أهلها، وللعمل الخيري والإغاثي أهله. وقد حصرنا هدفنا في الجانب الإنساني وحده: أن نطعم الجائع، وأن نكسو العريان، وأن نداوي المريض، وأن نؤوي المشرد، وأن نمسح دمعة اليتيم، وأن نأخذ بيد الضعيف. ونعتبر هذا من أعظم الجهاد في سبيل الله.

* * *

١٥ ـ هل ترون من أهداف ائتلاف الخير شراء السلاح ودعم المقاومة؟

ج: لا. نحن نرى شراء الرغيف للجائع مُقَدَّم على شراء البندقيَّة للمقاتل. والَّذين تبرَّعوا لنا بالمال إنَّما تبرَّعوا به لينفق في عمل الخير، فلا يجوز لنا شرعًا أن نصرفه في غير ما تبرَّعوا لنا به، وقد سألني مسؤول كبير في دولة خليجيَّة، وقال لي: أريد أن تجيبني بصراحة: هل أموال ائتلاف الخير تذهب كلها أو جزء منها لحماس؟ فإنا نستطيع أن نساعدكم بالكثير إذا تأكدنا من نفي ذلك. قلت له: أؤكد لك أنَّ فلسًا

QaradawiBooks.com

واحدًا ممَّـا نجمعه لا يذهب لحماس ولا لغيرها مـن فصائل المقاومة. وهل نحن حمقى إلى هذه الدرجة: أن نجمع أموالًا علنًا من النَّاس باسم الخير لنرسلها إلى حماس؟!

ومع هذا أطلب منكـم أن تعينوا أفرادًا ثقات من عندكم، يشـرفون على هذا العمل، ويذهبون إلى داخل فِلَسْطِين، ويشاهدون بأعينهم كيف توزع الأموال.

* * *

١٦ ـ هل ترون ائتلاف الخير واجهة لأية جهة سياسـيَّة أو عسـكريَّة فِلَسْطِينيَّة أو غير فِلَسْطِينيَّة؟

ج: لا ثمَّ لا، ولن أملَّ من تكرار «لا» لأنَّها الحق. والحق يعلو ولا يُعلى.

وإنَّما قلـت: لا. لأن «ائتلاف الخير» له أهـداف محدودة ومعلومة، أعلنَّا عنها عند إنشائه. وهي:

ـ التنسيق بين المؤسَّسات الخيريَّة العاملة لفِلَسْطِين بما يعود بالخير والمنفعة على الشعب الفِلَسْطِيني.

ـ التخفيف من معانـاة وآلام المجتمع الفِلَسْـطِيني بجميع طبقاته، وعلى وجه الخصوص الفقراء والعمال العاطلين عن العمل.

ـ الحفاظ على مقدرات الشـعب الفِلَسْـطِيني وإعـادة تأهيل البنية التحتية له.

ـ بناء الإنسان المنتج القادر على إعالة نفسه وذويه.

ـ إعادة رسم أولويَّات العمل الخيري وصياغة فلسفته بناءً على الواقع.

QaradawiBooks.com

وقد وضع الائتلاف شروطًا لقبول المشاريع الَّتي يتبناها، وهي:

١ ـ ألَّا يقبل أي مشروع إلَّا عن طريق لجنة التنسيق الخاصَّة بالائتلاف الموجودة داخل فِلَسْطِين.

٢ ـ أن تكون المشـــاريع ذات طابع إنساني، ترفد الجوانب التعليميَّة والصِّحِّيَّة والتنمويَّة والاجتماعيَّة.

٣ ـ أن يتماشى المشروع مع الأهداف والخطوط العريضة للائتلاف.

أن تحتوي المشاريع على العناصر التالية:

ـ اسم المشروع.

ـ الجهة المنفذة.

ـ المدة الزمنيَّة.

ـ جدوى المشروع.

ـ أعداد المستفيدين.

٤ ـ يشترط إرسال تقرير بعد الانتهاء من تنفيذ المشروع يحتوي على الأوراق الثبوتيَّة اللازمة لجميع مراحل تنفيذ المشروع مع الصور.

* * *

١٧ ـ هل ائتـــلاف الخير ملـــزم لأصحابه في طبيعة المشـــاريع الَّتي يدعمها أم هو بالخيار؟

ج: لا، ليـــس ائتلاف الخير ملزمًـــا لأصحابه بشـــيء إلَّا ما يقررون اختياره بأنفسهم، فإن أصل الائتلاف إنَّما هو عمل تنسيقي بين الهيئات

QaradawiBooks.com

والجمعيَّات الخيريَّة، والمؤسسات الإغاثية الإنسانيَّة، ولكل واحدة منها أن تقبل هذا المشـروع أو ذاك، وأن ترفض هذا المشـروع أو ذاك، وأن تتبنَّى مشروعًا بأكمله أو تسهم فيه، حسَب رؤيتها وقدرتها.

* * *

١٨ ـ هل لائتلاف الخير أية أعمال غير خيرية أو إنسانيَّة؟

ج: لا، كل عمـل ائتـلاف الخيـر محصور فـي الأعمـال الخيريَّة والإنسانيَّة، وكفى بها مأثرة له. وندعو الله أن يُعينه على مُهِمَّته الفضيلة.

* * *

١٩ ـ هل سبق لسماحتكم أن ادَّعيتم أو قلتم بأن ائتلاف الخير واجهة لحماس، أو من يدعم حماس، أو غيرها من المؤسسات؟

ج: لا، وليس يتصور أن أقول هذا؛ لأنَّه كذب على الواقع، فائتلاف الخير يخدم أهل فِلَسْطِين، لا يستثني أحدًا، ولا يحابي أحدًا.

* * *

٢٠ ـ هـل ائتلاف الخير يدعم أو يقدم مسـاعدات لمؤسسـات غير خيرية أو إنسانيَّة؟

ج: لا، ثـمَّ لا، إن ائتلاف الخيـر لا يدعم ولا يسـاعد إلَّا الأعمال الخيريَّة والإنسانيَّة، وهو يقدم أعماله علانية في وسط النهار، وليس عنده شيء سري.

* * *

QaradawiBooks.com

٢١ ـ هل ائتلاف الخير مفتوح لجميع المؤسسات الخيريَّة؟

ج: نعم. وهو يرحب بكل جمعية أو مؤسسة تعمل في المجال الخيري والإنساني، وتريد أن تنضم إليه، فهو يزداد بها قوَّة إلى قوته، كما قال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

* * *

٢٢ ـ هل قمتم بإدانة العمليَّات الإرهابية ضد مدنيين أو مسالمين أو أبرياء مهما كانت ديانتهم أو جنسهم؟

ج: نعم أدنت ذلك وأنكرته مرَّات كثيرة، وفي مناسبات شتَّى:

ـ أدنت خطفت الطائرات، وأصدرت فتوى بتحريمها منذ خطف الطائرة الكويتيَّة منذ نحو ثمانية عشر عامًا.

ـ وأدنت خطف الرهائن، بعد ما فعلته جماعة أبو سيَّاف في الفلبين من خطف بعض الغربيين، والتهديد بقتلهم إذا لم يدفع لهم مبلغ معين.

ـ وأدنت مذبحة الأقصر في صعيد مصر، وخطبت خطبة شهيرة في ذلك، أذاعتها الفضائية القطرية في حينها.

ـ وأدنت قتل الرهبان في الجزائر من فعل الجماعة المسلحة.

ـ وأدنت قتل السياح في جزيرة بالي بإندونيسيا.

ـ وأدنت قتل التلاميذ الَّذين حاصرهم الشيشان في مدرسة في روسيا.

ـ وأدنت قتل النِّيباليِّين في العراق.

ـ وأدنت خطف الرهينتين الفرنسيَّين، وطالبت بالإفراج عنهما.

ـ وأدنت خطف الرهينتين الإيطاليتين، وطالبت بالإفراج عنهما.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي أعقـاب تفجيرات ١١ سـبتمبر دعوت المسـلمين للتبرع بالدم لصالح ضحايا البرجين في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، ومما قلته: إن تبرع المسلم بالدم والمال وأشكال العون المختلفة هو صدقة محمودة، «**وفي كُلِّ ذات كبْد رطْبة أجر**»(١).

وأكَّدت أن ما حـدث لا يمكن بحال من الأحـوال أن يصدر عن مسـلم عاقل يلتزم بدينـه، ونفيت شـرعيَّة مثل هذه العمليَّـات الَّتي تستهدف المَدنيِّين.

وأوضحت أنَّ العدوان على الإنسان البريء إثم وجرم وظلم، أيًّا كان دين المعتدى عليه، ووطنه وقومه، وأيًّـا كان المعتدي، فإنَّ الله لا يحبُّ المعتدين، ولا يحبُّ الظالمين، والقرآن الكريم يقرر مع غيره: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وبيَّنت أنَّ الانحيـاز الأمريكي السـافر للعدوان الإسـرائيلي على الفِلَسْطِينيِّين ـ وإن كان يشكل نوعًا من الخلل في ميزان العدالة ـ لا يجيز أن نضرب الأبراج السكنية والتجاريَّة، ولا الاعتداء على الأبرياء.

وأكدت أنَّ فِلَسْطِين هي سـاحة المواجهة مع العدو الصهيوني، وليست أمريكا ولا أوربا ولا آسـيا ولا أفريقيا، وإذا كانت الولايات المتَّحـدة تكيل بمكياليـن فإن الإسـلام لا ينتهج هذا الأسـلوب ويرفضه، كما أنَّنا لا نضمر عداوة للشعب الأمريكي مهما اختلفنا مع نظامه الحاكم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٦٦)، ومسـلم في السـلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وممَّا نبَّهت وأكَّـدت عليه: أنَّه حتَّى في حال الحـرب والقتال، لم يُجزِ الإسـلام قتل من لا يقاتل، من النسـاء والصبيان والشـيوخ، حتَّى الرهبان المُتَفَرِّغون للعبادة في صوامعهم لا يقتلون، بل يتركون وما فرَّغوا أنفسهم له. وأكدت على أنَّ الإسلام لا يتنازل عن مبدأ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨].

واعتبرت أنَّ كلَّ إنسان مسؤول عن عمله هو، وليس عن عمل غيره، ولا يحمل أحد وزر أحد، وأنَّ الكتاب والسُّـنَّة وفقه أئمَّة المسـلمين، وروح الحضارة الإسـلاميَّة، ينكر كل الإنكار أي عمل يتسـم بالقسوة والوحشيَّة، ويفتقد الإنسانيَّة والأخلاقيَّة.

* * *

٢٣ ـ ما هو رأي سماحتكم بأحداث ١١ سبتمبر؟ وهل تعتبرونها من الأعمال الإرهابية ضد المسالمين الأبرياء؟

ج: أمَّا رأيي في أحداث ١١ سبتمبر فقد أعلنته صراحة، وبعد الأحداث مباشرة، بل كان بياني الَّذي اسـتنكرت فيه العدوان من أوائل البيانات الَّتي أدانت هذا الفعل الإجرامي الوحشي، إن لم يكن أولها.

وقد أكدت في هذا البيان على عدة أمور أهمها:

١ ـ احترام الإسلام للنفس البشريَّة.

٢ ـ أنَّ الأصل في الحرب الإسـلاميَّة المشروعة: أن لا يقتل فيها إلَّا من يقاتل بالفعل.

٣ ـ أن قتل آلاف النَّاس من المَدنيِّين المسـالمين الَّذين لا ذنب لهم، ولا دور لهم في اتخاذ القرار السياسي، يعتبر جريمة كبيرة في نظر الإسلام.

QaradawiBooks.com

٤ ـ التحذير ـ أيًّا كان الفاعل ـ من أن تؤخذ أمَّة بأسرها بجريمة أفراد محدودين، أو يتهم دين عالمي بأنه دين العنف والإرهاب.

٥ ـ أن هـذا الحـادث الفظيع لا يسـتفيد منه فِلَسْـطِيني ولا عربي ولا مسلم. بل هو يُشوِّه صورة الإسلام إذا صدر عن مسلم، ولا يستفيد من هذا العمل غير إسرائيل وحدها.

٦ ـ دعوة المسلمين في أمريكا أن يسـارعوا بأداء واجبهم في إنقاذ المصابين وفي التبرع بالدم، فهو من أعظم الصدقات عند الله، لما فيه من إحياء نفس بشريَّة.

٧ ـ دعـوة الإدارة الأمريكيَّـة لتراجع سياسـتها الخارجيَّـة، الَّتي أوجدت لها العديد من الأعداء حول العالـم، ولتراجع كذلك موقفها المنحاز أبدًا لإسرائيل.

* * *

٢٤ ـ ما هو رأي سماحتكم بأعمال الخطف للأبرياء المسالمين؟

ج: رأيي في هذا السـؤال ـ كما هـو الحال في كثير من المسـائل السابقة ـ رأي معروف من قديم، وقد كانت لي فتوى ـ منذ بضعة عشر عامًا ـ في كتابي «فتاوى معاصرة» تحرم هذه الأعمال الَّتي تتضمن ترويع الآمنين، وهي بعنوان «خطف الطائرات».

والذي أقوله: إنَّ اسـتخدام القوَّة الَّتي لا تبالي بقتـل من يقتل من النَّاس ولو كانوا مسالمين برآء، أو تستخدم العنف فيمن ليس بينك وبينه قضيَّة ولا مشكلة إنَّما هو وسـيلة لإرهاب الآخرين وتخويفهم وإيذائهم

QaradawiBooks.com

بوجه من الوجــوه، وإجبارهم على أن يخضعــوا لمطالبك، هذا إرهاب مرفوض مهما كانت عدالة القضيَّة الَّتي يدافع عنها مستخدمو العنف.

ويدخل في ذلك: خطــف الطائرات، كما يدخل فــي ذلك احتجاز الرهائن، وقتل السيَّاح[١].

* * *

٢٥ ـ ما هو رأي ســماحتكم في عمليَّات اختطاف المَدنيِّين الأبرياء المسالمين؟

ج: رأيي وضحته كما في إجابة السؤال السابق وهو التحريم المطلق، وقد كررت مرارًا أنَّه لا يجوز للمسلم أن يخطف الأبرياء الَّذين ليس لهم علاقة بالحرب.

ولما قام مسلحون في العراق باقتحام مقر منظمة «أون بونتي بير بغداد» «جســر من أجل بغداد» الإنســانيَّة الإيطالية يوم ٧ سبتمبر ٢٠٠٤م واختطفوا امرأتين إيطاليتين تعملان بالمنظمة هما: ســيمونا توريتا، وسيمونا باري. قلت وقتها: لا يجوز خطف هاتين الرهينتين، وهما لا ذنــب لهما، ولــم يقترفا جرمًــا. وأضفت بأنــه إذا كانت الحكومة الإيطالية قد أرســلت جنودًا من جيشها للعراق، فلا بد أن نذكر موقف الشــعب الإيطالي الَّذي خــرج بالملايين ضد الحرب على العــراق، ويجب أن نقدر لــه هذا الموقف، وهاتــان المرأتان لا تعملان في شــيء يتعلق بالحرب، إنَّما تعملان في عمل إنساني خيري إغاثي.

(١) راجع ما ذكرناه سابقًا في هذا الكتاب تحت عنوان: شبهات حول الإرهاب.

QaradawiBooks.com

كما اعترضت أيضًـا على خطف واعتقـال الرهينتين الفرنسـيين، وطالبت من بادئ الأمر بإطلاق سراحهما.

وقد حرص وزير الخارجيَّة الفرنسي ميشيل برنيه على أن يلقاني في القاهرة من أجل ذلك، ورحبت بلقائه، وجلسـت معه ما يقارب الساعة، تبادلنا فيها الأحاديث حول علاقة فرنسا بالعالم العربي، وأنَّها في جملتها علاقة جيِّدة، ونوَّهت باستقلال الموقف الفرنسـي عن أمريكا، وتحرُّره مـن التبعيَّة لها. وإن كان لنا تحفُّظ على الموقف الفرنسـي في الشـأن الداخلي، ولا سيَّما في تدخلها في الشأن الديني والشخصي للمسلمين فيما يتعلَّق بالحجاب، وهو ما يتنافى مع مبـدأ العِلْمانيَّة الليبراليَّة، الَّتي تقف من الدِّين موقفًا محايدًا، لا معاديًا ولا مُؤَيِّدًا.

وقد طلبت في قناة «الجزيرة» المختطفين أن يفكوا أسـر الرهينتين الفرنسيَّين، فقد كانا يعملان في خدمة القضيَّة العربيَّة، ويكسران احتكار أمريكا للجانب الإعلامي كله.

وعندما عاد الوزير الفرنسـي إلى باريس أرسـل إليَّ كتاب شـكر وتقدير.

وكذلك فعل وزير الخارجيَّة الإيطالي الَّذي زارني في بيتي في قطر، وطلب مني أن أتعاون معه في سـبيل تحرير الرهينتين الإيطاليتين، وقد فعلت. وأرسل لي سـفير إيطاليا في الدوحة يبلغني شكر الوزير وشكر الدولة على موقفي.

هذا وقد أصـدر الاتِّحاد العالمي لعلماء المسـلمين الَّذي أتشـرف برئاسـته فتوى مفصلة في منع اختطـاف الرهائن مـن المَدنيِّين الَّذين

QaradawiBooks.com

لا علاقة لهم بالحرب، وعند اختطافهم ـ فرضًا ـ يجب أن نحسن معاملتهم، وأن يعاملوا معاملة الأسرى، الَّذين قال الله فيهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] هذا وهم في الأصل محاربون أخذوا من ساحة القتال، فما بالك بهؤلاء الَّذين لم يقاتلوا ولم يشاركوا في قتال؟!

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢

بين القرضاوي وجريدة «الجارديان»(١)

س: ما هو دورك في إثراء الفكر الإسلامي المعاصر؟

ج: أَوَّلًا: أودُّ في بداية حديثي أن أرحب بالأخت الكريمة السيدة مادلن، والأخ المرافق لجريدة «الجارديان». أرحب بهم في الدوحة وأرحب بهم في منزلنا، وخصوصًا في هذا الشهر الكريم، شهر رمضان؛ الَّذي نعتبره نحن المسلمين غرة الشهور. فأهلًا وسهلًا بهم ضيوفًا علينا ونعتز بهذه الزيارة ونرحب بها.

أمَّا بالنسبة للسؤال عن تقييم الدور الَّذي أقوم به: فأعتقد أنَّه ليس من شأني أنا أن أقيِّم الدور الَّذي أقوم به، فقد يبالغ الإنسان في تقييم دوره ويضخمه أكثر ممَّا يلزم، أو أحيانًا يدفعه التواضع إلى أن يحجمه أو يقزمه أكثر ممَّا يلزم. وهذا متروك للناس. الدور الَّذي يقوم به العالم والفقيه والمفكر تقييمه متروك للمجتمع الَّذي يعيش فيه، فإن وصل إلى درجة من العالميَّة فإنه يترك للعالم أن يقيمه، كل ما أقوله: هو أن أقدم للمسلمين المنهج الوسطي منهج التوازن والاعتدال؛ الَّذي يقوم على مبادئ ومعالم أشرت إليها في بعض المؤتمرات تتمثل في عشرين معلمًا

(١) تم الحوار في منزل فضيلة الشيخ القرضاوي بالدوحة في ١٧ رمضان ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥م. وقام بترجمة الحوار د. عزام التميمي.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

منها: نجمع بين ثوابت الشـرع ومتغيرات العصر، نجمع بين النظر إلى الوحي ومعطياته مـن ناحية والعقـل ومعطياته من ناحيـة، نمزج بين الروحانية والمادِّيَّة، بين الفرديَّة والجماعيـة، بين الحقوق والواجبات، ندعو إلى إحياء الاجتهاد بشـروطه، وإلى تجديد الدين بضوابطه، ندعو إلى الحوار مع الآخر، والتسـامح مع المخالفين، ندعـو إلى التعدديَّة، ندعو إلى التنوع بكافة مظاهره، نرى أنَّ الإنسانيَّة كلها أسرة واحدة تنتمي من ناحية الخلق إلى رب واحد ومن ناحية النسـب إلى أب واحد، كما قال رسـول الله ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تـراب**»[١]، «**يا أيها النَّاس، إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد**»[٢]، وأنَّ الحرب ضرورة لا يلجأ إليها إلَّا لدواعي شديدة، وأنَّ الأصل في العلاقات هو السلم، ولذلك الإسلام إذا انتهت المعركة بغير دماء يقـول: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥] هذه معالم قليلة من هذا المنهج الَّذي عشت له ودعوت إليه، وأدعو إليه في خطبي، ودروسي، ومحاضراتي، وبرامجي التلفزيونيَّة والإذاعيَّة، وفي كتبي ـ وقد زادت على المائة والأربعين ـ وفي رسـائلي ونشراتي وفي موقعـي على الإنترنـت، وفي موقع إسـلام أون لاين، وفي تدريسـي الجامعي في كل هذه أدعو إلى هذا المنهج، وأعيش له وأموت عليه إنْ شاء الله.

س: مـن العبارات المهمـة الَّتي نقلت عنكـم أنَّكم قلتـم: إنَّنا أُمَّة متخلِّفة، وإنَّنـا لا بدَّ أن نصلح مـن أوضاعنا حتَّـى ننهض. ما هو

(١) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مُخَرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن. عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ١١٧.

QaradawiBooks.com

الإصلاح حسَب وجهة نظر فضيلتكم؟ وما هو التخلُّف؟ وكيف يمكن التغلُّب عليه؟

ج: طبعًا أوَّل بدايات وشروط الإصلاح: شعور الإنسان بأنه في حاجة إلى الإصلاح، يقولون: الشعور بالنقص أوَّل الطريق إلى الكمال. الَّذي يعتقد أنَّه كامل لا يحاول أن يستكمل ما عنده، فلذلك كان من منهجي أنَّه يجمع بين الواقعية والمثالية، فتطلعنا إلى المثل الأعلى لا يجعلنا نغفل الواقع الأدنى الَّذي نعيش فيه، فأنا أقول: إنَّنا للأسف تعيش أمتنا العربيَّة الإسلاميَّة في دائرة التخلُّف، ويعبرون عنها بالبلاد النامية، والبلاد النامية تعبير مؤدب عن كلمة البلاد المتخلفة، أعني بالتخلُّف المادي والتقني والتكنولوجي والعلمي، لم نملك ما ملك الآخرون، لا يزال معظم أمتنا لم تصنع «موتورًا». أنا قلت في بعض محاضراتي: إنَّ أُمةَّ سورة «الحديد» لم تتعلم صناعة الحديد. في القرآن عندنا سورة «الحديد» فيها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] وكلمة «فيه بأس شديد» إشارة إلى الصناعات الحربية، وكلمة «منافع للناس» إشارة إلى الصناعات المدنيَّة، وأمتنا للأسف لم تتقن الصناعات الحربية، ولم تتقن الصناعات المدنيَّة، وهذا ما أعني أنَّنا ما زلنا في دائرة التخلُّف، لم نصنع طيارة، ولم نصنع دبابة لا زلنا عالة على الآخرين؛ في صناعاتنا العسكريَّة، وصناعتنا المدنيَّة، فهذا ما أعنيه بالتخلُّف.

ولكي تخرج الأُمَّة من سجن التخلُّف هذا؛ عليها أن تصلح نفسها، فالإصلاح يشمل ميادين عدَّة منها: الإصلاح التعليمي والتربوي الَّذي يبدأ من الحضانة إلى الجامعة، نريد أن نخرج الطالب الَّذي يفهم الحياة، ويفهم الواقع: لا نريد الطالب الَّذي يحفظ الكتب، و«يصم» كما نسميه

QaradawiBooks.com

نحن، «يصم» الأشياء ولا يتفاعل مع العلم ومع الواقع، فأنا أرى أنَّ تعليمنا متخلِّف حتَّى الآن. فأوَّل الإصلاح هو الإصلاح التعليمي الَّذي ينهض بكل أركان التربية. وأركان التربية هي: المتعلم وهو التلميذ، والمُعَلِّم وهو الأستاذ، والمنهج الَّذي على أساسه يحدث التعليم، والكتاب الَّذي يُدْرَس، والمكان الَّذي يُدْرَس فيه «المدرسة»، وماذا تملك من أدوات: سمعيَّة، وبصريَّة، ومختبرات، والمناخ العام الَّذي يساعد على هذا التعليم، الَّذي يُرَبِّي الشخصيَّة الحُرَّة المستقلَّة في فهمها وإرادتها.

فالإصلاح يبدأ من التعليم، وهذا الإصلاح التعليمي والتربوي ليس هو المطلوب وحده، هناك الإصلاح الاقتصادي؛ فالإصلاح يشمل كل العمليَّات الاقتصاديَّة، أركان العملية الاقتصاديَّة وهي: الإنتاج والاستهلاك والتداول والتوزيع، نريد أن يبدأ الإصلاح بزيادة الإنتاج، نريد أُمَّة تنتج. نحن للأسف نستهلك أكثر ممَّا ننتج، نستورد أكثر ممَّا نصدر، نحن نريد أُمَّة تنتج في كل المجالات، وتحسن العمل، الإسلام يعتبر العمل الاقتصادي عبادة، ويعتبره جهادًا، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، فنريد إصلاحًا اقتصاديًّا يشمل الإنتاج، ويرشد الاستهلاك، نرشد الاستهلاك ويشمل التداول، تداول المال في التجارات، وهذه الأشياء بحيث لا يحدث احتكار، ولا يحدث غش، ولا يحدث تلاعب بالأسعار، وتحكم في الأسواق؛ بحيث تطغى فئة من النَّاس فتأكل هي السوق لحسابها، وتحتكر السلع والامتيازات، وبقية الشعب جائع. الكلام في الاقتصاد كثير ولي فيه كتب شتَّى.

وقبل وفوق ذلك كله الإصلاح السياسي، لا بدَّ من إصلاح سياسي بحيث يملك الشعب أمر نفسه، يكون الشعب هو من يختار حكامه؛ لا يفرض عليه حكام، تفرض عليه الدول الكبرى حكامًا أو لمصالح

QaradawiBooks.com

معينة يفرض عليه حكام يحكمونه رغم أنفه، ويظلون عشـرات السنين يركبون ظهر هذا الشعب، ولا يستطيع الشعب أن يتحرَّر منهم.

نريد الإصلاح السياسـي، ونحن نرحب هنا بالديمقراطيَّة، ونرى أنَّ الديمقراطيَّة الحقيقيَّة تتفق مع روح الإسلام. فالإسلام لا يحب أن يحكم النَّاس حكام رغم أنوفهم. الإسلام يسمِّي هؤلاء فراعنة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ [القصص: ٤] الفرعونيَّة والجبـروت ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]، الإسـلام يريد أن يختارهم الشـعب: «**خير أئمتكم الَّذين تحبونهـم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكـم**»[1]، لذلك نحن نُرحِّـب بالديمقراطيَّة، ونراها جوهر الإسلام نرى جوهر الديمقراطيَّة تتفق مع جوهر الإسلام، والإسلام ضد الاستبداد والدكتاتوريَّة؛ لأنَّه يرى هؤلاء «متألِّهين» على عباد الله.

فجوهر الإصلاح: الإصلاح السياسي. وإذا ظلت الأُمَّة يحكمها هؤلاء الجبابرة والفراعنـة، ويقمعونها ويذلونها؛ لا يمكـن أن تقوم لها قائمة. فنحن نريد إصلاحًـا تعليميًّا تربويًّا، نريد إصلاحًـا ثقافيًّا إعلاميًّا، نريد إصلاحًا اقتصاديًّا، نريد إصلاحًا اجتماعيًّا، الموازنة بين طبقات المجتمع، بين بعضها وبعض، لا نريد أن تتصارع طبقات المجتمع، ولكن أن يكون بينها إخاء يربط الجميع، ثمَّ نريد الإصلاح السياسي والدستوري، الَّذي يعطي كل ذي حقٍّ حقَّه، وتفصل فيه السلطات بعضها عن بعض، ويعرف الحاكم حقوقه، ويعرف المحكوم حقوقه، ويستطيع النَّاس أن يتخلَّصوا من حاكمهم إذا ظلمهم، بدون عنف، أي يكون ذلك عن طريق الوسائل السلمية الَّتي وصل إليه العالم المتحضر.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٩٩)، عن عوف بن مالك الأشجعي.

QaradawiBooks.com

س: هذا الوصف الَّذي تحدَّثت عنه هل تجـد له نموذجًا في الغرب تُعْجَب به؟

ج: هذا بعد أن أكمل..

الإصلاح الَّذي أتحدث عنه لا بد أن يكون صادرًا منا نحن وليس مفروضًا علينـا، أعني أنَّه لا بد أن ينبثق من عقائدنـا وقيمنا، وتراثنا الديني والثقافي والحضاري، وأن يلبي حاجاتنا، ويحقق أهدافنا، وأن نبنيه بأيدينا، لا يمكن أن نعتبره إصلاحًا إذا كان إصلاحًا يحقق أهداف أمريكا، ومصالـح ومطالب أمريكا منا؛ لأن مطالـب أمريكا منا غير مطالبنا من أنفسـنا، لا نمانـع أن نقتبس من غيرنـا فالحكمة ضالة المؤمن، والحضارة الغربيَّة اقتبسـت منا، وقد رأينا الحضارة الغربيَّة اقتبست منا المنهج التجريبي الاستقرائي، الَّذي هو أساس نهضة أوربا والغرب، هو بالأسـاس منهج عربي إسـلامي، فمثلًا روجر بيكون وفرانسيس بيكون تناقل الغربيُّون أنفسهم أنَّهم رسل الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة إلى الغرب، فإذا كانت الحضارة الغربيَّة لا مانع أن نقتبس منها؛ ولكن بشـرط أن نلائم بين ما نقتبسه وبين مسـلماتنا العقدية والقيمية والأخلاقيَّة والحضاريَّة، لا نريد أن ننبَتَّ عن أصولنا ونصبح أمة أخرى.

نحن متخلفـون من الناحية المادِّيَّـة والتقنية، ولكنَّنـا مُتَفَوِّقون من الناحية الرُّوحيَّة والناحية الأخلاقيَّة، ونعتبر أنفسنا أقوى من الغرب وأرفع من الغرب، الغرب للأسف غلبت على حضارته النزعة المادِّيَّة، وغلبت عليه النزعة الإباحيَّة التحلُّليَّة؛ حتَّى أنَّه يبيح الشذوذ ويدافع عنه، ويبيح زواج الرجال بالرجال، والنسـاء بالنسـاء، ويبيح العُري المطلق، ويبيح

QaradawiBooks.com

الزنى الَّذي حرمته كل الأديان، والوصايا العشر في التوراة: لا تزنوا...[١]. وكان المسيح يقول: «كان من قبلكم يقول: لا تزنوا. وأنا أقول: من نظر إلى امرأة بعينه بشـــهوة فقد زنى»[٢]. لذلك ادِّعـــاء الحضارة الغربيَّة أنَّها حضارة مسيحيَّة ليس صحيحًا، فنحن نأخذ على الحضارة الغربيَّة النزعة المادِّيَّة المسرفة، والنزعة الإباحية المغالية، والنزعة للأسف الازدواجية، ازدواجية المعاييـــر بمعنى أنَّها لا تتعامل مع العـــدل المطلق ومع القيم المطلقة، تكيل بكَيْليـــن، تحلُّ هذا عامًا وتُحَرِّمه عامًا، تبيح لإســـرائيل ما تُحَرِّمه على غيرها، أمريكا تبيح لنفســـها ما تُحَرِّمه على سائر البشر، هذا ما نعيبه على الحضارة الغريبة.

لذلك نحـــن نريد أن نتمسَّـــك بأصولنا الثقافيَّـــة والحضاريَّة ونأخذ بالآليَّات من الغرب، والوســـائل من الغرب، لا مانع، أمَّا المقاصد فهي من عندنا أساسًا.

س: نرجع إلى السؤال بناءً على ما تفضلتم به: هل ترون من الأنظمة الديمقراطيَّة الموجودة في الغرب اليـــوم، مظاهر تعجب بها، وتتَّفق معها وترغب في أن تراها في العالم الإسلامي؟

ج: نعم. هناك كثير من الأشياء الجزئيَّة في الغرب أعجب بها؛ لكنِّي لا أجد مجتمعًا أراه المجتمع الَّذي أتمنَّى أن يكون عليه المجتمع العربي والمجتمع المسلم، أعجب مثلًا في الحُرِّيَّات السياسيَّة والحريات العامَّة الَّتـــي أراها في الغرب: حُرِّيَّـــة التعبير، حُرِّيَّة الرأي، حُرِّيَّـــة النقد، حُرِّيَّة المعارضة، وإن كنت أخذتُ على الغرب بعد أحداث ١١ ســـبتمبر أنَّه بدأ

(١) سفر الخروج (١٣/٢٠ ـ ١٥).

(٢) إنجيل متَّى (٢٨/٥).

QaradawiBooks.com

يتراجع عن هذه الحقوق، وبدأ يُضَيِّق علـى الحُرِّيات، وبدأ يعامل غير أهل البلاد الأصليِّين كالَّذين اكتسبوا الجنسيَّات من مدد، بدأ يضيق عليهم ويضيق على المهاجرين، ويضيق على الجنسيَّات المختلفة، الغرب للأسف هذه التجربة هزته، وزلزلت أركانه، فما كُنَّا نعجب به أصبح مهزوزًا الآن.

كُنَّا نعجب بالحُرِّيَّات ورعاية حقوق الإنسان وحقوق الضعفاء، وأعجبت بما في الغرب أيضًا من التقدُّم العلمي، والتقدُّم التكنولوجي؛ الَّذي وصل إلى مراحل متطوِّرة، ومراحل عالية جدًّا من الإنتاج في كلِّ مستوياته: الإنتاج المدني، والإنتاج العسكري، ووصل إلى الثورات المعروفة الآن، الثورة الإلكترونية، والثورة البيولوجيَّة، والثورة النوويَّة، وثورة الفضائيَّات، وثورة الاتصالات وثورة المعلومات. أُعْجَب بهذا، وأتمنَّى أن تصل بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة إلى هذا المستوى.

يُعجبني أنَّ الإدارة في هذه البلاد بلغت مستوًى رفيعًا في الجانب الإداري والتنظيمي، وهو وراء كثير من النجاحات الاقتصاديَّة، وغيرها.

يعجبني في الحقيقة النظامُ السياسيُّ المستقرُّ في بلدٍ مثل بريطانيا، فيها مَلَكِيَّة تملك ولا تحكم، وتحترم هذا الأمر، وليست كالمَلَكِيَّات الطاغية في بعض بلادنا للأسف، وفيها أحزاب تحترم نفسها وتحترم صناديق الانتخاب، ومن يقول الشعب عنه: إنَّه موضع الثقة هو الَّذي يحكم ولو بفارقٍ بسيط.

هذا يُعجبني، وأتمنَّى أن يكون في بلادنا نظام الانتخاب، الانتخابات الحقيقيَّة. نحن للأسف كثير من بلادنا تقول: إنَّها ديمقراطيَّة ولكنَّها ديمقراطيَّات مزيفة، بعضها ديمقراطيَّات أُخِذَت من النظام الاشتراكي

QaradawiBooks.com

أصلًا، مثل نظام الاستفتاء، أن يُستفتى على رئيس، تنتخبه أو لا تنتخبه، وهو الَّذي قال فيه أحد الكتاب الاشـتراكيِّين: إنَّه سباق يعدو فيه حصانٌ واحد. ورأينا في مثل هذه الديمقراطيات من يفوز بـ ٩٩٪ وربَّما ٩٩,٩٩٪ أي أربع تسـعات، أنا أتمنَّـى أن نأخذ بالنظـام الديمقراطي الصحيح، وينتخب النَّاس من يثقون به، ويُسَلِّم الجميع لهذه النتائج، المشكلة في بلادنا هي التزييف، وقشور الديمقراطيَّة وليس لبابها.

أنا معجب بالنظام الديمقراطي الصحيح سواء كان في بلادنا أو في الغرب حتَّـى الديمقراطيَّة الهنديَّة، أنـا معجب بالديمقراطيَّـة الهنديَّة، ولسـت معجبًا بالدكتاتوريَّة الباكستانيَّة، معجب بالديمقراطيَّة في اليابان أيضًا، الديمقراطيَّة الَّتي تسقط الحكومات وتقيمها بناءً على رغبة الشعب عن طريق صناديق الانتخابات.

كل هذا أنا معجب بـه، وأرى أنَّ النظـام الديمقراطي بضوابطه هو الأصلح لشعوبنا وبلادنا، وهو الأقرب لنظام الشورى الإسلامي، النظام الَّذي يقوم على الشـورى من الحاكم والنصيحة من المحكوم والتعاون بين الجميع علـى البرِّ والتقـوى، وعلى مقاومة الطغيـان والجبروت، والفرعونيَّة، والاستبداد. هذا النظام هو الأقرب إلى النظام الإسلامي.

ولكنِّي لا أقبل أن نأخذ من المجتمعـات الغربيَّة ما فيها من إباحيَّة وتحلُّل، ومن نزعـة ماديَّة، ومن غيـاب العنصر الروحـي، ومن غلبة الشهوات على النَّاس لأنَّنا أُمَّة في أصلها أُمَّة دينيَّة. الأُمَّة العربيَّة والأُمَّة الإسـلاميَّة أُمَّة دينيَّـة الجـذور، هُوِيَّتها الأساسـيَّة تقوم علـى الدين الإسلامي. لو نظرت إلى الأُمَّة الإسلاميَّة الآن في هذا الشهر «رمضان»، تجد أُمَّة تتعبَّد لله بما لا تتعبَّد بـه أُمَّة غيرها، صلاة التراويح، في أنحاء

QaradawiBooks.com

العالم الإسلامي المسلمون يصلون فيها ثمان ركعات أو عشرين ركعة، يظلون فيها ساعتين أو أكثر، في أنحاء العالم الإسلامي، في مكَّة والمدينة يوميًّا مليون أو أكثر، وفي ليلة سبعة وعشرين ربَّما مليونان أو ثلاثة ملايين، فهذه أُمَّة متعبِّدة، فإذا أردنا أن نرقى بهذه الأُمَّة أو نصلحها لا نستورد لها شيئًا لا يناسبها، ونفرض عليها كما فعل كمال أتاتورك، عندما أراد أن يصلح البلاد غيَّر كل شيء، سلخ الأُمَّة من جِلْدها، وهذا ليس إصلاحًا، هذا نوع من الإفساد وليس نوعًا من الإصلاح، إن هذا مسخ للأمة، للأسف أكثر الَّذين حكموا الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة في الفترة الماضية حكموها على أساسٍ غير سليم؛ لأنَّهم لم يحكموها على أسسها الحقيقيَّة المنطلقة من جذورها ومسلماتها وهويتها الَّتي تعيش لها وتؤمن بها.

س: نريد أن ننتقل إلى نقاط محدَّدة حصل فيها نقاش حول رأيكم فيها: أوَّل قضيَّة هي قضيَّة العمليَّات الاستشهاديَّة. الَّتي يسمُّونها في الغرب العمليَّات الانتحاريَّة، هي تقول: إنَّه نقل عنكم قولكم: إنَّ هذه العمليَّات هي الوسيلة الوحيدة المتاحة للفِلَسْطِينيِّين، ولكنَّك قلتَ أيضًا: إنَّ هذه العمليَّات موجَّهة إلى غير المَدنيِّين، وقلت أيضًا في نفس الوقت: إنَّ كلَّ الرجال والنساء في الكيان الصهيوني يخدمون في الجيش، إذن من هم المدنيُّون؟ هل نعتبر الأطفال مثلًا هم المَدنيِّين؟ هل يمكن أن توضح لنا موقفكم تجاه هذا الموضوع؟

ج: موقفي هذا واضح لأنَّه ينطلق من الشريعة الإسلاميَّة، والشريعة الإسلاميَّة لها دستور صارم يضبط أمور الحرب بضوابط أخلاقيَّة، فلا يسمح الإسلام بسفك الدماء إلَّا للضرورة القصوى؛ لأنَّ الأصل في

QaradawiBooks.com

الدمـاء العصمـة. فلا يُجيز الإسـلام من هـذه الدمـاء إلَّا ما اقتضته الضرورات الَّتي لا مفرَّ منها، ولذلك حرَّم الإسـلام في الحرب قتل من نُسَـمِّيهم الآن المَدنيِّين. حرَّم قتل النساء إلَّا إذا كانت هذه المرأة تقاتل، فحالُها كحـال الرجال، كذلك قتـل الأطفال، في الحديـث: «**لا تقتلوا وليدًا**»[١]، وقتل الشـيوخ الهَرِمِيـن، وقتل الرهبان فـي الصوامع الَّذين يتعبَّدون، وقتل الحُرَّاث الزرَّاع في أرضهم، والتجَّار في متاجرهم، حرَّم الإسلام قتل هؤلاء لأنَّهم لا يقاتلون، وحينما رأى النبيُّ ﷺ امرأةً مقتولةً في معركة غضب وقال: «**ما كانت هذه تقاتل**»[٢] معناها أنَّ القتل لا يكون للَّذي لا يقاتل، فالعمليَّات الاستشهاديَّة هذه أجزتها وأجازها الكثيرون، لسـت أنا من أجازها فقط، هناك الكثيـرون، الجماهير من علماء الدين المسـلمين أجازوا هذه العمليَّات، واعتبروها نوعًا من الجهاد، واعتبروا المقتول فيها شهيدًا؛ لأنَّه بذل رُوحه وضحَّى بنفسه في سبيل الله ليدفع عن حرماته، والأصل في هذه العمليَّات: أنَّها سلاح الضعيف في مقابلة القوي، وأنـا أرى هذا من العدالة الإلٰهيَّة أنَّها مكَّنت الإنسـان الضعيف وأعطته سلاحًا لا يملكه القوي، لأنَّ هذا الإنسان الضعيف يملك رُوحه فيُضَحِّي بها، وخصمه القويَّ لا يمكنه أن يضحي بنفسـه، فعنده سلاح لا يملكه عدوه، والَّذي أعرفه أن إخواننـا الَّذين يقومون بهذه العمليَّات من فصائل المقاومة الفِلَسْـطِينيَّة من حماس والجهاد، والجبهة الشعبيَّة والديمقراطيَّة، وكتائب الأقصى من فتح، كلُّ هؤلاء يحاولون أن يتخيَّروا

(١) جزء من حديث، رواه مسـلم فـي الجهاد والسـير (١٧٣١)، وأحمـد (٢٣٠٣٠)، عن بريدة الأسلمي.

(٢) رواه أحمد (٥٩٥٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الجهاد (٢٨٤٢)، عن حنظلة الكاتب.

QaradawiBooks.com

مواقع الجنود؛ يعني التجمعات الَّتي يتجمع فيها الجنود عندما يركبون، عند الباصات عند المحطات... وهكذا، يقصدون أساسًا الجنود، قد يقع منهم أن يصيبوا طفلًا أو يصيبوا إنسانًا لا علاقة له؛ فهذا يأتي تبعًا لا قصدًا، وهذا من ضرورات المواجهة العسكريَّة فليس قصدًا، وما أقوله بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي ليس هو الأساس في الاستدلال، أقول: إنَّ المجتمع الإسرائيلي له خاصيَّة غير المجتمعات الأخرى، أنَّ رجاله ونساءه جنود في الجيش فلا ينبغي أن ننظر إليهم كما ننظر إلى المجتمعات الأخرى، فإنَّ أيَّ امرأةٍ مثلًا في المجتمع الغربي مدنيَّة، ولكن ليس كلُّ امرأةٍ في المجتمع الإسرائيلي مدنيَّة قد تكون جنديَّة احتياطيَّة في الجيش ومع هذا أنا لا أرى أن يتعمَّد المقاتلون الفِلَسْطِينيُّون أن يقتلوا امرأة، أو يقتلوا طفلًا، ولا أن يقتلوا شيخًا كبيرًا، هذا يأتي بالرغم منهم. بحكم الضرورات كما قلت: الضرورات العسكريَّة الَّتي يلجؤون إليها إلجاءً.

ج: إنَّ كل الحروب تقع فيها الأخطاء، ويقتل فيها من غير المحاربين من يقتل، يقتل مدنيُّون، ونحن نرى الآن في العراق، وفي أفغانستان، وفي بلاد كثيرة يقتل فيها مدنيُّون من أهل البلاد، ويعتبر القادة العسكريُّون الأمريكيون أن هذا وقع من باب الخطأ، فلماذا يبررون لأنفسهم ولماذا لا يسمعون تبرير غيرهم.

الأمر الثاني: أن مسألة العمليَّات الاستشهاديَّة هذه أصبحت تاريخًا، يعني لم يعد الإخوة الفِلَسْطِينيون يعوِّلون عليها، منذ فترة طويلة لم تحدث هذه العمليَّات، وإنَّما عمليَّات المقاومة أصبحت تأخذ شكلًا آخر، فلا داعي أن نبدئ ونعيد فيها.

QaradawiBooks.com

س: فضيلتكـــم قلتم بأن هذا ســـلاح الضعيف، هناك فـــي لندن من يمكن أن يعتبر أنَّ الشباب الَّذين لجؤوا إلى هذه العمليَّات يوم سبعة يوليو الَّتـــي حصلت في لندن ربَّما اســـتخدموا نفـــس المنطق، بأنَّ المســـار السياســـي مغلق أمامهم وبأنَّهم لجؤوا إلى هـــذه العمليَّات لأنَّهم شـــعروا بالضعف، وأنَّهم غير قادرين علـــى إيقاف مجريات الأمور في العالم؟

ج: أنا أجزت هذه العمليَّات للَّذين يقاومون الاحتلال؛ الضعفاء الَّذين احتلَّت أرضهم، وغزاهم عدوٌّ قاهر، ولا يملكون من الأسلحة ما يقاومه أجزنا لهم هذه العمليَّات ولم نجز لغيرهم، ولذلك فأنا أنكرت عمليَّات ١١ ســـبتمبر وقال لي الصحفيُّـــون الأمريكيُّون: أنت أجـــزت العمليَّات الاستشهاديَّة في فِلَسْـــطِين. قلت لهم: فرق بين العمليَّات داخل فِلَسْطِين وعمليَّات ١١ ســـبتمبر؛ لأنَّ للعمليَّات داخل فِلَسْطِين غاية واضحة؛ وهي الدفاع عن النفس وعن الوطن، والوســـيلة واضحة أنَّه يضع رُوحه على كفِّه، أمَّا العمليَّات الأخرى، فإنَّها ليســـت كذلـــك، فالَّذي قام بها ذهب يغزو وطن الآخر، لا ليدافع عن وطنه، ولم يستخدم رُوحه ونفسه وذاته إنَّما استخدم طائرات برُكَّابها، ليضرب بها أناسًا ليسوا هم المحاربين، إنَّ الَّذيـــن كانوا فـــي البرجين أناس موظَّفـــون في شـــركات، ومنهم عرب ومســـلمون وأناس لا ناقةَ لهم ولا جمل في القضيَّـــة، وقضيَّة تفجيرات لندن هي أشـــبه بهذا فهؤلاء ليســـوا مدافعين ضد الاحتلال في وطنهم، ولكنَّهم ضربوا أناسًا ليســـوا هم من المقاتلين، ضربوا أناسًا ذاهبين إلى أعمالهم، أناسًـــا محايدين تمامًا: ومنهم العربي ومنهم المســـلم ومنهم الإنسان الَّذي لا شأن له بالسياسة، هذا غير هذا تمامًا.

QaradawiBooks.com

س: كيف اتَّجهت إلى دراسة العلوم الشرعيَّة؟

ج: من أوَّل الأمر في قريتنا كلُّ الأولاد يذهبون إلى الكُتَّاب لحفظ القرآن، كنتُ ممَّن ذهب إلى الكُتَّاب لأحفظ القرآن الكريم، وحفظته صغيرًا وأنا في التاسعة من عمري وبضعة أشهر، وبطبيعة الحال من يحفظ القرآن الكريم يتَّجه إلى التعليم في الأزهر، خصوصًا أنَّ التعليم في الأزهر كان مجانيًّا، ولا يحتاج إلى عبء نفقات مثل التعليم في المدارس المدنيَّة. في ذلك الوقت لم يكن التعليم فيها مجانيًّا، كان كلُّ من يحفظ القرآن مثلي يتوجه إلى التعلم في الأزهر.

س: لماذا غادرت مصر لتعيش في قطر؟

ج: جئت مجيئًا طبيعيًّا معارًا من جمهوريَّة مصر العربيَّة، إلى دولة قطر، إلى وزارة التربية والتعليم مديرًا لمعهدها الديني، كنت أنوي أن أبقى ثلاث أو أربع سنوات ثمَّ أعود إلى مصر.

ولست أنا وحدي كان معي أناس آخرون الشيخ عبد المعز عبد الستار والشيخ أحمد العسال وغيرهما، هذا مفتش علوم شرعيَّة وهذا مفتش رياضيات، وهكذا. جئنا من مصر معارين إلى دولة قطر.

لكن في سنة ١٩٦٥م أعلن عبد الناصر الحرب على جماعة الإخوان المسلمين من موسكو، وبدأت حملة اعتقالات وإيذاءات وتعذيبات، وكنتُ في قطر في ذلك الوقت، وباعتباري تاريخيًّا من الإخوان المسلمين لم أنزل إلى القاهرة لمدَّة تسع سنوات، وطبعًا مصر طلبتني من قطر أن أنزل إلى مصر، ولكنَّ قطرَ رفضت هذا وأعطتني جوازًا وجنسيَّة قطريَّة.

QaradawiBooks.com

س: (المترجم) هي تحبُّ أن تسمع منك. هل للإخوان المسلمين أثر في طريقة تفكيـرك وفي منهجـك؟ وهل عاصرت المرحوم سـيِّد قطب؟ وإذا كنتَ عاصرته فما رأيك في طريقة تفكيره وما كتبه؟

ج: لا شـكَّ أنَّ للإخوان المسـلمين أثرًا واضحًا في تفكيري، وقد استمعتُ إلى الشيخ حسن البنَّا وأنا طالب في السَّنَة الأولى الابتدائيَّة في المعهد الأزهري، وأُعْجِبْتُ بـه غاية الإعجاب، وانضممتُ إلى الإخوان بعد ذلك، وتأثَّرت بمنهج الإخوان وبطريقة الأسـتاذ حسن البنَّا مؤسِّس الإخوان، وانتقلتُ من التديُّن الفردي إلـى الدعوة العامَّة، من واعظٍ في القرية إلى داعية إسلامي ينفتح على العالم.

لا شـكَّ أنَّ الإخوان فتحت لي آفاقًا عديدة وسـعت مـن دائرتي، وجعلتني أختلط بفئات المجتمع، فتأثرت بحسن البنَّا أكثر من غيره.

ولكنِّـي أودُّ أن أقول: إنَّ الله ﷻ رزقني الاسـتقلال، ولم أحاول أن أكون مُقَلِّدًا لأيِّ شخصيَّة من الشخصيَّات، لا أحبُّ أن أتقمَّص شخصيَّة أحد، أخذتُ من حسن البنَّا، ولكنِّي لم أحاول أن أكون حسن البنَّا، بعد ذلك انتقدتُ حسـن البنَّا في بعض الأشياء، وكان لي اجتهادات تخالف اجتهاداته، أنا في أوَّل الأمر أخذت من الإخوان، ولكنِّي في السـنوات الأخيرة ومنذ مدَّة من الزمن أصبحـتُ والحمد لله معطيًا للإخوان، ربَّما يعتبروني مُنَظِّرًا لهم، ربَّما يعتبروني مفتيًا، وقد أثَّرت اتِّجاهاتي المختلفة في أفكار الإخوان، يعنـي الإخوان كان لهم موقف متشـدِّد مع المرأة، حتَّى الأستاذ حسن البنَّا كان له رأيٌ شديد في ناحية المرأة، آرائي أثرت على الإخوان، وأصدروا بيانًـا، كان الإمام البنَّا ضدَّ الحزبيَّة والأحزاب، ولكنَّني تحدَّثت عن أنَّ الحزبيَّة ضرورة، وأنَّه لا بدَّ من الأحزاب والتعدُّد

QaradawiBooks.com

الحزبي ما دام يقوم على أصول صحيحة. وأصدرت قيادة الإخوان بيانًا من عدَّة سنوات يدعو إلى التعدديَّة، ويجيز التعدديَّة الحزبيَّة وغيرها.

أمَّا سيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللَّهُ فأنا لقيتُه في حياتي وجهًا لوجه، جلست معه مرَّتين؛ مرَّة أنا الَّذي سعيتُ إليه، ومرَّة هو الَّذي دعاني وهذا مذكور بالتفصيل في مذكِّراتي الَّتي نشرت وقد نشرتُ منها ثلاثة أجزاء وسَمَّيْتُها «ابن القرية والكُتَّاب»، وأنا ممَّن قرأ لسيِّد قُطْب وكنتُ من المُعْجَبِين به، بأدبه في مرحلة الأدب، ودعوته في مرحلة الدعوة، وبعد ذلك حينما اتَّخذ في المرحلة الأخيرة موقف الرفض والعنف، وقفت موقفًا آخر، وانتقدتُ بعض أفكاره في هذه المرحلة، نقدتُ رأيه في الاجتهاد في كتابي «الاجتهاد في الشريعة الإسلاميَّة»، وعقَّبْت في مُذَكِّراتي على بعض مواقفه في قضيَّة التكفير.

س: من القضايا المطلقة أن يرى بعض المسلمين أنَّه يجوز سفك دماء مسلمين آخرين لأنَّهم يعارضونهم، نرى الآن في العراق بعض السُّنَّة يقتل بعض الشيعة؟ هل لكم موقفٌ مُعْلَن في هذه القضيَّة؟

ج: موقفنا واضح جدًّا، إنَّ هذا مبنيٌّ على قضيَّة التكفير. وأنا موقفي واضح جدًّا من هذه القضيَّة، وأصدرت فيها رسالة أسميتها «ظاهرة الغلوِّ في التكفير» عندما خرجت جماعة التكفير والهجرة في مصر واختطفت الشيخَ الذَّهْبي، وقتل بعدها الشيخ الذهبي، قبله بمدَّة أصدرتُ هذه الرسالة، وأصلها فتوى عن التكفير كانت في كتابي «فتاوى معاصرة»، ثمَّ نشرت في مجلة المسلم المعاصر، وعارضت قضيَّة التكفير، فإنَّك إذا كفرت مسلمًا فمعناه أنَّك استبحت دمه وماله، وهذا أمر خطر، أنا لا أُكَفِّر الشيعة، قد يفعل ذلك بعض الإخوة السلفيِّين، يُكَفِّرون الشيعة، أنا

QaradawiBooks.com

لا أُكَفِّر الشيعة، وإنَّما أدعو للتقريب بين المذاهب والطوائف الإسلاميَّة المختلفة، وحضـرت أكثر من مؤتمر للتقريب، وألفت في ذلك رسـالة أسميتها «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة» لذلك أنا لا أرى أبدًا أن يستبيح المسلم دم المسلم؛ لأنَّه ما دام يصلي إلى القبلة فلا يجوز استباحة دمه، وأرى أنَّ الأمر لا يقف عند السُّنَّة فقط؛ فهناك من الشيعة من قتل من أهل السُّـنَّة. جماعة فيلق بدر وغيرهم قتلوا من أهل السُّـنَّة خصوصًا من علماء أهل السُّـنَّة، ومن خطباء المساجد ومن أئمَّة الدين، وهذا أمر لا يبرزه الإعلام للأسف كما يبرز ما يفعله السُّنَّة، ومن الإنصاف أن يذكر هـذا وذاك، ومعظم ما يقع من ذلـك هو من جماعة الزرقاوي. وهؤلاء يكفرون مثلي أيضًا فدائرة التكفير عندهم واسعة جدًّا.

س: (المترجم) اليوم عندما كنا عند الأسـتاذ وضَّاح قـال لها كلمةً أعجبتهـا قال: إنَّك تؤمـن أنَّ الحُرِّيَّـة مُقَدَّمة على تطبيق الشـريعة الإسلاميَّة؟ ما الَّذي تقصده بذلك؟

ج: أنا أقصد أنَّ كثيرًا من الدعاة الإسلاميِّين من الإخوان، والجمعيَّات الإسـلاميَّة المختلفة، وحزب التحرير وغيرهم ينـادون بالتطبيق الفوري للشريعة الإسلاميَّة، وأنا أقول: إنَّنا قبل أن ندعو للتطبيق الحرفي والفوري للشريعة الإسلاميَّة، يجب أوَّلًا أن يتوافر جوُّ الحُرِّيَّة. نريد أن ينعم النَّاس بالحُرِّيَّـات، حتَّى إذا اختاروا الشـريعة الإسـلاميَّة يختارونها عن اقتناع لا عن قهرٍ ولا عن إكراه، فهذا الجوُّ الَّذي يستطيع الإنسان أن يقول فيه: (نعم) بحُرِّيَّة و(لا) بحُرِّيَّة. هذا هو الَّذي أراه، وأنا أرى أنَّه هو من الشريعة الإسلاميَّة. يعني هذا ليس خروجًا عن الشريعة الإسلاميَّة؛ بل هو جزء من الشريعة الإسلاميَّة، ولكن من ناحية الأولويَّات علينا أن نقدم هذا، يجب

QaradawiBooks.com

أن نقدم جوَّ الحرية العام المتاح للنَّاس، حتَّى إذا طُبِّقَت الشريعة الإسلاميَّة طُبِّقَت في هذا الجوِّ؛ الَّذي يسمح لها بالنموِّ وبالوصول إلى عقول النَّاس وضمائرها بسهولة وبسلاسة.

قبل أن نقول للناس: اقطعوا يدَ السارق، أو اجلدوا السكارى، نقول: ارفعوا أيديكم عن المسجونين، أطلقوا سراح المعتقلين، افتحوا النوافذ للحُرِّيَّات، ليتكلَّم النَّاس، ليُعَبِّروا عن أنفسهم. نريد هذا الجوَّ، هذا الجوُّ مطلوبٌ قبل أن نُنادي بتطبيق أحكام الشريعة الإسلاميَّة.

س: فيما يتعلَّق بقضية اللواط؛ وهي إشكاليَّة بين الإسلام والغرب الآن الَّذي أصبح يعتبر أن هذا الأمر مقبول، كيف يمكن أن نتجاوز هذا الخلاف في هذه القضيَّة بين مسلمين يعتبرون أنَّ هذا أمر فاحش مرفوض، وبين الغرب الَّذي أصبح يعتبر هذا الأمر مقبولًا؟

أنا أتعجَّب! هل تخلَّى الغرب عن مسيحيَّته. المفروض أنَّ الغرب مسيحي الديانة؛ على الأقلِّ بحُكْم النشأة، وبحكم التاريخ. والمسيحيَّة ترفض هذا الأمر؛ ترفض الزنى، وترفض اللواط، واعتبرت اللواط أشد من الزنى. وأسفار التوراة اعتبرت أنَّ قوم لوط هؤلاء الَّذين سلَّط الله عليهم من العقوبات السماويَّة ما هو معروف، كان من أجل هذا الأمر، وأعتقد أنَّ المسلمين ليسوا هم وحدهم من ينكر هذا الأمر، المسيحيُّون المتديِّنون أيضًا ينكرون هذا الأمر، «بابا» المسيحيِّين ينكر أيضًا هذا الأمر، كما تنكره كتبُ السماء، ليس المسلمون وحدهم.

وهذا الأمر لو شاع وأصبح أمرًا يفعله النَّاس بدون استنكار، واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ما معنى هذا؟ معنى هذا أن تنتهي

QaradawiBooks.com

البشـــريَّة بعد جيل أو جيلين؛ لأنَّ الله ﷻ جعل بقاء البشـــريَّة بأن يلتقي الرجل بالمرأة لكي يتمَّ الإنجاب؛ ولكي يســـتمرَّ النوع البشـــري؛ بلقاء الرجل بالمرأة بالزواج الشـــرعي الَّذي أقرَّته ديانات الســـماء، من عهد إبراهيم، ومن عهد نوح، التقاء الرجل بالمرأة ينشأ منه الأبناء، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢] كيف يأتي؟ يأتي بالزواج.

اللـــواط لا يأتي منه أبناء ولا أحفـــاد، ومعنى هذا فناء البشـــريَّة، هل يســـعى النَّاس إلى فنائهم بأيديهم وإرادتهم؟! إذا كان هذا شـــهوة بشريَّة فلا ينبغي للنَّاس أن يتَّبعوا شـــهواتهم، استسلام الإنسان لشهواته ولغرائزه البحتة دون ضابط من دين أو إيمان أو أخلاق عمليَّة خطيرة على البشريَّة، هلاك للنوع البشـــري، الإنســـان ليس هذا الغلاف، مجرَّد الجسم والعظم والدم والغرائز هذه، الإنسان هو الكائن الداخلي؛ الرُّوح الفؤاد الضمير... الإنسان هو هذا، فكيف نُعلي الشـــهوة على الضمير، ونعلي الجسد على الرُّوح، ونستســـلم لهذا ونقـــول: إنَّ هذا خـــلاف بين المســـلمين وغير المســـلمين؟! لا، هذا خلاف بين الأخلاق وبين عدم الأخلاق، بين حياة الضمير وحياة الجسد، إذا كُنَّا نريد أن نمجد الأنبياء العظام والرسل العظام الَّذين قادوا البشريَّة خلال التاريخ الطويل، فهم كلُّهم ينكرون هذا الأمر.

س: قضيَّة المرأة. بناتك تعلَّمْنَ وأصبحن أســـاتذة، هل ترى أنَّ هناك نواحي في الحياة للرجال فيها ســـلطان على النســـاء أم أنَّ النســـاء والرجال سواسية في كل شيء؟

الأصل أنَّ الرجل والمرأة كلاهما مخلـــوق لله تعالى، وكلاهما مكلَّف بعبادة الله ومستخلَف في الأرض، وقد قال القرآن عن علاقة الرجال بالنساء: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي المرأة من الرجل، والرجل من المرأة،

QaradawiBooks.com

أي لا يستغني بعضهم عن الآخر، والله يقول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال الرسول ﷺ: «**إنَّما النساءُ شقائق الرجال**»[١].

هذا هو الأصل، كلُّ ما فرضه الإسلام أنَّ في حالة الزوجيَّة القِوَامة ـ قوامة البيت ومسؤوليَّة البيت ـ بيد الرجل، هذه شركة، والشركة لا بدَّ لها من مدير، إذا تركت بدون إدارة تكون فوضى، إذا كان فيها مديران متكافئان في السلطة، «المركب الَّتي فيها رئيسان تغرق»، الرجل هو الأقدر على الإدارة خصوصًا إسلاميًّا، الرجل هو الَّذي يغرم في تأسيس الأسرة، هو الَّذي عليه أن يدفع مهرًا للمرأة، هو الَّذي عليه أنْ يُؤَسِّس البيت، هو الَّذي عليه النفقة، ومقابل هذا عليه المسؤوليَّة وهذا هو السلطان الوحيد، ولا يعني هذا أنَّ بالقوامة تصبح المرأة كمًّا مهملًا. لا، لا بدَّ أن يشاورها ويأخذ رأيها في الأمور، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ شاور بعض نسائه في الأمور العامَّة، ليس الأمور المنزليَّة، كما شاور أمَّ سلمة وأشارت عليه وأخذ برأيها[٢].

س: قضيَّة ضرب النساء كيف نفهمها في هذا السياق؟

هذه القضيَّة أساء كثير من النَّاس فهمها؛ لأنَّ الإسلام لم يدعُ إلى ضرب المرأة ولم يحبِّذ ضرب المرأة، بل لا يحبذ ضرب أي إنسان قط، لا يعتبر الضرب أمرًا مستحبًّا، ولكن هذا الأمر ضرورة اقتضته الضرورة في بعض الأحوال ولبعض النساء وفي حدود معينة وذلك في حالة النشوز، نشوز المرأة.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ٩٠.

(٢) قصة الحديبية ومشاورة أم سلمة للرسول ﷺ رواها البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة، ومروان.

QaradawiBooks.com

٣

بين القرضاوي والـ «بي بي سي»

أجرت الإذاعة العربيَّة في الـ «بي بي سي» لقاءً مع فضيلة الشيخ القرضاوي خلال زيارته للندن العاصمة البريطانيَّة بدعوة من الرابطة الإسلاميَّة في بريطانيا ٢٠٠٣م، لإلقاء عدد من المحاضرات، ولعقد لقاءات إعلاميَّة مكثفة الهدف منها: هو تصحيح المفاهيم المغلوطة الَّتي غابت معها وسطية الإسلام وسماحته.

أجرى اللقاء المقدم زين العابدين توفيق؛ الَّذي حاور الشيخ القرضاوي حول عدة مواضيع منها الحرب الوشيكة على العراق، وبما يُسَمَّى بصدام الحضارات، وفيما يلي نصُّ الحوار:

حكم مساندة العدوان على العراق:

س: المسلمون الآن يواجهون تحديات عدَّة، وآخر هذه التحديات الهجوم المتوقَّع على العراق، وتحدَّثْتَ فضيلتُكم أكثر من مرَّة عن دور المسلمين في التضامن مع الشعبَيْن العراقي والفِلَسْطِيني، وماذا عن الحكومات العربيَّة والإسلاميَّة، يعني ما حكم من يقف إلى جوار المهاجمين في هذه المسألة؟

QaradawiBooks.com

ج: بسم الله الرحمٰن الرحيم. الحمد لله، وأزكى صلوات الله وتسليماته على أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم محمَّد الَّذي أرسله ربه رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

بدايةً فأنا أدين كلَّ من يساند العدوان، سواء كان على المسلمين أم كان على غير المسلمين؛ لأن من شأن المسلم ألَّا يظلم وألَّا يكون عونًا للظالم فمعاونة الظالمين في الإسلام هي أيضًا بمثابة الظلم. وعندنا من المأثورات الإسلاميَّة ما يمنع من هذا، حكماء الأمة يقولون: «من مشى مع ظالم ليقويه فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه»، ويقول بعضهم: «من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعْصَى الله في أرضه»[(١)]، يعني عندما يقولون: «يطول عمرك» أي يطول عمر الفساد والظلم.

فلذلك لا ينبغي لأيِّ مسلم أن يساعد على ظلم، فكيف إذا كان الظلم هذا يشمل شعوبًا، ظلم الفرد محرم فكيف بظلم الشعوب، ظلم يترتب عليه موت وخراب وهلاك، فلهذا لا يقبل الإسلام الظلم لأي إنسان بل لا يقبل ظلم الحيوان، لا يقبل لإنسان أن يعذِّب حيوانًا بغير حق، وفي الحديث قال ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النار في هِرَّة حبستَها، فلا هي أطعمَتْها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[(٢)].

فإذا كان هذا الظلم على شعب مسلم وعلى وطن مسلم يكون أشد في الإثم؛ لأنَّ المفروض أن يكون المسلم مناصرًا لأخيه المسلم،

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٠)، تحقيق أبو إسحاق الحويني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

«**المسلم أخو المسلم. لا يظلمه، ولا يسلمه**»[١] و«**المسلمون تتَكَافَأُ دماؤهم، ويسعى بذِمَّتِهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[٢]. فأنا أنتظر منك أن تنصرني وتساعدني فتأتي مع عدوِّي لتضربني وتحطمني؟ هذا لا يقبل.

س: البعض يقول: بأن تخليص العراق من الحكومة الحاليَّة، ومن النظام الحالي هي خير للعراق، وخير للمسلمين. وقد يجد بذلك مُبَرِّرًا للوقوف بجانب من يريدون تغيُّر النظام في العراق.

ج: هذا كلام في الحقيقة يراد به تغليف الأهداف العدوانيَّة بغلاف مُحسن و«مرزوق»، ولكن الحقيقة: هل المقصود من هذا هو تخليص العراق من صدام؟

ومن الَّذي يخلص؟ أمريكا؟!

أمريكا هي الَّتي ساندت صدام في مراحل طويلة من حياته، ساندته لضرب إيران، ضرب الثورة الإسلاميَّة في إيران في نشأتها، ومدته بالسلاح، السلاح الَّذي تنكره اليوم أمريكا هي الَّتي أمدت به عراق صدام، أو صدام العراق، ولم تنكره حينما ضرب به الإيرانيِّين ولم تنكره حينما ضرب به الأكراد في بلده منطقة «حلبجة» المعروفة، كان حلالًا في ذلك الوقت، أصبح حرامًا ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبة: ٣٧]، أمريكا ساندته سنوات طويلة في حياته ثمَّ الآن تتنكَّر له.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

بل من المعروف أن أمريكا هي الَّتي أغـرت صدام بغزو الكويت، حينما سأل السـفيرة الأمريكيَّة: ماذا لو حدث شـيء بالنسبة للكويت؟ فقالت: ليس بيننا وبيـن الكويت معاهدة دفاع ولا شـيء من هذا. هذا معناه الطريق مفتوح لك، فليس المقصود التخلُّص من صدام، ثمَّ إذا كان يراد التخلُّص من صدام فلا بدَّ أن يتخلَّص منه الشـعب العراقي ليختار البديل بنفسـه، أمَّا أن يُفْرَضَ على الشـعب العراقي حاكمٌ عميل بديل للحاكـم الدكتاتور أنا عنـدي أنَّ الدكتاتور على ظلمه وسـوئه خيرٌ من العميل الخائن لبلده، المنضمِّ لعدوِّه.

صدام الحضارات:

س: فضيلة الشـيخ يوسـف القرضاوي، كنتَ قد قمتَ بزيارة إلى الفاتيكان وفيما عرف بالحوار الإسلامي المسيحي، قبل ذلك أسامة ابن لادن قسَّـم العالم قال: إنَّ أحداث سـبتمبر قسـمت العالم إلى فُسْطَاطَيْن: فسطاط إيمان، وفسـطاط كفر، هل ترى هذه التحرُّكات الأمريكيَّة في المنطقة والتحـرُّكات البريطانيَّة معهـا مقدّمة لصراع حضارات كما تحدَّث عنها صامويل هنتنجتون؟

ج: أوَّلًا: نحـن نؤمن بحـوار الحضارات وحوار الأديـان، وإمكان التفاهم بيـن المختلفين، والإسـلام يأمرنا بالحوار، يعني نحن لسـنا مُخَيَّرين في الحوار، نحن مأمورون بأن نحاور مخالفينا ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، ونحن لسـنا مع نظريـة صامويل هنتنجتون هذا بصراع الحضارات أو صدام الحضـارات، فالتفاهم ممكن، وإن كان هو يخفي في كلامه عن صراع الحضارات أنَّه فـي الحقيقة صراع الأديان، فهو قسـم الحضارات السـبع أو الثماني مثـل: الحضارة الإسـلاميَّة،

QaradawiBooks.com

والحضـــارة الكونفوشيوســـيَّة، والحضـــارة الأرثوذوكســـيَّة، والحضارة اللاتينيَّـــة، يعني كلها تحمـــل عنصرًا دينيًّـــا خفيًّـــا، وإن كان هو يقول: الحضارة الأرثوذوكسيَّة الروســـيَّة، وحضارة أمريكا اللاتينيَّة فهو يخفي العنصر الديني.

هو يـــرى أنَّ كل الحضارات يمكن التفاهم معهـــا، ما عدا الحضارة الإسلاميَّة، حتَّى الحضارة الكونفوشيوســـيَّة. وهو يعبر بها عن الحضارة الصينيَّة يقول: إنَّه يمكن التفاهم معها، ولكن الحضارة الإســـلاميَّة هذه الحضارة الناشزة الَّتي يصعب التفاهم معها، نحن نخالفه وإن كان يعتبر من التبريرات الفلســـفيَّة للسياســـة الأمريكيَّة، ولكن نحن لا نأخذ هذه التحليلات مُسلَّمة، نرى أنَّ هناك شوائب كثيرة تشوبها.

س: ألا يلتقي كلامه عن الصدام مع الحضارة الإســـلاميَّة بالذات مع ما يقال أيضًا في الجانب الإسلامي عن أنَّ الكفر ملَّة واحدة، أي أن كلَّ الملل الأخرى في كفَّة والإسلام في كفَّة أخرى؟

ج: لا. الإســـلام ينظر إلى الملل الأخرى في كِفَّة والإسلام في كِفَّة على أساس: أنَّه له وجهة غير وجهتنا، وله فلسفة غير فلسفتنا، وإن كان الإسلام يرى: أنَّ أهل الكتاب أقرب إليه من غيرهم، ولهذا أجاز مصاهرة أهل الكتاب، وهذا في قمَّة التسامح، يعني أهل الكتاب لا يُجِيزون هذا، ولكن الإسلام أجاز أن يتزوَّج المسلم مســـيحيَّة أو يهوديَّة، ومعنى هذا أنَّها تكون ربَّة بيته وشريكة حياته وتكون أمَّ أولاده، ومعنى هذا أن يكون أبوها يصبح جدَّ أولاده، وأمُّها تصبح جَدَّتهـــم، وأختها تصبح خالتهم، وأخوها يصبـــح خالهم، أصبحت هناك رحم مشـــتركة، وأصبحت هناك حقوق ذوي القربى. هذا قمَّة في التسامح.

QaradawiBooks.com

ومع هذا الإسلام يرى أن اختلاف النَّاس في الأديان واقعٌ بمشيئة الله، وأنَّ الله حينما خلق الإنسان وأعطاه العقل والإرادة فمعنى هذا: أعطاه حُرِّيَّة التغاير مع الآخرين. ولهذا قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] المُفَسِّرون يقولون: لذلك، أي للاختلاف خلقهم؛ لأنَّه خلقهم بعقول، كلُّ واحدٍ له عقله، وله إرادته، وله اختياره؛ فلا بدَّ أن يتغايروا، ولا بدَّ أن يختلفوا.

موضوع الرِّدَّة:

س: فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، ذكرت الاختلاف وإذا كان الإسلام يسمح بالاختلاف بين المسلمين وغير المسلمين، هل يسمح بالاختلاف بين المسلمين أنفسهم، وكما نعلم أنَّك من المجتهدين، وتفتح باب الاجتهاد لكثيرٍ من العلماء، كلام كثير قيل عمَّا يُسمَّى في الإسلام بالرِّدَّة، هل إذا رأى المسلم نفسه مولودًا مسلمًا ورأى طريقًا آخر غير الإسلام، هل أيضًا يُحْكم بقتله كما هو الحال؟

ج: موضوع الرِّدَّة كبير، وأنا قدَّمت فيه رسالة اسمها «جريمة الرِّدَّة وعقوبة المرتد» حتَّى عقوبة القتل هذه ليس مُتَّفَقًا عليها، هناك من العلماء من يقول: إنَّ المرتدَّ يُستتاب أبدًا. يعني يناقش دائمًا. وهذا رأي الإمام النَّخَعي من فقهاء التابعين، والإمام الثوري، وهو نظير الإمام أبي حنيفة، وكان له مذهب استمر مدَّة طويلة، ولذلك ليس هذا الأمر مُتَّفقًا عليه.

ثم ليست الرِّدَّة كلها من نوع واحد، يعني هناك واحد ارتدَّ اقتنع بشيءٍ آخر؛ فيذهب إلى جهنَّم، ومثلما قال القرآن الكريم: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

QaradawiBooks.com

إنَّما الخطر حينما يصبح المرتدُّ داعيًا لدينه الجديد، ومهاجمًا للدين القديم، ويدعو المسلمين إلى الخروج عن دينهم، ويفتنهم في عقيدتهم، هنا يصبح الخطر لأنَّه يهـدد الأُمَّة في كيانها المعنـوي، وكل نظام من الأنظمة عنده أشـياء أساسـيَّات لا يقبـل الاختلاف فيها، وهـذه الرِّدَّة والدعوة إليها من الممكن أن تكوِّن خطورة هائلة، وأنا أضرب لك مثلًا:

أتعرف ماذا حدث لأفغانسـتان؟ الَّذي حدث لأفغانستان منذ أكثر من عشرين سنة إلى اليوم سببه جماعة ذهبوا إلى روسيا، هؤلاء حينما أخذوا الحكم أرادوا أن يفرضوا هذا الدين الجديد أو المذهب الجديد على الشـعب الأفغاني، الَّذي رفض لتمسـكه بدينه، هؤلاء استعانوا على الشـعب الأفغاني بالسوفيت، بالدبابات السـوفيتية، والطائرات السوفيتية تدك البلد، واسـتمرت الحرب إلى اليوم، كل ما يجري في أفغانستان إلى اليوم سـببه هؤلاء المرتدون؛ الَّذين أرادوا أن يفرضوا الرِّدَّة على الأُمَّة.

فالرِّدَّة ليست جريمة هيِّنة، ليست مجرَّد خلاف فكري، لا. هذا إنسان يُغَيِّر ولاءه من أُمَّة إلى أُمَّة، ومن وطنٍ إلى وطنٍ آخر، هل يقبل أي داعية وطني الآن الخيانة الوطنيَّة؟

هل يُقبل واحـد يقول لك: أرى أنَّ أفضل شـيء لمصر أن يحكمها البريطانيُّون، ويدعو إلى هذا؟ ماذا تُسمِّي هذا؟

نُسَمِّيه: خائنٌ خيانةً عظمى، ويسـتحق القتل والإعدام. أحيانًا الرِّدَّة تكون بمثابة الخيانة العظمى لأنَّها تكون عملًا ضد الأُمَّة، ولكن إذا كان هناك شـخص يقف موقفًا؛ وهو في نفسه لا يكون خطرًا على الأُمَّة فهو وما يرى.

QaradawiBooks.com

الغرب والتعامل مع فوائد البنوك:

س: هناك قضايا كثيرة تطرأ كل يوم، وتتجدَّد فيه أكثر بكثير ممَّا تجدَّد خلال القرون والعقود الماضية، المسلمون في الغرب مثلًا يجدون صعوبة شديدة في تفادي مسألة الفائدة في البنوك، والتعامل مع النظام المصرفي، وهو نظام بعضه يشبه بعضًا، فلا فكاك لهم في التعامل مع هذه التعاملات، هل تفتي المسلمين هنا في أوربا وأنت رئيس مجلس الفتوى الأوربي بالتعامل مع هذه الأشياء؛ على أن لا يجوز لهم ذلك إذا عادوا إلى بلادهم العربيَّة والإسلاميَّة؟

ج: المجلس الأوربي للإفتاء أفتى للأقلِّيَّات الإسلاميَّة في أوربا، أفتى لهم بجواز شراء البيوت بالقرض من البنك بفائدة واعتبر هذا حاجة من الحاجات للفرد المسلم، وللأسرة المسلمة، وصدرت فتوى من المجلس بهذا الأمر. وطبعًا هناك من شنوا علينا الغارة بالتهاون في الدين، ونحلل الحرام ونعمل كذا... ولكن من منطلق رعاية القواعد ورعاية المقاصد للشريعة، وأنَّ الشريعة لا تريد إعنات النَّاس وإنَّما تريد رفع الحرج عنهم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] من هذا المنطلق ـ وقد قال الفقهاء: إنَّ الحاجة تنزل منزلة الضرورة ـ ولا شك أنَّ السكن للإنسان حاجة، فأفتينا بجواز هذا في البلاد الَّتي يعيش فيها المسلمون أقلِّيَّات ويحتاجون إلى السكنى، وقد يفضي عدم إجازة هذا إلى حرج ومشقات كثيرة للفرد المسلم وللأسر المسلمة[1].

(١) راجع الفتوى بالتفصيل في كتابنا: في فقه الأقليات المسلمة صـ ١٥٤ ـ ١٦٢، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، وفتاوى معاصرة (٦٢٥/٣ ـ ٦٣٠) نشر دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

الرجوع عن الفتوى:

س: فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، كم مرَّة حدث ورجعت عن فتوى أفتيت بها في وقت سابق؟

ج: هذه الفتوى من الفتاوى الَّتي رجعت عنها، فقد كنت أفتي بتحريم هذا منذ مدَّة طويلة، ثمَّ بدا لي أن أغيِّر رأيي، ربَّما كان الإنسان حينما يبلغ الشيخوخة يكون أرق قلبًا، وأرفق بعباد الله، أو ربَّما كان نضج الإنسان عن طريق القراءة والتجربة والاطلاع لعله أيضًا السبب في تغيير الفتوى.

الإمام الشافعي كان له فتاوى وله فقه قبل أن يستقر في مصر، وبعد أن استقر في مصر أصبح له مذهب آخر، العلماء يقولون: قال الشافعي في القديم (يعني في المذهب القديم)، وقال في الجديد (أي في المذهب الجديد)، وأصبح هذا معروفًا عند النَّاس، لأنَّه في مصر رأى ما لم يكن قد رأى، وسمع ما لم يكن قد سمع، ثمَّ إنَّه قد نضج فكره، حيث أصبح في الخمسين أو فوق الخمسين، فهذا يمكن للإنسان أن يراجع أفكاره واجتهاداته ويغيرها.

ومن الأشياء الَّتي غيرت فيها أيضًا ويتعلق بالأقلِّيَّات الإسلاميَّة حينما تسلم المرأة ويبقى زوجها على دينه كنت أفتي بأن هذا لا يجوز وأنَّه يجب التفريق بينهما، ثمَّ بعد أن زاد اطلاعي في هذه القضيَّة وجدت الإمام ابن القيِّم يقول في أحد كتبه وهو كتاب «أحكام أهل الذمَّة» يقول: إن في المسألة تسعة أقوال. ويذكر هذه الأقوال، فاخترنا منها أيضًا ـ المجلس الأوربي للإفتاء ـ القول الَّذي روي عن سيدنا عمر: أنَّها تخير في الفراق أو بقائها مع زوجها، وسيدنا عليٌّ نفسه روي عنه هذا، وأن بعض السلف قالوا: هما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما سلطان. يعني

QaradawiBooks.com

ما لم يصدر حكم قضائي، فيبقى العقد الأوَّل معمولًا به، أخذنا هذا بالتيسير أيضًا؛ لأن إسلام النساء في الغرب كثير جدًّا، أكثر من إسلام الرجال، وبعضهن متزوجات، وبعضهن على علاقة طيبة مع زوجها، وزوجها لا يمنعها من الإسلام، ولا يحجر عليها، ولا يضيق عليها، فلماذا نصرُّ على التفريق[1]؟

وجدنا في هذا حلًّا لهذه المشكلة.

الحجاب في الغرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

س: بعض النساء في الغرب خلعن الحجاب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقيل بأن هنالك من أفتى لهن بخلع هذا الحجاب حفظًا للنفس، على أساس أنَّ النفس حفظها مقدم على أداء فريضة الحجاب، هل توافق على هذا الرأي؟

ج: أنا أوافق عليه مؤقتًا، يعني إلى أن تستقر الأمور، وتعود الحياة إلى طبيعتها؛ لأن مثل هذه الأشياء لا تدوم، يعني أحيانًا تكون القبضة شديدة، ثمَّ تهدأ العاصفة ويعود النَّاس إلى الحياة الطبيعيَّة، ففي مواجهة العاصفة يمكن أن تتخلَّى. نحن عندنا قاعدة تقول: الضرورات تبيح المحظورات، ولكن هذه القاعدة تكملها وتضبطها قاعدة أخرى هي: ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها، يعني لا نتوسع في الضرورة، لا تصبح الضرورة أصلًا، تظل الضرورة استثناءً من القاعدة، ويظل الإنسان مشدودًا إلى القاعدة عندما تتاح الفرصة.

(١) راجع الفتوى بالتفصيل في كتابينا: في فقه الأقليات المسلمة صـ ١٠٦ وما بعدها، وفتاوى معاصرة (٦٢١/٣) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

فالمسلمة مثلًا عندما نقول لها: اخلعي الحجاب، فلا تخلع الحجاب مثلًا وتلبس الجابونيز... لا، تخلع الرأس فقط، حتَّى بعض المسلمات خلعن الخمار ولبسن برنيطة يعني تغطي الرأس للتحايل، ثمَّ إذا خلعتها أثناء العمل الَّذي يعرفها النَّاس فيه فتخلعه، وفي الأماكن الأخرى تلبسه وهكذا، فهذه الأمور لها ضوابط بحيث يظل الإنسان مشدودًا إلى الأصل الشرعي غير حائدٍ عنه.

الاستنساخ البشري:

س: ذكرت فضيلتكم أنَّ العلم عندنا دين والدين عندنا علم، هنا يطرح الاستنساخ نفسه على من ملك رأيًا في الاستنساخ البشري: هل يمكن أن يتغير هذا الرأي لضرورات مستقبلية؟ يعني مثلًا: أسرة لا تنجب تريد أن تنجب طفلًا أو طفلة، هل يجري عليها التحريم أيضًا؟

ج: الأصل في هذا هو التحريم من غير شك، إنَّما يمكن أن يباح الاستنساخ الجزئي، استنساخ عضو معين، بعض النَّاس يحتاجون إلى عضو في علاج خلايا معينة مصابة بالسرطان ومصابة بكذا... وممكن الاستنساخ من هذا. إنَّما استنساخ البشر ينبغي أن نغلق الباب في هذا الأمر؛ حتَّى لا تحدث الفوضى.

والإسلام يريد للإنسان أن ينشأ نشأة طبيعيَّة بين أبوين وفي حضانة أسرة. تعرف أنَّ الطفولة الإنسانيَّة هي أطول الطفولات، لأنَّ الإنسان في حاجة إلى حضانة طويلة الأمد، في حاجة إلى تربية مستمرة، فهو في حاجة إلى أبوة راعية، وإلى أمومة حانية، وإلى أخوة عاطفة، يريد أن يعيش في هذا الجو، فلا بدَّ أن نوفره له، فلا ينبغي أن نتوسع في هذا حتَّى لا يفتح الباب بعد ذلك على مصراعيه.

QaradawiBooks.com

متى يضحك الشيخ القرضاوي ملء فيه؟

سؤال أخير فضيلة الدكتور، متى يضحك الدكتور القرضاوي ملء فيه؟

الشيخ القرضاوي يضحك، ثمَّ يقول: أنا يا أخي لست إنسانًا عابسًا، كان النبيُّ ﷺ كما وصفه الصحابة ووصفه الصحابي عبد الله بن الحارث الزُّبَيْدي ـ وهو دفين قريتنا وهي قرية في الغربيَّة اسمها صفط تراب مركز المحلَّة الكبرى، وهو آخر من مات من الصحابة بمصر، كان من صغار الصحابة، وكان مع عبد الله بن عمرو بن العاص، وتزوَّج في بلدنا، واستقر بها ومات بها ـ يقول: ما رأيتُ أكثر تبسُّمًا من النبي ﷺ[(١)]. فأنا لا أحبُّ العبوس ولا التكشير، ولي فتوى طويلة اسمها «الدين والضحك»[(٢)] حتَّى أنَّنا نقول: الإنسان حيوان ضاحك؛ فالضحك هو الأصل، ولكنِّي كما أضحك كذلك أحزن وأبكي، وفي حالتنا هذه أعتقد أنَّ الحزن والبكاء هو الواجب علينا لما تعانيه أمتنا.

كان الشاعر محمود غنيم ـ وهو شاعر له قصائد معروفة ـ قال في أحد الأعياد:

قَالُوا عَجِبْنَا مَا لِشِعْرِكَ بَاكِيًا فِي الْعِيدِ؟! مَا هَذَا بِشِعْرِ مُعَيِّدِ!
مَا حِيلَةُ الْعُصْفُورِ قَصُّوا رِيشَهُ وَرَمَوْهُ فِي قَفَصٍ وَقَالُوا غَرِّدِ[(٣)]

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٠٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في المناقب (٣٦٤٢)، وقال: صحيح غريب. عن عبد الله بن الحارث بن جزء.

(٢) فتاوى معاصرة (٤٨٩/٢ ـ ٥٠٢)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

فأنا أريد أن أضحك ولكن تبكيني هموم الأمة، نسـأل الله أن يفرج عنها همومها، ويكشف غمتها. اللهم آمين.

المقدم: شكرًا جزيلًا فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي.

الشيخ القرضاوي: شـكرًا لك يا أخ زين العابدين، وفرصة طيبة إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

أسئلة من سويسرا

من الكاتب: ثابت عيد

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تمهيد

ثابت عيد: باحث مصري يعيش في مدينة زيورخ بسويسرا منذ سنين، وهو معنيٌّ بالبحث في أمور العقيدة والفلسفة والفكر، في تراثنا الإسلامي، وعلاقة ذلك بالفكر المعاصر. وله دراسات وبحوث جيِّدة في هذا المجال.

وقد تعرَّض للاستشراق والمُسْتَشْرِقين بالنقد في بعض مقالاته، فقوبل بهجوم كاسح، شنَّ عليه من يمينٍ وشمال، وحوصر من كلِّ جانب، وعوَّقوا مسيرته للحصول على الدكتوراه الَّتي عمل لها منذ فترة طويلة. ولكنَّه ظلَّ «ثابتًا» على ثغرته، صابرًا مصابرًا مرابطًا، متابعًا قضايا الأُمَّة، ولا سيَّما العلاقة بين الإسلام والغرب.

وقد أقلقه ما يقرؤه في الصحف الغربيَّة (بعد أحداث ١١ سبتمبر) وما تبثُّه وسائل الإعلام من حديث عن الإسلام ورسالته ومصادره وأُمَّته، وعن واقع المسلمين، واتِّهامهم جُزَافًا بغير بيِّنة.

وهذا ما حركة ليبعث إليَّ بهذه الأسئلة لأردَّ عليها. لينشرها هناك ما استطاع. وهذه هي الأسئلة، وبها إجابتها وبالله التوفيق.

س١: ما هي مآخذك على السياسة الأمريكيَّة في منطقة الشرق الأوسط؟

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ج: آخذ على السياسة الأمريكيَّة في منطقة الشرق الأوسط تحيُّزها الكامل ـ بل تأييدها المُطْلَق ـ للسياسة الإسرائيليَّة، ووقوفها إلى جانب الإرهاب الصهيوني، فهي تقف بجانب إسرائيل وتمدها وتؤيدها بالمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي. حتَّى آخر «فيتو» أمريكي كان ضدَّ إرسال مراقبين دوليِّين يُساهمون في تهدئة المنطقة. حتَّى هذا رفضته أمريكا، لتنفذ إسرائيل ما تريد.

كما آخذ على السياسة الأمريكيَّة غرورها بقوتها العسكريَّة والاقتصاديَّة والعلميَّة، ومحاولة أن تفرض رأيها وسياستها على النَّاس، بمنطق القوَّة، لا بقوَّة المنطق.

وآخذ عليها كذلك: أنَّ فلاسفة الفكر السياسي عندها رشَّحوا لها الإسلام «عدوًّا» جديدًا، بديلًا للاتِّحاد السوفيتي الَّذي سمَّاه ريجان «دولة الشَّرِّ» وأخذوا يخوفون من «الخطر الأخضر» المنتظر، يعنون به «الخطر الإسلامي» بعد أن سقط «الخطر الأحمر» وحدث التقارب مع «الخطر الأصفر»، في حين تعاون المسلمون معها في محاربة السوفيت في أفغانستان، وذهب كثير من أبناء المسلمين إلى جامعاتها ومعاهدها ليتعلموا فيها، وإلى مستشفياتها ليعالجوا فيها، وهاجر كثير من أبناء المسلمين إليها، وكثير من نوابغهم استقروا فيها.

وفي أثناء الصراع بين المعسكرين: الغربي والشرقي، أو الرأسمالي والشيوعي، كان الاتِّجاه الإسلامي أميل إلى المعسكر الغربي ـ على مظالمه ـ من المعسكر الشرقي، لأنَّ المعسكر الغربي محسوب على المسيحيَّة، وهي دين سماوي في الأصل، والمسيحيُّون أهل كتاب في

QaradawiBooks.com

نظر المسـلمين، في حين أنَّ المعسكر الشـرقي محسوب على الإلحاد والمادِّيَّة، وإنكار الألوهيَّة والوحي.

والصراع بين الفريقين أشبه بما كان من صراع بين الروم والفرس في فجر الإسـلام، ونزلت آيات القرآن في سـورة الروم تنتصر للروم ضد الفـرس، وتبشـر بانتصارهـم عن قريـب، وتقـول: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥].

إنَّ اعتبار أمريكا الإسـلام هو العدو البديل للاتحاد السوفيتي يُمَثِّل نظرة خاطئة في جوهرها للإسـلام وأُمَّته، وموقفه من أهل الكتاب عامَّة ومن النصارى خاصَّة، ولهذا وقف بعض الأسـاتذة النابهين من العقلاء والمُنْصِفين ضدَّ هذه الحملة، واعتبروا الخطر الإسلامي وهمًا لا حقيقة، منهم البروفيسور إسبوزيتو، وغيره.

كما آخـذ على السياسـة الأمريكيَّـة موقفها في محاربة ما سـمَّوه «الإرهاب» الَّذي رفضوا أنْ يُحَدِّدوه بمعايير علميَّة موضوعيَّة، بل تركوه مفهومًا هلاميًّا رجراجًا، ليُحَدِّدوا على هواهم، ويدخلوا فيه كل جماعات المقاومة المشروعة، ثمَّ يقولون: من ليس معنا فهو مع الإرهاب.

إنَّ مواقف أمريكا المختلفة من المسـلمين تدلُّ على أنَّها لا تضمر خيرًا لهم، ولا لدينهم، ربَّما أنَّها تعتبره «ناشزًا» يستعصي على الاستسلام لها، والإذعان لإدارتها. أو لأنَّ «اللوبي» الصهيوني المسيطر على الجانب الأكبر من سياسـتها وتوجهاتها، جهارًا أو من وراء سـتار: يُؤَثِّر عليها، ويوحي لها بهذه المواقف.

QaradawiBooks.com

وإلَّا فما سرُّ هذا العداء والحصار ـ لسنوات عدَّة ـ للسودان، ولإيران وللعراق؛ الَّذي يمـوت أطفاله بمئات الألوف، من قلـة الغذاء، أو فقد الدواء نتيجة الحصار الأمريكي؟ وما سـر هذا الصلـف الأمريكي في الإصرار على ضرب العـراق[١]، رغم قبوله لعودة المفتشـين الدوليين بلا قيد ولا شرط؟

وما سرُّ هذه الحملة ضدَّ المملكة السعوديَّة، وقد برئت من ابن لادن وجرَّدته من جنسيته، ووضعته في القائمة السوداء؟

على أنَّ العرب والمسـلمين ليسـوا هم وحدهـم الَّذين يكرهون أمريكا، إن معظم شـعوب العالم تكره أمريكا، وهـذا ظهر بجلاء في مؤتمر ديربان في جنوب أفريقيا، فقد وجدت أمريكا نفسـها محاصرة بكراهية عالميَّة، وهي كراهية ليسـت من صنع روسـيا ولا من صنع الصين ولا أحد، إنَّما صنعتها أمريكا لنفسها، فالناس عادة تكره الفراعنة والجبابرة المستكبرين في الأرض بغير الحق، وإن كانوا يذعنون لهم، ويخضعون لأوامرهم في الظاهر.

إنَّ أمريكا تريد أن تعيد استعمار العالم باسم جديد، هو «العولمة»[٢] فحقيقـة العولمة هي «الأمركة» سـواء كانت عولمة السياسـة أم عولمة الاقتصاد، أم عولمة الثقافة، بل حتَّى «عولمة الدين».

والآن تريد أمريكا «عولمة الأمن» تحت اسم «محاربة الإرهاب» تريد أن تتدخل في كل شيء؛ في أخص الشؤون الداخلية للدول، حتَّى مناهج تعليمها الديني، وحتَّى تبرعات أفرادها لأعمال الخير.

(١) كانت الإجابة عن هذه الأسئلة ـ قبل غزو العراق ـ في أبريل ٢٠٠٢م.

(٢) للمزيد راجع كتابنا: المسلمون والعولمة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

QaradawiBooks.com

تكاد أمريكا أن تراقب عقول النَّـاس إذا فكروا، وعواطف النَّاس إذا أحبوا أو كرهوا، وسـلوك النَّاس إذا تديَّنوا أو فسـقوا. وهي تطمئنُّ إلى المسلمين إذا فسـقوا أو أعرضوا عن الله، ولا تطمئنُّ إليهم إذا اهتدوا أو استمسـكوا بالعروة الوثقى، كما ذكر القرآن عن المشركين: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

س٢: ما هو موقفك من الحضارة الغربيَّة؟

ج: الحضارة الغربيَّة ليست شـيئًا واحدًا، بحيث تقول عنه: خير أو شر. بل الحضارة مفهوم مركب من عناصر عدة، فلا عجب أنْ يكون فيها جوانب إيجابية تثمر خيرًا، كما فيها جوانب سلبية تنتج شرًّا.

وموقفي هنـا ـ وهو موقف كل مسـلم، بل كل عاقـل ـ أن أحتفي بالخير، وأرحب به، وأستفيد به، وأن أتجنب الشر، وأحذر منه.

فـي الحضـارة الغربيَّة نجـد جانـب العلـم بتطبيقاتـه المختلفة «التكنولوجية والصناعية» وهذا يجب علينا أن نسـتفيد منه؛ لأنَّه عالمي بطبيعته، بل هو في أصله مقتبس من الحضارة الإسـلاميَّة الَّتي منحت أوربا المنهج العلمي والتجريبي، الَّذي أخذه روجر بيكون، وفرنسـيس بيكون من المسلمين، كما شـهد بذلك مؤرخو العلم أمثال: بريفولوت، وغوستاف لوبون، وجورج سـارتون وغيرهم. فهي في الواقع بضاعتنا رُدَّت إلينا.

ولكن لا ننكـر ـ ولا يجوز لنـا ـ أنَّ الغـرب نمَّى ما اقتبسـه من المسلمين وطوره حتَّى صار شيئًا هائلًا، وانتهى إلى الثورات التكنولوجيَّة

QaradawiBooks.com

والبيولوجيَّة والإلكترونيَّة والفضائيَّة والاتصالاتيَّة والمعلوماتيَّة. وهي وثبات هائلة، حقَّقت في أواخر القرن العشرين ما لم تصل إليه البشريَّة في عشرات القرون.

وهذه كلُّها مكاسب للبشر جميعًا مسيحيِّين كانوا أم مسلمين أم وثنيِّين أم ملحدين.

ولكنَّ المهمَّ: فيم تستخدم هذه الثورات العلميَّة كلها؟ في البناء أم في الهدم؟ في الحق أم في الباطل؟ في الإحياء أم في القتل؟

لهذا كان من المهم أن نربط الحضارة بأهداف إيمانيَّة عظمى، ومثل أخلاقيَّة عليا، تضبط سلوك الإنسان، وتجعله يستخدم إمكاناته الهائلة فيما فيه صلاح البشريَّة وخيرها.

ولكن ممَّا يعاب على الحضارة الغربيَّة عدة أمور:

أولًا: اتجاهها المادي الحسي، واحتقارها للغيبيات وكل ما وراء المادَّة.

ثانيًا: الاتِّجاه النفعي الَّذي في أخلاقيات الحضارة الغربيَّة.

ثالثًا: في الحضارة الغربيَّة نزعة استعلاء كامنة في أعماقها، كأنَّما أخذتها من اليهود الَّذين يزعمون: أنَّهم ـ وحدهم ـ شعب الله المختار[1].

وأعتقد أنَّ البشريَّة اليوم في حاجة إلى حضارة متوازنة متكاملة، تعطيها الدين ولا تفقدها العلم. وتمنحها الإيمان، ولا تسلبها العقل. وتهبها الروح، ولا تحرمها المادَّة. وتذكرها بالآخرة، ولا تحرم عليها

(١) بينت هذه المآخذة الثلاثة سابقًا فلتراجع في موضعها.

QaradawiBooks.com

الدُّنْيا. وتعطيها الحق ولا تمنعها القوَّة. وتصلها بالسماء، ولا تنزعها من الأرض، وتلك هي حضارة الإسـلام إذا فهمت علـى وجهها الصحيح، وأخذت من منابعها الصافية، لا من واقع المسلمين المؤسف، الَّذي بعد كثيرًا عن حقائق الإسلام فهمًا وتطبيقًا.

ومع هذا الاختـلاف في التوجه بين الحضارة الغربيَّة والإسـلاميَّة، لا أقول بحتمية صراع الحضـارات، فيمكن للحضارات أن تتفاهم، وأن تتعايـش وتتحاور، وأن يلقـح بعضها بعضًا، ويأخـذ بعضها من بعض أفضل ما عنده.

وخصوصًا أن فـي داخل حضارة الغرب فلاسـفة ومفكرين وعلماء وأدبـاء وفنانيـن ينقدونها، ويدقـون أجـراس الإنـذار، محذرين من تجاوزاتها، ولا سيَّما المادِّيَّة المجحفة، والإباحية المسرفة. وهذا ما يتيح لهذه الحضارة أن تصلح كثيرًا من أخطائها بنفسها.

وقد حاول الاسـتعمار من قديم إنشـاء نحل مثل «القاديانيَّة» تنادي بفكرة «إلغاء الجهاد» ولكنَّها أخفقت، ولم تقدر على تغيير جوهر الأُمَّة.

س٣: ما رأيك فيما يمارسه الغرب من تشويه للإسلام اليوم؟

ج: تشويه الغرب للإسلام ليس وليد اليوم، ولا ابن الأمس، إنَّه أمر قديم قدم الصراع بين الإسلام والمسـيحيَّة الأوربيَّة، منذ عهد الحروب الصليبيَّة، بل منذ عهد فتح الأندلس، ومعركة بواتيه وغيرها.

ومن المعـروف أنَّ الغربيين قد شـوَّهوا صورة الإسـلام عمدًا بعد الحروب الصليبيَّة، تشويهًا شـمل العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب، والقرآن والسُّنَّة وشخصيَّة الرسول والصحابة، وتاريخ الإسلام وحضارته.

QaradawiBooks.com

وظلَّت هذه الصورة الزائفة تعمل عملها فـي العقل الغربي ـ بوعي وبغير وعي ـ إلى اليوم، برغم اتِّصال الغرب بالمسلمين، ومعرفة البعض منهم الكثير عن الإسـلام. ولكن العقل العام في الغرب أسير ثقافة غير محايدة ـ أو قل: غير صحيحة إن أردنا التخفيف ـ عن الإسلام.

وهذه الثقافة المغلوطة موجودة في كتب ومناهج التعليم العام، وفي المراجع الجامعية، وفي الموسـوعات ودوائر المعـارف، وفي حلقات وندوات خاصَّة تعقد عن الإسلام وحضارته وأمته.

وفيما يعرضه الإعلام الغربي بصفة عامَّة، وكل هذه الموارد التربويَّة والتثقيفيَّة والإعلاميَّة ولا بدَّ أن يكون لها أثرها في تحديد المواقف من الإسلام والمسلمين.

وقد اجتهد أحد علماء المسـلمين الَّذين عاشـوا فـي ألمانيا، وهو الأسـتاذ عبد الجواد فلاتوري ـ الإيرانـي الأصل ـ أن ينقـي المناهج والكتب الدراسـية فـي مراحل التعليـم العام في ألمانيـا من الأغلاط والمغالطات الَّتي تحتويها خاصَّة بالإسلام وتعاليمه وأمته وحضارته. وقد وجد في ذلك كمًّا هائلًا، أصدره في عدة كتب، وأبلغ الجهات المسؤولة عن التعليم، وقد علمنا منه أنَّها رحبت بهذه الملاحظات والتصحيحات، وأنَّها ستعمل على رعايتها، وتفادي الأخطاء الَّتي نبهت عليها.

وهذا ولا شك موقف إيجابي، وخطوة يحمد عليها المسؤولون عن التعليم في ألمانيا، وقد كان الأستاذ الفلاتوري ينوي أن يقوم بمثل هذا العمل فـي البلاد الأوربيَّة الأخـرى، وبدأ فعلًا ببريطانيـا، ولكن وافاه الأجل قبل أن يكمل حلمه.

QaradawiBooks.com

على أن هذا إنَّما يعالج من كان سبب تشويه الإسلام عنده هو الجهل بحقيقة الإسلام، وقد قال العرب: من جهل شيئًا عاداه. وقال القرآن: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩].

ولكن المشكلة تكمن فيمن يتعمد تشويه الإسلام، فيزيف الأحداث، ويتجاهل الحقائق، ويزور التاريخ، وينكر الشمس في رابعة النهار، فهذا لا حيلة لنا فيه.

من كان يكره الإسلام، أو يحقد على أمته، فماذا نملك أن نصنع له، إلَّا أن ندعو الله تعالى: أن يشرح صدره للحق، وأن ينزع من قلبه الغل والحقد.

وعلينا نحن أن نبذل ما نستطيع في بيان حقائق ديننا والرد على أباطيل خصومه، ومد أيدينا لكل من يسالمنا، فإن الله لم ينهنا عن الَّذين لم يقاتلونا في الدين، أو يخرجونا من ديارنا: أن نبرهم ونقسط إليهم والله يحب المقسطين.

س٤: ما هي مآخذك على الطريقة الَّتي يعالج بها الغرب قضيَّة الإسلام الآن؟

ج: إنَّ الغرب الآن قد تجسد في أمريكا، وكل الغرب تبع لها، إذا قالت أمريكا سمع، وإذا أمرت أطاع، وإذا دعت أمَّن على دعائها.

وأمريكا الآن قد تألهت في الأرض، تقول ما قال نمروذ لإبراهيم، حين قال: ربي الَّذي يحيي ويميت، قال نمروذ: أنا أحيي وأميت.

أمريكا أعلنت الحرب على الإسلام وأهله وشعوبه كلها باسم الحرب على الإرهاب. ولكنَّها لم ترد أن تحدد الإرهاب تحديدًا واضحًا، لتدخل

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

فيه من تشـــاء من الدول، كما ذكرت الآن إيـــران والعراق ضمن «محور الشـــر» ومن تشـــاء من الجماعات والمنظمات الَّتي تجاهد لاســـترداد حقوقها، والدفاع عن حرماتها ومقدساتها، مثل منظمة «حماس» و«الجهاد الإســـلامي» و«كتائب الأقصى» في فِلَسْـــطِين، و«حـــزب الله» في لبنان، و«جماعة مجاهدي كشـــمير» وغير ذلك. إنَّها تريـــد أن تقضي على كل مقاومة إسلاميَّة باسم محاربة الإرهاب. وهذه مؤامرة خبيثة تريد إخماد جذوة الصحوة الإسلاميَّة، وإضعاف شـــوكة الأمة الإسلاميَّة، وخلع كل مخالبها وأنيابها لتبقى بعد ذلك فريسة سهلة لكل طامع فيها.

وأكثر من ذلك: أنَّها أعلنت الحرب على العمل الخيري، وأصبحت كل الأعمال الخيريَّة في البلاد الإسلاميَّة في حالة حصار أو تجميد.

وهي لـــم تكتف بذلك، فهي تريـــد أن تتدخل في مناهـــج التعليم، وخصوصًا التعليـــم الديني في البلاد الإســـلاميَّة: في الســـعوديَّة، وفي باكستان، وفي غيرهما من بلاد المسلمين.

لقد قال الرئيس بوش في أوَّل أيَّام الحرب: إنَّها حملة صليبيَّة جديدة، ثمَّ نبهه من حوله إلى خطورة هذه العبارة، فقال: أنا لا أقصد بها المعنى التاريخي للكلمة. ولكن أحد حكمـــاء أُمَّتِنا ـ وهو عليُّ بن أبي طالب ـ يقول: غش القلوب يظهر على فلتات الألسن وصفحات الوجوه. والقرآن يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

وكُنَّـــا نتوقع مـــن «الاتِّحاد الأوربي» ألَّا يســـير فـــي ركاب أمريكا، ويســـاندها في تنفيذ كل رغباتها في تركيع المسلمين، وإرغام حكامهم علـــى أن يُؤَيِّدَها طوعًـــا أو كرهًا، وإلَّا ســـلط عليهم ســـيف الجبروت الأمريكي، الَّذي يقول بكل تبجح: «من ليس معنا فهو مع الإرهاب».

QaradawiBooks.com

ما ذنب الشعب الأفغاني حتَّى تدمر كل بنيته التحتية، وأن يقتل منه من قتل، وأن يحيا في فزع من القصف المستمر، بحثًا عن بضع مئات أو ألوف من تنظيم القاعدة؟!

ولكنَّه منطق الجبابرة الفراعنة، الَّذين قضى الله ألَّا يفلحوا في النهاية، كما قال القرآن: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

إنَّ الطريقة الَّتي تتعامل بها أمريكا اليوم مع قضيَّة الإسلام والمسلمين: لن تترك سوى المرارة في النفوس، والأحقاد في الصدور، والكراهية في القلوب، ولا يجوز لأمريكا ولا للغرب معها أن يتوقع غير هذا، فمن يزرع الشوك لا يحصد العنب. وهي بهذا تنشئ لها أعداءً دائمين، يذهب ابن لادن، ويأتي بدله أبناء لادن آخرون.

س٥: بماذا تدافع عن الإسلام؟ وما هي محاسن الإسلام؟

ج: الإسلام ليس في قفص الاتهام حتَّى أدافع عنه. الإسلام هو الرسالة الخاتمة، الَّتي تتميز بخلود مصادرها، كما تميزت بغايتها الربانية، ووجهتها الأخلاقيَّة، ونزعتها الإنسانيَّة، ودعوتها العالميَّة، وهي الَّتي تذيب الحواجز بين البشر بعضهم وبعض، فتؤاخي بين الأبيض والأسود، وبين الغني والفقير، وبين الحاكم والمحكوم.

الإسلام هو الرسالة القادرة على بناء إنسان مؤمن قوي، متوازن متكامل الشخصيَّة، يمشي على الأرض ويتطلع إلى السماء، يعايش الواقع، ويرنو إلى المثال، يعمل للدنيا ولا ينسى الآخرة، يجمع المال ولا ينسى الحساب، يأخذ الحق ولا ينسى الواجب، يتعامل مع الخلق ولا ينسى الخالق، يعتز بماضيه ولا ينسى حاضره

QaradawiBooks.com

ومستقبله، يحب قومه ولا ينسى بني الإنسان، يصلح نفسه ولا ينسى إصلاح غيره.

إنسان تبني فكره وضميره عقيدة التوحيد والإيمان بالله، وتغذي روحه العبادات الشعائرية؛ من الصلوات الخمس اليومية الَّتي تقربه إلى ربه، والزكاة الَّتي تزكِّي نفسه، وتطهر ماله، والصيام الَّذي يحرمه من شهوات بطنه وفرجه شهرًا من كل عام، والحج الَّذي يوجب عليه الهجرة من بلده إلى الأرض المقدسة مرَّة في عمره، في رحلة سلام وتجرد ومساواة كاملة مع خلق الله. كما تضبط سلوكه الأخلاق والآداب الإسلاميَّة، الَّتي تشمل مجالات الحياة كلها.

الإسلام هو الرسالة القادرة على بناء أسرة متماسكة؛ زوجيَّة تقوم على السكون والمودة والرحمة، وأبوة راعية مسؤولة عن رعيتها، وأمومة حانية حقها بعد حق الله تعالى، وبنوة بارة تتقرب إلى الله بالإحسان بوالديها، وخصوصًا عند الكبر، وهي الأسرة الممتدة، الَّتي تشمل الإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات من أولي القربى وذوي الأرحام، الَّذين أمر الله تعالى بإيتائهم حقوقهم، واتِّقاء الله فيهم.

والإسلام هو الرسالة القادرة على إنشاء المجتمع الصالح، الَّذي لا يقوم على أساس عنصري ولا لوني، ولا إقليمي ولا طبقي، إنَّما يقوم على العقيدة المتسامحة مع الآخرين، المتفتحة على المخالفين، وأداء الواجبات. ولا يتم إيمان الفرد فيه حتَّى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

والحديث عن محاسن الإسلام يحتاج إلى كتب، ولنا فيه كتب عدة مثل: «الإيمان والحياة»، و«العبادة في الإسلام»، و«مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، و«غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، و«الحلال

QaradawiBooks.com

والحرام في الإســلام»، و«ملامح المجتمع المسلم»، و«مركز المرأة في الحياة الإســلاميَّة»، و«الإســلام حضارة الغــد»، و«الخصائــص العامَّة للإسلام»، ولعل أقربها: «مدخل إلى معرفة الإسلام».

س٦: هل تميــل إلى التشــديد على أوجــه الخلاف بين الإســلام والغرب؟ أم تؤكد أوجه التشابه والاتفاق؟

ج: يقول العرب: لكل مقام مقال.

وأنا أقول: في مقام البحث والدراســة تذكر الحقائق مجردة من كل دين، بما له من خصائص تميزه عن غيره، ولكن بأسلوب علمي رصين، بعيد عن السب والإثارة والاستفزاز، فقد قال تعالى في شأن المشركين: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. فنهى عن سب أصنامهم، حتَّى لا يردوا على ذلك بسبِّ الله تعالى.

وأمَّا في مقام الحوار والتفاهم، فيكون التركيز على نقاط الاتفاق، والقواسم المشــتركة، وليس على نقاط التمايز والاختلاف، محاولةً لإزالة الجفوة، وتهيئة النفوس للتقارب، وهو داخل في الجدل بالَّتي هي أحسن، الَّذي أمر به القرآن في منهج الدعوة مع المخالفين بصفة عامَّة، وفي جــدال أهل الكتاب بصفة خاصَّة، كمــا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

فذكر هنا ما يؤمن به المســلمون؛ بقدســية ما أنــزل الله على أهل الكتاب من عند الله، مثــل التوراة الَّتي أنزلت على موســى، والإنجيل

QaradawiBooks.com

الَّذي أنزل على عيسى، ولهذا سماهم «أهل الكتاب»؛ لأنَّهم ـ في الأصل ـ أهل كتاب سماوي.

كما أنَّ إيمان المسلمين بأن إلٰه الفريقين واحد، وهو الله تعالى يقرب بين الجميع.

ومن أجل هذا أركز على القواسم المشتركة مع أهل الكتاب عامَّة، ومع المسيحيِّين خاصَّة، فهم أقرب مودة إلى المسلمين بنص القرآن[١].

س٧: هل توجه أي نقد إلى أنظمة الحكم الفاسدة في العالم الإسلامي؟

ج: نعم أوجه النقد إلى أنظمة الحكم الفاسدة في العالم الإسلامي، فهذا واجب المسلم ـ كل مسلم ـ بصفة عامَّة، وواجب العالم المسلم بصفة خاصَّة. وفي الإسلام فريضة دينيَّة مقدسة لعلها لا توجد في ديانة أخرى بهذه القوَّة، وهذا الوضوح، اسمها: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وقد جعلها القرآن من أسباب تميز الأمة المسلمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فقدم الأمر بالمعروف على الإيمان، إيذانًا بأهميته.

وذكر القرآن أن بني إسرائيل ـ في بعض الفترات من تاريخهم ـ لعنوا على لسان بعض أنبيائهم مثل: داود وعيسى ابن مريم، لأنَّهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

وهذه الفريضة الاجتماعيَّة العظيمة توجب على المسلم إذا رأى خيرًا ضائعًا أن يأمر به، وإذا رأى شرًّا ذائعًا أن ينهى عنه، وإذا رأى عوجًا

(١) راجع ما ذكرناه في كتابنا: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق صـ ٤٩ ـ ٥٢، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

قوَّمه، أو خطأً صحَّحه، حتَّى يبرئ ذمته أمام الله، وأمام النَّاس، وهذا في حدود استطاعته.

وهذا ليس مجرد حق للمسلم يمكنه أن يتنازل عنه، بل هو واجب ديني عليه، يسخط الله تعالى عليه إذا تركه.

وهذا واجب على المسلم العادي بقدر وسعه، وهو أوجب على العالم المسلم الداعية أكثر من غيره، كما قال تعالى في شأن اليهود: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣].

ومن هنا أنقد الأنظمة الفاسدة الشائعة في عالمنا العربي والإسلامي، سواء كان فسادها أخلاقيًّا، بمعنى أنَّها تضيع الصلوات وتتبع الشهوات وتشيع الانحلال، وتحل ما حرم الله، كما تحرم ما أحل الله، وتسقط ما فرض الله، وتشرع ما لم يأذن به الله، في حين تعطل شرائع الله، وأحكام الله، ولا تقيم حدود الله. أم كان فسادها ناشئًا من تجبرها على الشعوب، وقهرها للجماهير، واستئثارها بالسلطة والثروة، والأكثريَّة لا تكاد تجد القوت الضروري إلَّا بشق الأنفس، وذلك بسبب الدكتاتوريَّة المستبدة، السافرة أو المقنعة: الديكتاتوريَّة القائمة على الانفراد بالرأي، وإلغاء الآراء الأخرى، ومصادرة الحريات، وتكميم الأفواه، تلك الديكتاتوريَّة الَّتي لا تحب أن تسمع إلَّا الثناء عليها، والتمجيد لبطولاتها، سواء أخطأت أم أصابت. وقد علمنا الإسلام أن نصوب للإمام في الصلاة خطأه، فهذا في عبادة كالصلاة، فكيف بالحاكم؟

كما آخذ على بعض الحكام في عالمنا الإسلامي اضطهادهم لدعاة الإسلام، ومصادرة حرياتهم، وإغلاق الأبواب كلها دونهم، وعدم

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

تمكينهم من حرية الدعوة مثل غيرهم، واستجابتهم لوساوس القوى المعادية للإسلام في التخويف من ظهور الإسلام. والتضييق على الفكر الوسطي المعتدل، ممَّا أتاح لفكر الغلو والعنف أن يعمل في السراديب تحت الأرض، حيث لا يحاكم ولا يناقش. ولو عمل تحت سمع القانون وبصره لكان أفضل وأهدى.

على أنِّي أُفرق في نقدي لأنظمة الحكم الفاسدة في العالم الإسلامي، بين نوعين من الحكام في ديار الإسلام:

النوع الأوَّل: هو الَّذي يعترف بالإسلام دينًا للدولة، وبالشريعة مصدرًا للقوانين، ولكنَّه مفرط في تطبيق الشريعة في بعض الجوانب، فهذا أشبه بالمسلم الَّذي يشهد أن لا إلٰه الله وأن محمدًا رسول الله، ويلتزم بأحكام الإسلام عامَّة، ولكنَّه يرتكب بعض الكبائر؛ من فعل محظور، أو ترك مأمور، فالخوارج ومن وافقهم يكفرونه، وأهل السُّنَّة وجمهور المسلمين يعتبرونه مسلمًا عاصيًا، غير خارج من الملَّة، ما لم يستحلَّ ذلك، أو ينكر معلومًا من الدِّين بالضرورة.

والنوع الثاني: هو العلماني المُتَطَرِّف، الَّذي يجاهر بالعداوة لشريعة الإسلام، ويسخر منها، ويعتبرها مناقضة للحضارة والتقدم، فهو يرفض الشريعة رفضًا، فهو أشبه بإبليس الَّذي رفض أمر الله بالسجود لآدم، ووصفه القرآن بأنه ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

فهذا النوع هو الَّذي يتوجه جل نقدي إليه، وهو يعتبر من يصلي في المسجد متطرفًا، ومن تلبس الخمار على رأسها متطرفة، ومن لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يراقص النساء الأجنبيات عنه متطرفًا. وقد تحدَّثت عن هذا في كتابي: «التطرف العلماني في مواجهة الإسلام».

QaradawiBooks.com

س٨: هل تمارس نقدًا ذاتيًّا في إطار المجتمع الإسـلامي؟ أو بعبارة أخرى: ما هو النقد الَّذي توجهه اليوم للمجتمع الإسلامي؟

ج: إنَّ النقد الذاتي أمر سبق إليه الإسلام الحضارات السابقة، وعلمنا الإسلام أن نحاسب أنفسنا أوَّلًا بأوَّل، فيما يُسَمِّيه الغرب: «النقد الذاتي» يُسَمِّيه ديننا: محاسبة النفس.

كما علَّمنا الإسـلام الشـجاعة في نقـد الذات، ومراجعـة الأفكار والمواقف، حتَّى اشـتهرت في تراثنا الحكمة القائلة: الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

ولقد مارسـت النقد الذاتي للأمة الإسـلاميَّة، وللحركة الإسلاميَّة، وللصحوة الإسـلاميَّة في عدة كتب لي منها: «الحل الإسـلامي فريضة وضرورة» و«الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرف» و«أين الخلل؟» و«أولويَّات الحركة الإسلاميَّة في المرحلة القادمة» وغيرها.

ووقفت مؤخرًا مع الأمة الإسـلاميَّة والمجتمع الإسـلامي وقفة على رأس القرن الحادي والعشرين، لبيان ما أنجزناه وما أخفقنا في تحقيقـه، وذلك فـي كتاب أسـميته «أمتنا بيـن قرنيـن: إنجازات وإخفاقات وتحديات».

وفي المطبعة الآن كتاب[١] مهم لنقد الصحوة الإسـلاميَّة المعاصرة على ما لها من فضل في يقظة العقول والمشـاعر والإرادات والسـلوك والدعوة، والتأثير في سـائر الأصعدة: الثقافيَّة والاقتصاديَّة والسياسـيَّة

(١) وهو كتاب: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وغيرهـــا. ولكنِّي طالبتها بأن تنتقل من الشـــكل والمظهـــر إلى الحقيقة والجوهر، ومن الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، ومن الفروع والذيول إلى الرؤوس والأصول، ومن العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعلميَّة، ومن الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال، ومن التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشـــير، ومن الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد، ومن التعصب والانغلاق إلى التســـامح والانطلاق، ومن العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة، ومن الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتعاون.

أمَّا عن نقدي للمجتمع الإسلامي: فأنا آخذ على المجتمع الإسلامي أنَّه أصابـــه الخلل في ترتيـــب أولويَّاته، فهم يقلبون الأمـــور، فيجعلون معاليها في مؤخرة اهتمامهم، ويجعلون سفاسفها في مقدمتها[١].

كما آخذ على المجتمع الإسلامي وقوعه في كثير من القضايا الكبيرة بين طرفي الغلو والتفريط، كما نرى ذلك في قضايا المرأة، فقوم أمسوا أســـرى الغزو الثقافي والاجتماعي الغربي الحديث، حتَّى سلخوا المرأة من هويتها. يقابلهم قوم أصبحوا أســـرى الأفكار والتقاليد الموروثة من عهود التراجع والتخلُّف الحضاري، وبيـــن تفريط هؤلاء وإفراط أولئك ضاع المنهج الوسط الَّذي يمثل حقيقة الإسلام.

وأعيب علـــى المجتمع الإســـلامي استســـلامه لأســـباب التخلُّف الحضاري، ورضاه بأن يبقى في ذيل القافلة، وعدم تفقهه في ســـنن الله الثابتة في الكون والمجتمع، ونظام الأسباب والمسببات، وشيوع القيم السلبية الَّتي روجتها الصوفية المنحرفة، والاتجاهات الدينيَّة المشبوهة.

(١) راجع كتابينا: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، وفي فقه الأولويات، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وأعيب على المجتمع الإسلامي تفرقه وتشرذمه، وذلك على حساب وحدته وتجمعه صفًّا واحدًا، رغم أنَّ الإسـلام ركز على شيئين مهمين هما: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

س٩: ما رأيك في غياب الديمقراطيَّة عن العالم الإسلامي؟

ج: رأيي أن مشـكلة العالم الإسـلامي الأولى واليـوم هي: غياب الحريات العامَّة، وحقوق الإنسـان، وسـوق النَّاس بعصا القهر وسيف السـلطان، أو سـلطان السـيف إلى ما تريده طائفة قليلة مـن الحكام، والمنتفعين من ورائهـم من ذوي الثراء الفاحش الَّـذي تكوَّن من عرق الجماهير. وهو التحالف الَّذي ذكره القرآن من قديم بين فرعون وقارون وهامان، ففرعون يمثل السـلطة المتألهة المستكبرة في الأرض، وقارون يمثل الرأسمالية الكانزة المستغلة لمالها في الإفساد في الأرض، وهامان يمثل الطبقة السياسـيَّة الخادمة للفئتين، ويستطيع هذا الثلاثي أن يضلل الشعب أحيانًا فيمشـي في ركابه، حتَّى تأتيه رسـالة تفتح عينيه، وتنير بصيرته، وتجمعه على كلمة سواء.

لقد ابتليت بلاد العرب والمسـلمين بالديمقراطيَّات الليبراليَّة، الَّتي لم تسند ظهرها بشرعيَّة إسلاميَّة، وعملت لخدمة الطبقات العليا أكثر من عملها للجماهير والطبقـات الدُّنْيا، ولعبت بها الأهواء والشـهوات، فثارت عليها أنظمة تنتسـب إلى اليسار وسـمت نفسها: «الاشـتراكية الثورية» وأضاعت الحرية من أجل العدالة، فخسرت الشعوب الحرية، ولكنَّها لم تحقق العدالة.

وفرضوا على الشـعوب دكتاتوريَّة «الحزب الواحد» والاستفتاء على الطريقة الاشـتراكيَّة المعروفة، الَّتي وصفها أحدهم، حين قال: إنَّه سباق يعدو فيه حصان واحد!

QaradawiBooks.com

وعرف النَّاس في بلادنا العربيَّة الرئيس الَّذي ينال من الأصوات ٩٩,٩٩٪!

وأسوأ شيء في ديمقراطيتنا: هو توريث الرياسة للأبناء، فلا يكفي الرئيس أن يبقى في الحكم عشرين أو ثلاثين سنة أو أكثر، حتَّى يهيئ الأسباب ليرثه ابنه. وبهذا ظهر في بلادنا العربيَّة وحدها نظام جديد غير مكتوب، هو: الجمهوريَّة الوراثية.

إن آفة بلادنا ومجتمعاتنا هي الاستبداد والقهر، أو قل: هي غياب الحرية والديمقراطيَّة الحقيقيَّة. الَّتي يستطيع كل إنسان في ظلها أن يقول: نعم. أو: لا. كما يريد، لا كما يراد له. وأن يختار النظام الَّذي ينشده، والحاكم الَّذي يؤيده ويبايعه عن رضا، إنَّنا نريد انتخابات حرة نزيهة، تأتي ببرلمانات حرة من اختيار الشعب حقيقة، ونريد صحافة حرة لا موجهة، ونريد معارضة حقيقيَّة قادرة على أن تتداول السلطة.

إنَّ الإسلام يقيم نظام حكم على الشورى والبيعة والتراضي والنصيحة، والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يرضى أن يؤم الرجل قومًا وهم له كارهون في الصلاة، فكيف في الإمامة الكبرى؟ ويقاوم كل جبار عنيد، ويحذر من الركون إلى الظالمين، واتباع الجبابرة والمستكبرين.

وقد كتبت في أكثر من كتاب لي بحوثًا وفتاوى، تبين أن جوهر الديمقراطيَّة أقرب ما يكون إلى روح الإسلام، وأنَّ الإسلام يجيز التعدديَّة في الدولة الإسلاميَّة، وأنَّه يحافظ على حقوق الأقلِّيَّات وحرماتها، ويمكن الرجوع إلى كتابي: «من فقه الدولة في الإسلام» وإلى كتابي: «فتاوى معاصرة» الجزء الثاني، وغيرها ليستبين موقفي من الديمقراطيَّة.

QaradawiBooks.com

ومن المؤسف: أنَّ الغرب عامَّة ـ وأمريكا خاصَّة ـ يدعو إلى الديمقراطيَّة ويساندها ماديًّا وأدبيًّا ـ وأحيانًا: عسكريًّا ـ في العالم كله، إلَّا في بلاد الإسلام، فإنه يؤيد الدكتاتوريَّة، ويشد أزرها سرًّا وعلانية، ما دامت تتخذ موقفًا غير موالٍ لدعوة الإسلام وصحوته. كما هو ظاهر للعيان في تأييد تركيا العِلْمانيَّة المسنودة بحكم العسكر، وتونس العِلْمانيَّة الَّتي أعلنت عن فلسفتها في تجفيف منابع التدين في تعليمها وإعلامها، وكما وقفت مع السلطة العسكريَّة الجزائريَّة ضد الانتخابات الحرة الَّتي جرت في الجزائر، وفاز فيها الإسلاميون بالأغلبيَّة الساحقة، في حين أنَّ الحكومة الَّتي أجرت الانتخابات لم تكن موالية لهم.

س١٢: ما رأيك في وضع المرأة في المجتمعات الإسلاميَّة؟

ج: لا يوجد دين كالإسلام كرَّم المرأة وأنصفها في كل موقع، وكل مجال؛ كرَّمها إنسانًا، وكرَّمها أنثى، وكرَّمها بنتًا، وكرَّمها زوجةً، وكرَّمها أمًّا، وكرَّمها عضوًا في المجتمع[(١)].

وحسبنا قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

أي أنَّ المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، هو يكملها، وهي تكمله، فليست خصمًا له، ولا هو خصم لها.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

(١) راجع ما ذكرناه في كتابنا: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده صـ ٣١٧ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

QaradawiBooks.com

وقال ﷺ: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال**»[١].

وكانت المرأة في عصر الرسالة، وصدر الإسلام لها منزلتها ومشاركتها في الحياة العامَّة، حتَّى قاتلت في بعض الغزوات. ومعروف موقف عائشة في معركة الجمل.

ولكن المسلمين في العصور الأخيرة أساء كثير منهم فهم الإسلام في قضيَّة المرأة، وأساؤوا تطبيقه، خصوصًا في المدن لا في القرى والريف. فمنهم من يزوجها بغير رضاها، وهو باطل شرعًا، ومنهم من يحرمها حقها في الميراث، ومنهم من يحرمها حقها في التعليم، ومنهم من يحرمها حقها في العمل، ومنهم من يحرمها حقها في المشاركة الاجتماعيَّة والسياسيَّة، حتَّى رأينا في بعض البلاد ـ مثل الكويت ـ تتحالف فيه النزعة القبليَّة المحافظة، مع النزعة الدينيَّة المتشدِّدة، لتحرم المرأة من التصويت ومن الترشيح.

ولكن أكبر حركة إسلاميَّة معاصرة ـ وهي حركة الإخوان المسلمين ـ قد أنصفت المرأة في هذا الجانب، ورشَّحت إحدى الأخوات في الإسكندريَّة، الَّتي طبعت فتاوى في حقِّ المرأة في الترشيح وزَّعت منها عشرات الألوف.

والحقُّ أنَّ الفقه الخاص بالمرأة والأسرة قد تطور تطورًا كبيرًا، وتطورت معه قوانين الأحوال الشخصيَّة منذ عهد الشيخ المراغي ـ شيخ الأزهر الأكبر ـ إلى اليوم. وفي عهد الوحدة بين مصر وسوريا أعد قانون

(١) سبق تخريجه صـ٩٠.

QaradawiBooks.com

متطور للأســرة قام عليه الشــيخ مصطفى الزرقا ومجموعة من العلماء الَّذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة، ولكن لم يقدر له أن يصدر، لفشل مشروع الوحدة. ولكنَّه صدر أخيرًا في صورة كتاب ينبغي أن يستفاد به في إصلاح قوانين الأسرة.

وقد صدرت عدة دراسات تنويرية إســلاميَّة حول قضايا المرأة، قام بها علماء كبــار، مثل البهي الخولــي ومحمد الغزالي، وقد ســاهمت بنصيب في كتبي الثلاثة من «فتــاوى معاصرة» وفي كتابي «مركز المرأة في الحياة الإسلاميَّة» من رسائل ترشيد الصحوة.

وعلى رأس هذه الدراسات التنويرية: كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة» الَّذي صنفه أخونا وصديقنا الأستاذ عبد الحليم أبو شقة رَحِمَهُ اللَّهُ، في ستة أجزاء.

إنَّ مشكلة المرأة المســلمة: ضياعها بين المتشــددين ممَّن يدعون «الســلفية» وأمثالهم ـ والســلفية وممثلوها الحقيقيون منهم براء ـ وبين المتسيِّبين الَّذين يتبعون سنن الغرب، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، ويريدون للمسلمة أن تصبح نسخة من المرأة الغربيَّة.

ولهذا نحن نقف ضد هذين التيارين: التيار الَّذي يريد ســجن المرأة في بيتهــا، والتيار الَّذي يريد أن يطلقها بلا ضابــط ولا رابط، كما رأينا ذلك في مؤتمر السكان في القاهرة سنة ١٩٩٤م، وفي مؤتمر بكين ١٩٩٥، وســائر مؤتمرات المرأة بعد، والَّتي تريد مســخ فطرة المــرأة لتجعلها كالرجل في كل شيء.

QaradawiBooks.com

وسيظل الصراع قائمًا بين التيارين، حتَّى وإن انتصر أحدهما في الظاهر كما في تركيا وتونس، حتَّى ينتهيا إلى حل وسط لقضية المرأة، أعتقد أنَّه هو ما يدعو إليه تيار الوسطية الإسلاميَّة الَّذي أتبناه وأدعو إليه. وصدق الله إذا يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد: ١٧].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

أسئلة مجلَّة المصوِّر

أولًا: ما معنى الكفر في الإسلام؟ وما هو معناه اليوم؟

ج: الكفر له عدة معان، فمن معانيه: «الإلحاد» أي الجحود بوجود الله تعالى، وبرسالات السماء، وبالدار الآخرة، وهذا ما يؤمن به الماديون الَّذين لا يؤمنون بما وراء الحس، ويقولون: لا إلٰه، والحياة مادة فقط، فهم ينكرون أن للكون إلٰهًا، وأن للإنسان روحًا، ويقول قائلهم: ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق «الله»! أي أن «الألوهيَّة» فكرة اختلقها الإنسان.

وهؤلاء يسمون «الدهريين» وقد حكى القرآن قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهناك كفر آخر هو كفر «الشرك» بالله تعالى، وأصحابه لا يؤمنون بوحدانية الله تعالى، بل يقرون بتعدد الآلهة مع الله أو من دون الله، ويتخذون مع الله آلهة أخرى من الأفلاك كالشمس والقمر، أو من الحيوانات كالبقر، أو من النبات كالشجر، أو من الجن والبشر، أو من الوثن والحجر. وهذا هو الَّذي شاع في أمم شتَّى، وأرسل الله الرسل ليحرر البشر منه. ولهذا كان النداء الأوَّل في كل رسالة: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكان العرب في الجاهليَّة على هذا الشـرك قبل أن يؤمنوا برسـالة التوحيد الَّتي بعث بها محمَّد ﷺ.

وهناك الكفر بدين الإسلام، وبرسالة محمَّد ﷺ، فكل من لم يؤمن بأنَّ محمدًا ﷺ رسـول من عند الله، وأنَّ القرآن كلام الله المنزل عليه من ربه، فهو كافر برسالة محمد، وبالقرآن وبدين الإسلام، وإن كان من أهل الكتاب، أي يهوديًّا أو نصرانيًّا، فكفره هنا ليس بمعنى أنَّه وثني مشرك، ولا بمعنى أنَّـه جاحد ملحد، ولكن بمعنى كفـره بدين محمد. فهو من أهل الكتاب حقيقة، ولكنَّه من الَّذين كفـروا من أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

وكلُّ ذي دِينٍ يَعتبر المخالف لدينه كافرًا به، وهذا من حقِّه، ولا حرج عليه. ومن المعلوم أنَّ الفاتيكان لا يعترف إلى اليوم بأنَّ الإسـلام دين سماوي.

وفي مؤتمر الحوار الإسلامي المسـيحي الَّذي عقد في القاهرة منذ أسـابيع رفض بعض الإخوة المشاركين اعتبار الإسـلام ضمن الأديان السماويَّة، واعتبار قيمه ضمن القيم الربانية.

ثانيًا: تردد وصف بلاد الغرب عمومًا بالكفر وأهله بالكفار، وتحديدًا الولايات المتَّحدة، فهل الأمريكان كفار؟

ج: إذا عرفنا مفهوم الكفر بأحد المعاني الثلاثة السابقة، استطعنا أن نحكم على الغرب وأهله ـ وخصوصًا الولايات المتَّحدة ـ بما يناسـبها من الكفر الَّذي ذكرناه. فهم ليسـوا كفارًا بمعنى أنَّهم ملحدون، وليسوا

QaradawiBooks.com

كُفَّارًا بمعنى أنَّهم وثنيُّون، ولكنَّهم كُفَّار بدين محمد. وهذه حقيقة لا أحسبهم يجحدونها، وإلا لآمنوا به وبكتابه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وأعتقد أن ما يجري من نزاع بين كثير المسلمين والولايات المتَّحدة، ليس بسبب الكفر، بل بسبب الظلم، فهم يصفون الأمريكيِّين بأنَّهم ظالمون منحازون للصهيونيَّة، مستكبرون في الأرض بغير الحقِّ، كما نراهم اليوم في موقفهم في محاربة ما سَمَّوْه «الإرهاب» الَّذي يُحَدِّدونه على هواهم، ويُدْخِلون فيه كلَّ جماعات المقاومة المشروعة، ثمَّ يقولون: من ليس معنا فهو مع الإرهاب.

ثالثًا: إذا كان لا بدَّ من مسلمين وكفَّار، فكيف تكون علاقة المسلمين بهؤلاء الَّذين كفروا بدينهم؟ أهي علاقة حوار أم علاقة صراع؟ أهي علاقة سلم أم علاقة حرب؟ أهي علاقة تعصُّب أم علاقة تسامح؟

أودُّ أوَّلًا أن أقرر أنَّ القرآن لم يناد أحدًا من مخالفيه بصيغة «الكفار» بل كان ينادي مشركي مكَّة بعبارة «يا أيها الناس» وينادي اليهود والنصارى بعبارة «يا أهل الكتاب» باستثناء مرَّة واحدة نادى فيها المشركين بلفظ الكفر، لقطع المساومات في عبادة غير الله، كما كانوا يعرضون على النبي ﷺ، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]. وبهذا جمعت السورة بين نهاية التمسك بالتوحيد والرفض للشرك، ونهاية التسامح بختامها ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

QaradawiBooks.com

وأنا شخصيًّا لا أستعمل في كتاباتي ومحاضراتي كلمة «الكفَّار» بل أُوثِر دائمًا أن أستخدم بدلها «غير المسلمين». وهذا من الجدال بالَّتي هي أحسن، الَّذي أمرنا به.

ثمَّ أقول ثانيًا: إنَّ علاقة المسلم بمخالفيه في الدِّين هي علاقة حوار وتسامح وسلام. فالمسلم مأمور بحوار غيره بالحسنى في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، كما أنَّه مطالب بالتسامح مع الآخرين، ومن المعروف أنَّ الإسلام يتسامح مع أهل الكتاب أكثر من غيرهم، حتَّى إنَّه أجاز مصاهرتهم والتزوُّج من نسائهم، كما أعلن القرآن أنَّ النصارى أقرب مودَّة للمسلمين من غيرهم. كما قال الرسول ﷺ في حديثه: «**أنا أولى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدُّنْيا والآخرة**»[1].

وهناك جملة اعتبارات عقديَّة وفكريَّة وخُلُقيَّة تجعل المسلم رحب الأفق، عظيم التسامح مع مخالفيه. منها:

أ ـ اعتبار أن اختلاف الخلق في الدين واقع بمشيئة الله تعالى المرتبطة بحكمته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ب ـ أنَّ الَّذي سيحاسب الكافرين على كفرهم ويجازيهم عليه، هو خالقهم سبحانه، وليس الإنسان، وموعده في الآخرة، وليس في الدُّنْيا، ولذا قال القرآن: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

(١) سبق تخريجه صـ٢٥.

QaradawiBooks.com

جـ ـ أنَّ الإسلام يحترم الإنسان ويؤمن بكرامته من حيث هو آدمي، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. وروى الشيخان عن سهل بن حنيف وَقَيْس بْن سَعْدٍ أنَّ النبي ﷺ مرت به جنازة فقام لها واقفًا، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نفسًا**»[(١)] فما أروع الموقف، وما أروع التعليل!

رابعًا: هل بالضرورة أن تكون علاقتنا بالكفار علاقة قتال وحروب؟ وهل ذلك يبرر القيام بعمليَّات إرهابية ضد تلك الدول وأهلها من المَدنيِّين؟

ليس بالضرورة ـ إذن ـ أن تكون علاقتنا مع الكفَّار علاقة قتال وحرب، ما داموا لم يقاتلونا في الدين، ولم يخرجونا من ديارنا، ولم يظاهروا على إخراجنا. وقد قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠]. وهذا النص يفيد تحريم قتالهم في هذه الحالة.

إنَّما يقاتل المسلمون من يقاتلونهم ويعتدون على أرضهم وحرماتهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

والقتال في الإسلام له آدابه وأخلاقياته وضوابطه الشرعيَّة، فلا يقتل إلَّا من يقاتل، ولهذا حين رأى النبي ﷺ، في إحدى المعارك امرأة مقتولة، أنكر ذلك، فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**»[(٢)]، ونهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ الكبار، كما نهى خلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر عن

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٥٧.

QaradawiBooks.com

قتل الرهبان في الصوامع، وعن قتل الحراثين الَّذين لا ينصبون لهم الحرب، وعن قتل التجار وأمثالهم من المَدنيِّين.

خامسًا: هل تستعاد الحقوق بمثل هذه العمليَّات؟

ج: لا تستعاد حقوق المسلمين بالعمليَّات الإرهابية الَّتي يقتل فيها المدنيون البرآء، الَّذين لا ناقة لهم في السياسة ولا جمل، بل ربَّما ألبت النَّاس على المسلمين، ومن خصائص الإسلام: أنَّه لا يقبل مبدأ أنَّ الغاية تبرر الوسيلة، ولا يرضى الوصول إلى الغاية الشريفة إلَّا بالوسيلة النظيفة.

ولقد أصدرت فتوى منذ بضعة عشر عامًا حرمت فيها خطف الطائرات، ولو من أجل نصرة قضيَّة عادلة؛ لأنك تروع برآء لا ذنب لهم، وتعاقب أقوامًا بجرائم غيرهم، ولا تزر وازره وزر أخرى. ولكن من المهم هنا أن نفرق بين ما حدث في تفجيرات نيويورك وما يحدث من عمليَّات استشهاديَّة ضد الكيان الصهيوني في إسرائيل. فالمجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري كله، رجاله ونساؤه مجندون، ثمَّ إنَّ الفِلَسْطِيني يقاوم الغزاة المحتلين، وحق الدفاع عن الوطن حق مشروع بلا ريب، ثمَّ هو لا يستخدم أحدًا في الهجوم على الأعداء، ولكن يُضحي بنفسه، ليرهب عدو الله وعدوه. وهو مضطر لاستخدام هذه الوسيلة لمواجهة جبروت عدوه وظلمه وقسوته الَّتي فاقت كل تصور.

سادسًا: هل تنطبق معايير الكفر وتوجه إلى أفراد أو جماعات داخل المجتمعات الإسلاميَّة من أصحاب الأفكار السياسيَّة المخالفة، أو من أهل الديانات الأخرى؟

QaradawiBooks.com

ج: قضيَّة تكفير الأفراد والمجتمعـات قضيَّة في غاية الخطورة، وقد حذر الرسول الكريم من التكفير أشـد التحذير، فلا يجوز أن يتهم أحد من المسلمين بالكفر إلَّا بأدلَّة قاطعة؛ لأن إسلامه ثابت بيقين، واليقين لا يزال بالشك، والاحتمال يفسر لمصلحة إسلام المسلم، والحكم بالردة والكفر على أي مسـلم إنَّما هو من اختصاص القضاء وحده. فلا يجوز لأحد أن يجعل من نفسـه مفتيًا وقاضيًا ومنفذًا، فيفتي بكفر الشخص، ويصدر حكمه عليه بالقتل، ويتولى تنفيذه.

أمَّا غير المسـلمين في الوطن الإسلامي، فهم من أهل دار الإسلام، كما قرر الفقهـاء. أي بتعبيرنا المعاصر: مواطنـون، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا. ودماؤهم وأموالهم معصومـة، وحرماتهم وأعراضهم مصونة، فلا يجوز لأحد الاعتداء عليهم بغير حق، ومن فعل ذلك استحق عقوبة الدُّنْيا، وعذاب الآخرة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القمَّة الإسلاميَّة المسيحيَّة الأولى والثانية في روما (أكتوبر ٢٠٠١م) وفي برشلونة (أكتوبر ٢٠٠٤م) لماذا يلتقي رجال الإسلام والنصرانيَّة؟

الحمد لله وكفى، وسلام على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم محمَّد المجتبى.

(أمَّا بعد)

فنحن ـ المسلمين ـ ليس لدينا إشكال في أن يلتقي علماء الإسلام وأحبار المسيحيَّة في إطار مشترك يبحث عن حلول لمشكلات طارئة تخص العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي.

ذلك لأنَّنا ـ نحن المسلمين ـ نعترف بالإنجيل المنزل كتابًا من كتب الله الَّتي يجب الإيمان بها، ونعترف بالمسيح رسولًا من أولى العزم من الرسل، ونعترف بأم المسيح الَّتي اصطفاها الله وطهَّرها واصطفاها على نساء العالمين.

ولم يوجد في القرآن سورة لآمنة بنت وهب أم محمَّد ﷺ، ولا لخديجة زوج محمَّد ﷺ، ولا فاطمة الزهراء بنت محمَّد ﷺ، ولكن وجدت سورة لمريم، وسورة لأسرة المسيح «أمه وجدته» تسمى سورة آل عمران، وعمران هذا هو والد مريم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وفي قرآننا من آيات ومعجزات المسيح ما لم يذكر في الإنجيل نفسه.

ثم إنَّنا نحن المسلمين مأمورون بحوار من يخالفنا بالحسنى، وخصوصًا أهل الكتاب، وهو الَّذي يسميه القرآن الجدال بالَّتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

على معنى أنَّه لو كانت هناك طريقتان للجدال: إحداهما حسنة جيِّدة، والأخرى أحسن منها وأجود، فالمسلم مأمور أن يستخدم الطريقة الأحسن والأمثل.

على أنَّ الَّذي يسيء إلى العلاقة بين أصحاب الديانتين الكبيرتين يتمثَّل في سوء الفهم من أحدهما لموقف الآخر، أو تدخل عناصر خارجيَّة تريد أن تتَّخذ من الدِّين مطية لخدمة أهداف غير دينيَّة.

وفي هذا الظرف الرهيب الَّذي يعيشه العالم اليوم منذ ١١ سبتمبر الماضي، الَّذي وقعت فيه التفجيرات المؤسفة في نيويورك وواشنطن، والَّذي قد ينذر بحرب لا يعلم عواقبها إلَّا الله، والَّتي قد يفسرها البعض ـ لسبب أو لآخر ـ بأنَّها مواجهة بين الإسلام والمسيحيَّة، وأنَّها إحياء للحروب الصليبيَّة القديمة، الَّتي خلفت آثارًا وعقدًا في نفوس الفريقين لا نزال نعاني منها إلى اليوم.

والواجب على العقلاء ـ وخصوصًا من علماء الديانتين ـ أن يحولوا دون هذه المواجهة، وأن يتدخلوا بالحكمة لإطفاء النار، الَّتي قد تأكل اليابس والأخضر.

QaradawiBooks.com

وأحبُّ أن أؤكِّد هنا أنِّي منذ صبيحة أحداث ١١ سبتمبر، أصدرت بيانًا بإنكارها وأدنت فاعليها، أيًّا كان دينهم أو جنسهم أو وطنهم. وشاركني في هذا كل من أعرفه من علماء المسلمين، فالإسلام ـ حتَّى في حروبه الرسميَّة الَّتي تتولاها الجيوش ـ لا يجيز قتل من لم يقاتل بحال، وقد رأى نبيُّ الإسلام محمَّد ﷺ امرأة مقتولة في إحدى المعارك، فغضب وأنكر ذلك على أصحابه، وقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**»[1]. ونهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ.

وجاء خلفاؤه من بعد فأوصوا قوادهم ألَّا يتعرضوا للرهبان في الصوامع، ولا للحراثين في الحقول، ولا للتجار.

وكان من وصاياهم المأثورة: لا تغدروا، ولا تمثلوا (بجثث الأعداء) ولا تقطعوا شجرًا، ولا تهدموا بناءً، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، إلَّا لمأكلة[2].

وقد أكد الإسلام حرمة النفس الإنسانيَّة، وشرع في قتلها القصاص، وأكد القرآن مع كتب السماء ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. هذا في قتل نفس واحدة، فكيف بقتل عدة آلاف من المَدنيِّين لا ذنب لهم؟

ونحن المسلمين عامَّة ـ والعرب خاصَّة ـ أشد النَّاس إحساسًا بمآسي القتل العدواني، وآثاره على النفس والحياة، ونحن نعاني منه يوميًّا في أرضنا المقدسة فِلَسْطِين ـ أرض المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ـ من قِبَل الكيان الصهيوني المتجبر، حيث نصبح ونمسي على أرواح تزهق،

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٧.

(٢) انظر: الكامل لابن الأثير (١٩٦/٢)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

ومزارع تحـــرق، ومنازل تهدم، وأطفال تيتم، حتَّـــى أصبحت الحياة في فِلَسْطِين مأتمًا دائمًا.

وإنِّي لأستبعد تمامًا أن يقوم بهذا العمل مسلمٌ ملتزم بدينه فاهمٌ له، وهو يعلم أن قتل النفس بغيـــر حقٍّ من أكبر الكبائر في الإســـلام، وأنَّ الأصل في الدماء العصمة، إلَّا الحربيِّين الَّذين يشـــهرون الســـلاح على المسلمين، والقرآن يقول: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

ولقد دعوت المســـلمين في أمريكا أن يقوموا بواجبهم في إســـعاف الجرحى، والتبرع بالدم، فهو من أعظم الصدقات عند الله.

وإننا ـ بقدر ما ننكر عمليَّات التفجير في نيويورك وواشنطن ـ ننكر كذلك حملات التحريـــض والكراهية ضد المســـلمين والعرب، الَّذين أصبحوا يعيشـــون في الغرب، وكأنهم مطاردون نتيجة التهييج الإعلامي المغرض، وهم جزء لا يتجزأ من مجتمعهم، وقد أمســـى بعضهم يخاف أن يخرج من منزله، وخصوصًا النساء.

نرفض الإرهاب:

إنَّني باسمي وباسم كل علماء المسلمين نرفض الإرهاب، الَّذي يعني ترويع الآمنين وقتل البرآء بغير حق، ولكنَّنا لا نعد أبدًا من الإرهاب من يدافع عن وطنه وحرماته ومقدساته، فمن الظلم أن يسمى هذا إرهابًا، بل هو دفاع مشروع.

إنَّ الشرائع السماويَّة، والقوانين الوضعيَّة، والأعراف الدوليَّة، والقيم الفطريَّة، كلَّها متفقة على مشروعية المقاومة لكلِّ غازٍ يحتل الأرض حتَّى يجلو عن الوطن.

QaradawiBooks.com

كما أنَّنا ننكر أن نحارب الإرهاب بإرهابٍ مثله، يستخدم نفس منطقه، ويأخذ البريء بذنب المسيء، والمظلوم بجريرة الظالم، ولهذا نحذر هنا أن يؤخذ شعب كامل بجريمة أفراد منه، حتَّى لو ثبتت الجريمة عليهم، أو يتهم دين تتبعه أمة كبرى بأنه دين العنف والإرهاب بسبب أفراد منه، وقد سبق لأفراد مسيحيِّين في أمريكا نفسها أن اتهموا بجرائم إرهابية، وحوكموا عليها وأدينوا فيها، كما في حادث أوكلاهوما سيتي الشهير، الَّذي قام به مسيحي أمريكي بدوافع خاصَّة، فلم تتهم ـ بسببه ـ أمريكا كلها، ولا العالم المسيحي، ولا الديانة المسيحيَّة.

يجب أن نتعامل مع الإرهابيِّين على أساس من معرفة دوافعهم، ودراسة نفسياتهم، فالإرهابي إنسان مغلق على نفسه، شديد التعصب لفكرته الَّتي يؤمن بها، ويرى من خلالها العالم والحياة والإنسان، على غير ما يراها الآخرون، ويرى نفسه هو المصيب، وكل الآخرين مخطئين، أو منحرفين. فهو صاحب قضيَّة يعمل من أجلها، وليس من أجل مصلحة نفسه، وهو مستعد أن يضحي بنفسه من أجل قضيته. وآفته ليست في ضميره، بل في رأسه وفكره.

ولهذا يجب أن يقاوم أوَّل ما يقاوم بتصحيح فكرته الخاطئة، ومفاهيمه المغلوطة، ولا يقاوم عنفه بعنف مضاد، إلَّا بمقدار ما تمليه الضرورة، فإن هذا العنف لا يزيده إلَّا تصلبًا وإصرارًا على موقفه.

ثم إن جرائم الإرهاب عادة إنَّما هي جرائم أفراد أو مجموعات صغيرة، ومثلها لا يقاوم بشن حرب كبيرة عليها؛ لأنَّها قد تصيب غيرهم ولا تصيبهم، إنَّما يقاوم هؤلاء بما يقاوم به كل المجرمين، وهو تقديمهم لمحاكمة عادلة تعاقبهم بما يستحقون وفق الشرائع والقوانين المرضية.

QaradawiBooks.com

كما أنَّ محاربة الإرهاب حقًّا إنَّما تتم بمحاربة أسبابه، ومنها إزالة المظالم، وحل القضايا المعلقة، ومنها قضيَّة فِلَسْطِين الَّتي شرد أهلها، وأخرجوا من ديارهم بغير حق.

ومن ذلك: أن يترك للمسلمين حريتهم وحقهم في أن يحكموا أنفسهم وفق عقائدهم الَّتي آمنوا بها، ولا يفرض عليهم نظام لا يرضونه.

علاقة المسلم بغير المسلم:

أيها السادة الأحبار والضيوف: إنَّ الإسلام يعتبر البشريَّة كلها أسرة واحدة، تشترك في العبوديَّة لله، والبنوة لآدم، وهذا ما أعلنه رسول الله ﷺ أمام الجموع الحاشدة في حجة الوداع: «**يا أيها النَّاس، ألا إنَّ ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتقوى**»[1].

ثم إنَّ الإسلام قد حدد العلاقة مع غير المسلمين في آيتين محكمتين من كتاب الله، تعتبران بمثابة الدستور في ذلك، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

وهاتان الآيتان نزلتا في شأن المشركين، ولكن الإسلام أفرد «أهل الكتاب» بمعاملة خاصَّة، حتَّى أجاز مصاهرتهم والتزوج من نسائهم، ومعنى هذا أنَّه أجاز للمسلم أن تكون زوجته وشريكة حياته، وأم أولاده كتابيَّة (مسيحيَّة أو يهوديَّة). ومقتضى هذا أن يكون أهلها أصهاره، وهم

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٣.

QaradawiBooks.com

كذلك أجـداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهـم، وأولاد أخوالهم وخالاتهم، وهؤلاء لهم حقوق أولي الأرحام وذوي القربى.

كما أنَّ الإسلام اعتبر النصارى أقرب مودة للمسلمين من غيرهم، يقـول تعالـى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، كما قال نبي الإسلام أيضًا: «**أنا أولى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدُّنْيا والآخرة**»[1].

نؤمن بالحوار:

إننا نحن المسـلمين نؤمن بالحوار؛ لأنَّنا مأمورون به شرعًا، وقرآننا مليء بالحوارات بين رسل الله وقومهم، بل بين الله تعالى وبعض عباده، حتَّى إنَّه سبحانه حاور شر خلقه إبليس.

ولهذا نحن نرحـب بثقافة «الحوار» بدل ثقافة «الصراع» سـواء بين الحضارات أم بين الديانات.

ولا نوافق على منطق بعض المثقفين الغربيـين عامَّة، والأمريكيين خاصَّة الَّذيـن يؤمنون بحتمية الصدام بين الحضـارات، وخصوصًا بين الحضارة الإسلاميَّة والحضارة الغربيَّة.

ولماذا لا تتفاعل الحضارتـان وتتكاملان، ويقتبـس كل منهما من الآخر ما تفوق فيه؟

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥.

QaradawiBooks.com

ماذا نريد من الغرب:

إنَّنا نريد من الغرب أن يتحرَّر من عقدة الخوف من الإسلام، واعتباره الخطر القادم، «الخطر الأخضر» كما سـمَّاه بعضهم، وترشـيحه ليكون العدوَّ البديل بعد سقوط «الخطر الأحمر» الاتِّحاد السوفيتي الَّذي سمَّاه ريجان «دولة الشَّرِّ»، وبعد التقارب مع الخطر الأصفر «الخطر الصيني».

كما نريد من الغرب أن يتحرر من عقدة الحقد القديمة الموروثة من الحروب الَّتي سـمَّاها الغـرب «صليبيَّـة» وسـمَّاها مُؤرِّخونا «حروب الفرنجة». فنحن أبنـاء اليوم لا بقايا الأمس، ولسـنا الَّذيـن بدأنا هذه الحروب، بل نحن الَّذين شُنَّت عليهم.

ونريد منه كذلك أن يتحرر من نظرة الاسـتعلاء، الَّتي ينظر بها إلى العالم نظرة السـيد إلى عبـده، فهذه النظرة من شـأنها أن تثير الآخرين وتستفزهم.

مجالات مشتركة للتعاون الإسلامي المسيحي:

ونحن لدينا مجالات مشتركة يمكننا أن نلتقي عليها، ونتفاهم حولها، ونتعاون على توسيعها وتعميقها.

التركيز على القواسم المشتركة:

١ ـ التركيز على القواسم المشـتركة بيننا وبين أهل الكتاب؛ ولهذا قال تعالـى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

QaradawiBooks.com

ففي مجال التقريب والحوار بالَّتي هي أحسن: ينبغي ذكر نقاط الاتفاق، لا نقاط التمايز والاختلاف.

وهناك من المسلمين المتشدِّدين من يزعم أنَّه لا يوجد بيننا وبين اليهود والنصارى أية جوامع مشتركة، ما دمنا نحكم عليهم بالكفر، وأنَّهم حرفوا وبدلوا كلام الله.

وهذا فهم خاطئ للموقف الإسلامي من القوم. فلماذا أباح الله تعالى مؤاكلتهم ومصاهرتهم؟

ولماذا حزن المسلمون حين انتصر الفرس ـ وهم مجوس يعبدون النار ـ على الروم، وهم نصارى أهل كتاب؟ حتَّى أنزل الله قرآنًا يبشر المسلمين بأنَّ الروم سينتصرون في المستقبل القريب ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥] كما جاء في أوَّل سورة الروم.

وهذا يدل على أن أهل الكتاب ـ وإن كفروا برسالة محمَّد ﷺ ـ أقرب إلى المسلمين من غيرهم من الجاحدين أو الوثنيِّين.

التعاون لمواجهة الإلحاد والإباحية:

٢ ـ الوقوف معًا لمواجهة أعداء الإيمان الديني، ودعاة الإلحاد في العقيدة والإباحية في السلوك، من أنصار المادِّيَّة، ودعاة العري، والتحلل الجنسي، والإجهاض، والشذوذ الجنسي، وزواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

فينبغي أن يقف أهل الكتاب في جبهة واحدة، ضد هؤلاء الَّذين يريدون دمار البشريَّة بدعاواهم المضللة، وسلوكياتهم الغاوية، وأن يهبطوا بها من أفق الإنسانيَّة إلى درك الحيوانية: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ

QaradawiBooks.com

هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

وقد رأينا الأزهر في مصر، ورابطة العالم الإسلامي في مكَّة، وجمهوريَّة إيران الإسلاميَّة، والفاتيكان في روما يقفون في «مؤتمر السكان» في القاهرة سنة ١٩٩٤م وفي مؤتمر المرأة في بكين ١٩٩٥م في صف واحد، لمواجهة دعاة الإباحية.

مناصرة قضايا العدل والشعوب المستضعفة:

٣ ـ الوقوف معًا لنصرة قضايا العدل، وتأييد المستضعفين والمظلومين في العالم، مثل: قضيَّة فِلَسْطِين، والبوسنة والهرسك، وكوسوفا، وكشمير، واضطهاد السود والملونين في أمريكا وفي غيرها، ومساندة الشعوب المقهورة ضد الظالمين والمستكبرين في الأرض بغير الحق، الَّذين يريدون أن يتخذوا عباد الله عبادًا لهم.

فالإسلام يقاوم الظلم، ويناصر المظلومين، من أي شعب، ومن أي جنس، ومن أي دين.

والرسول ﷺ ذكر حلف الفضول الَّذي شارك فيه في شبابه في الجاهليَّة، وكان حلفًا لنصرة المظلومين، والمطالبة بحقوقهم، ولو كانت عند أشراف القوم وسراتهم، وقال ﷺ: «**لو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت**»[1].

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة كما في سيرة ابن هشام (١٣٤/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م. والبيهقي في الفيء والغنيمة (٣٦٧/٦)، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٩/٥): هذا مرسل، وقد وصله الواقدي من وجه آخر فقال: عن طلحة، عن عبد الرحمٰن بن أزهر، عن جبير بن مطعم. ووصله الزبير بن بكار من حديث عائشة.

QaradawiBooks.com

إشاعة روح التسامح لا التعصب:

٤ ـ وممَّا ينبغي أن تتضمنه هذه الدعوة: إشاعة روح السماحة والرحمة والرفق في التعامل بين أهل الأديان، لا روح التعصب والقسوة والعنف.

فقد خاطب الله تعالى رسوله محمدًا بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال ﷺ عن نفسه: «**إنَّما أنا رحمة مهداة**»[(١)].

وذم بني إسرائيل بقوله في مخاطبتهم: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال لزوجه عائشة: «**إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله**»[(٢)].

الأساس العقائدي لتسامح المسلم مع مخالفيه:

وأحب أن أعرض هنا لقضية حسَّاسة لدى كل ذي دين، فهو يعتقد أنَّه على حق، وأنَّ غيره على باطل، وأنَّه هو الَّذي يملك الهدى، وهذا الاعتقاد قد يؤدي إلى التعصب. ولكن هناك عناصر أخرى مهمة تخفف من هذا الأمر في فكر المسلم وضميره.

أيَّها السادة الأحبار والضيوف:

إنَّ الغلاة والمتطرفين موجودون في كل أمة، وفي أتباع كل دين، وقد يكون وجودهم ردَّ فعل لتطرف أو غلو معاكس، فكثيرًا ما يكون الغلو الديني نتيجة الغلو اللاديني.

---

(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في الآداب (٢١٦٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ولا يمكن أن تحاكم أمة كبرى أو حضـــارة عظمى، بوجود بعض الغلاة أو دعـــاة العنف فيهـــا، وإلَّا لحاكمنا الحضـــارة الغربيَّة بوجود النازية والفاشـــية والثورة البلشـــفية فيها، وبالحروب الَّتي سقط فيها عشرات الملايين.

عندنا غلاة وعندكم غلاة، وهـــؤلاء لا يمكن أن يلتقوا أو يتحاوروا، فهم لا يؤمنون بجدوى الحوار؛ بل ولا بمشروعية الحوار.

إنَّما العمدة هم أهـــل الاعتدال من الفريقين، فهـــم الَّذين يناط بهم الأمل في اللقاء والحوار والتفاهم والتعاون في المتَّفق عليه، والتســـامح في المختلف فيه.

أيها السادة:

إنَّ العالم قد تقارب وتقارب حتَّى سماه بعضهم «قريتنا الكبرى».

وأنا أقول: إنَّه أصبح قريـــة صغرى. وواجب أهل هـــذه القرية أن يلتقوا ويتحاوروا ويتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ها نحن نمد أيدينا إليكم لندعوكم إلى ما دعا إليه القرآن أهل الكتاب منذ أربعة عشـــر قرنًا حين قـــال: ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

كما يجب أن نقف جميعًا ضـــد الحرب الظالمة، الَّتـــي يطغى فيها القوي علـــى الضعيـــف، والَّتي تدفع فيها الشـــعوب الثمن مـــن دمائها وحرماتهـــا وضروريات حياتها، وكفى البشـــريَّة ما قدمته من ملايين في أتون الحروب.

QaradawiBooks.com

يجب على أهل الدين والإيمان أنْ يقفوا مع قضايا العدل ضد الظلم، وأنْ يقفوا مع الإنسانيَّة ضد العنصرية، ومع الأخلاقيَّة ضد الإباحية، ومع الحق الأعـزل ضد الباطل المدجج بالسـلاح، ومع المسـتضعفين في الأرض ضد المتألهين المستكبرين، وبهذا ننصف أنفسنا وننصف الدين الَّذي نتكلم باسمه.

إنَّ الحضارة المعاصرة استطاعت أن تضع أقدام الإنسان على سطح القمر، ولكنَّها عجزت أن تحقق له السكينة والسعادة على سطح الأرض، وإنَّما يتحقق ذلك بالإيمان الصادق الَّذي يقدمه الدين.

وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله ربِّ العالَمِين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كلمة في ملتقى برشلونة أكتوبر ٢٠٠٤م
من مجالات التعاون بين الإسلام والمسيحيَّة: محاربة الظلم

أيها الإخوة أحبار الكنيسة،

أيُّها الإخوة المعنيُّون بالصلة بين الأرض والسماء،

أيُّها الإخوة المعنيون بأمر الإنسان،

أيُّها الإخوة الحضور في هذا اللقاء من مشاركين وضيوف وإعلاميين.

أُحيِّيكم بتحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام: السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأشكر للإخوة في جمعية «سانت أجيدو» أن هيَّؤوا لنا فرصة اللقاء والحوار مرَّة أخرى، لنتفاهم ونتدارس، ويقترب بعضنا من بعض، ونتباحث معًا فيما يحيي شجرة الإيمان بالله والدار الآخرة، ويدفع عنها الآفات، ويقاوم موجات المادِّيَّة العاتية الَّتي تريد للإنسان أن يعيش عيشة الحيوان؛ لا يفكر في مبدئه ولا مصيره، ولا يحاول أن يجيب عن الأسئلة الكبيرة الَّتي تلح عليه أبدًا: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

وقد كنت في لقائنا الماضي ذكرت مجالات ثلاثة مفتوحة لتعاون رجال المسيحيَّة ودعاة الإسلام، وينبغي أن تحظى باهتمامهم ونشاطهم، ويركزوا عليها جهودهم:

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة

المجال الأوَّل: يتعلق بعقيدة الإيمان، ونشرها وتثبيتها، والتدليل عليها، والدفاع عنها أمام الماديين والملحدين، وبيان ثمراتها في النفس والحياة، في الفرد والمجتمع على السواء. ومقاومة الفكرة المادِّيَّة، الَّتي تقول: ليس صوابًا أنَّ الله خلق الإنسان، بل الصواب أنَّ الإنسان هو الَّذي خلق الله!

والمجال الثاني: يتعلق بالقيم الأخلاقيَّة، وهي منبثقة عن الإيمان، كما تنبثق الثمرة من الشجرة، ولا بدَّ من نشر هذه القيم وتثبيتها والدعوة إليها في كل المجالات: في العلم، والعمل، والاقتصاد، والسياسة، والحرب. ومقاومة تيار الإباحة والتحلل الَّذي يناهض الأديان جميعًا. وقد قال المسيح عليه السلام: لقد كان قبلكم يقولون: لا تزن، والحق أقول لكم: من نظر بعينه فقد زنى[1]!

وهذا المعنى نفسه أكَّده رسول الله الإسلام في أحاديثه.

ويجب على أهل الدين عمومًا: أن يتشبثوا بالفضيلة في كل مجال، وفي كل حال، ويرفضوا النظرية القائلة بأنَّ الغاية تبرر الوسيلة. فالواجب علينا أن نتمسك بالغاية الشريفة، والوسيلة النظيفة معًا، ولا يجوز أن نصل إلى الحق بطريق الباطل. وعندنا في الإسلام لا يجوز أن تكسب المال الحرام لتتصدق به على فقير، أو تبني به مسجدًا.

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا**»[2] ورُوي في الحديث: «**إنَّ الله لا يمحو السَّيِّئَ بالسَّيِّئ، ولكن يمحو السَّيِّئَ بالحسن، إنَّ الخبيث لا يمحو الخبيث**»[3].

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٣.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٣٦٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والبزار (٢٠٢٦)، والحاكم في الإيمان =

QaradawiBooks.com

والمجال الثالث: هو مجال حقوق الإنسان، وحقوق الشعوب في الحرية والكرامة والاستقلال وتقرير المصير، والدفاع عن نفسها أمام هجمات الآخرين عليها.

فهذا المجال الإنساني في غاية الأهمية، وخصوصًا في عصرنا هذا الَّذي طغى فيه الأقوياء على الضعفاء، والأغنياء على الفقراء، ومن يملكون على من لا يملكون.

وأمسى العالم غابة يفترس فيها القوي ذو الظفر والناب الضعيف الَّذي لا ظفر له ولا ناب!

بل ربَّما كان عالم الغابة أو عالم الوحوش أكثر رحمة ورقة من عالم الإنسان اليوم. فالمعروف أنَّ الوحوش لا تفترس من ضعاف الحيوان إلَّا بقدر ما تحتاج إليه. لا تزيد على ذلك، ولكن الإنسان إذا طغى واستكبر لا يقف عند حد، ولا يبالي بمن يذبح ويقتل من بني الإنسان!

وهذا من الظلم الَّذي ينذر بالويل والخراب والعقوبة القدرية العاجلة من السماء، كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وعن هذا المجال الثالث كتبت ورقتي؛ لأكشف عن خطورة الظلم الَّذي شاع في الأرض اليوم، ولا زال يصيب شعوبًا وأممًا وأديانًا، وكلَّما

= (٣٣/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الذهبي في الميزان (٣٠٦/٢): في ترجمة (الصباح بن محمد) رفع حديثين هما من قول عبد الله، أي ابن مسعود، أحدهما هذا الحديث. وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦٢٥)، عن ابن مسعود.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ازداد ازداد الشر في الأرض، وأنذر النَّاس بسوء العاقبة، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

هدف الرسالة السماويَّة العدل:

إنَّ البشريَّة لن تسعد من شقاء، ولن تأمن من خوف، إلَّا بتحقيق العدل، ورفع الظلم بين الناس. وإنَّ القرآن الكريم يقرر أنَّ الهدف من الرسالات السماويَّة، الَّتي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه إقامة العدل بين الناس. وهو ما قررته هذه الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] والقسط هو العدل.

ومن أسماء الله الحسنى ـ المحفوظة عند المسلمين والمعروفة بين خاصتهم وعامتهم ـ اسم «العدل» فهو سبحانه «الحكم العدل». وهو منزه عن الظلم بكل معانيه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

وفي الحديث الَّذي رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنَّه قال: «**يا عبادي، إنِّي حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**»(١).

فهو تعالى لا يظلم أحدًا في الدُّنْيا ولا في الآخرة، ولا يجازي النَّاس إلَّا بما عملوا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي الآخرة يُجزى كل امرئ بما سطر في كتابه، وما حكم به ميزانه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وإذا كان المطلوب من المسلم أن يتخلق بأخلاق الله، ويقتبس من كمالاته العليا، فإن العدل هو أحد هذه الكمالات الَّتي ينبغي أن ترنو إليها عين كل مسلم، ويتطلع إليها قلبه، وتتعلق بها أشواقه. كما يجب أن يتنزه عن الظلم الَّذي حرمه الله على نفسه.

العدل مطلوب في كل مجال:

وقد أمر الله المسلمين بالعدل في كل شيء:

في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

في الشهادة: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].

في الحكم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

في الإصلاح بين الخصوم: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وأرشد القرآن في وجوب العدل ولو على حساب من يحبه الإنسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

ومثل ذلك العدل مع من يكره: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

QaradawiBooks.com

ويطلب الإسلام العدل في حالة الحرب كما يطلبه في حالة السلم: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. والاعتداء هو الظلم.

ومن هذا الاعتداء المحرم: قتل الأطفال والنساء والشيوخ والكبار، وكل من لا يقاتل من الرهبان أو الزُّرَّاع أو التجَّار أو غيرهم.

والعدل في الإسلام مطلوب للمسلمين وغير المسلمين، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فلم يكتف في معاملة هؤلاء المسالمين من غير المسلمين بالحث على الإقساط إليهم، أي إقامة العدل معهم، بل دعا إلى برِّهم أيضًا، والبر أمر فوق العدل.

العدل: أن تعطي الحق لمن يستحق. والبر: أن تزيد عليه أكثر ممَّا يستحق. العدل: أن تأخذ حقك، ولا تزيد عليه. والبر: أن تتنازل عن بعض حقك.

الإسلام يكره الظلم ويحاربه في كل مجال:

وإذا كان العدل ـ بكل أنواعه ومستوياته ـ له هذه القيمة والمنزلة في الإسلام، فهو تعالى يكره الظلم بكل أنواعه ومستوياته كذلك، سواء كان الظلم من الحكام للمحكومين وهو «الظلم السياسي».

أم من الأغنياء للفقراء أو من أرباب العمل للعمال، أو من الملاك للمستأجرين، وهو «الظلم الاجتماعي أو الاقتصادي».

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

أم ظلم القضاة للمختصمين إليهم، بحيث يحابي من يحب أو يحيف على من يكره، أو يقبل الرشوة، أو يخضع لضغط الأمراء، أو غير ذلك، وهو «الظلم القضائي».

أم كان الظلم بين الدول بعضها وبعض، وبين الأمم بعضها وبعض ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢] وهو «الظلم الدولي».

كما أنَّ الظلم المحرم في الإسلام لا يقف عند حدود ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، بل يشمل ظلم الإنسان للحيوان الأعجم، الَّذي سخره لبني آدم، وأمرهم بالإحسان إليه ورعاية حاجاته، وقد أخبر رسول الإسلام: أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها وأهملتها، حتَّى ماتت جوعًا[(١)]! فكيف بمن يحبس النَّاس بالألوف، ولا يبالي عاشوا أم ماتوا؟!

بل يشمل الظلم المحرم ظلم الإنسان لبيئته الطبيعيَّة الَّتي يعيش فيها، فيجور عليها، أو يغير من فطرتها. حتَّى يقول الرسول الكريم: «**من قطع سدرة ـ شجرة سدر ـ صوب الله رأسه للنار**»[(٢)].

فكيف بمن يقطعون ألوف الأشجار، ويزيلون غابات كاملة، كان لها أثرها في حفظ التوازن البيئي، ولا يعبؤون بما يترتب عليها من آثار؟!

وكيف بمن لا يبالون في حروبهم بما أحرقوا من أشجار، وما خربوا من مزارع، وما لوثوا من بيئة، وما دمروا من البنى التحتية الَّتي هي ضرورية لحياة الإنسان؟

---

(١) إشارة إلى حديث: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»، سبق تخريجه صـ١٦٨.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٥٢٣٩)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٥٥٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦١٤)، عن عبد الله بن حبشي. والمراد بالسدرة: شجرة السدر (النبق) التي يكثر وجودها في البراري.

QaradawiBooks.com

أعوان الظلمة مع الظلمة في النار:

إنَّ القرآن الكريم يجرم الظلم بكل صوره ومعانيه بأعلى درجاته ومستوياته، وبأدنى درجاته ومستوياته، ويدين الظالم الكبير، والظالم الصغير، حتَّى يقطع دابر الظلم من الأرض، فهو يندد بظلم فرعون المستكبر الجبار الَّذي قال للناس: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إلٰه غيري، وكذلك وزيره هامان الَّذي كان ذراعه اليمنى في تأييد الباطل، ونشر المظالم.

ومع هذا لم يعف جنود فرعون وهامان من المسؤوليَّة، فهم القوَّة المادِّيَّة الَّتي يضربون بها النَّاس، ويذلون بها الجماهير، ويخرسون بها كل لسان يريد أن ينطق، ويقطعون بها كل رأس يريد أن يرتفع، يقول القرآن: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

فأعوان الظالم هم أدواته في البطش والإيذاء والعدوان على حرمات النَّاس، وهم شركاؤه في الإثم، وإن تفاوتت المراتب في الشر، فالجندي ليس كالقائد، والقائد الصغير ليس كالقائد الكبير، وإن كانوا كلهم ظالمين.

وقد روت كتب التاريخ أنَّ الإمام الرباني الكبير أحمد بن حنبل، حين أصابه ما أصابه من البلاء والسجن والتعذيب في «محنة خلق القرآن» الشهيرة سأله سجانه يومًا، قائلًا: يا أبا عبد الله! ما رأيك في الأحاديث الَّتي رويت في ذم أعوان الظلمة، وما جاء فيهم من وعيد؟

قال: هي أحاديث صحيحة.

QaradawiBooks.com

قال له: وهل تراني من أعوان الظلمة؟

قال: لا. أعوان الظلمة من يخيط لك ثوبك، أو يطهي لك طعامك، أو يقضي لك حاجتك، أمَّا أنت فمن الظلمة أنفسهم!

ومعنى هذا: أنَّ الإسلام لا يكتفي بأن يحرم الظلم، ولكنَّه يحرم ـ كذلك ـ المعاونة على الظلم والمساندة للظالم بأي وجه من الوجوه. فهو يقول للمسلم: لا تكن ظالمًا، ولا تكن عونًا لظالم. بل إنَّ القرآن ينهى عن مجرد الركون ـ أي الميل ـ للظالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

الأخذ على يد الظالم:

ويوجب الإسلام على الفرد المسلم، وعلى المجتمع المسلم أن يأخذ على يد الظالم، ويمنعه من الظلم، فإن الظلم خطر عليه في الدُّنْيا والآخرة.

ويقول رسول الإسلام: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا!**»، فقال رجل: يا رسولَ الله، أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «**تحجزهُ، أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره**»[1].

كان العرب في الجاهليَّة يطلقون هذه الكلمة على ما يفيده ظاهرها، «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» يعنون: انصر ابن القبيلة في الحق والباطل، ولكن الرسول الكريم غيَّر مفهومها بما ذكرناه.

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وبيَّن الرسول ﷺ واجب المجتمع من الظالم فيقول: «**إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**»(١).

ويحذر الأمة من تهيب الظالمين، وأن تصدع في وجوههم بكلمة الحق، وإن جلبت عليهم ما جلبت، واقرأ هذه الأحاديث:

«**إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم**»(٢).

«**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائز**»(٣).

«**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله**»(٤).

جل مآسي عالمنا بسبب الظلم:

إن كل ما يعانيه عالمنا اليوم إنَّما هو من جراء الظلم.

فالحروب الَّتي تقع في أنحاء كثيرة من العالم، سببها الأساسي هو: الظلم.

---

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٠٠٥)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

(٢) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد. عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه (٤٠١١)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩١)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٩٥/٣)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: الصفار ـ أحد الرواة ـ لا يُدرَى من هو. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٧٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

والمآسي الَّتي تقع في كثير من البلاد، سببها الأساسي هو: الظلم.

والخلل والتلوث والفساد الَّذي يقع في البيئة من حولنا، سببها الأساسي هو: الظلم.

والصراعات الَّتي تحدث في كثير من البلاد، سببها الأساسي هو: الظلم.

وجرائم الإرهاب الَّتي تقع في كثير من البلاد، سببها الأساسي هو: الظلم.

وشر أنواع الظلم هو ما ينشب فيه القوي المستكبر في الأرض أظافره في العاجز المستضعف الَّذي لا سند ولا ناصر من الناس. فهذا ما يعجِّل بنقمة السماء على أهل الأرض، من الظلمة والجبارين: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١١ ـ ١٤].

وفي بعض الأحاديث الإلٰهيَّة: «**اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري**»[(١)].

وفي عصرنا نرى القوى المتجبرة في الأرض تهدد الشعوب المستضعفة بما تملك من ترسانة حربية هائلة، وما تملك من قوَّة اقتصادية ضخمة، وما يسندها من قوَّة علميَّة وتكنولوجية خارقة. وتتصرف في الأرض وكأنها إلٰه لا يسأل عما يفعل، وتقول كما قال قوم

(١) رواه الطبراني في الصغير (٧١)، والأوسط (٢٢٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٠٦٦): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه مسعر بن الحجاج النهدي، كذا هو في الطبراني، ولم أجد إلَّا مسعر بن يحيى النهدي، ضعفه الذهبي بخبر ذكره له. عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

عاد من قبل: من أشـــدُّ منَّا قوَّة؟ أو لم يروا أنَّ الله الَّذي خلقهم هو أشد منهم قوَّة؟!

ولا دواء لما يشـــكو منه عالمنا اليوم من أدواء ومآسي، إلَّا بالتعاون على رفع المظالم عن أهلها، والوقوف في وجه الطغاة والفراعنة. ويتأكد ذلك على أهـــل الدين، وممثلي رســـالات الســـماء، مـــن كل الأديان، ولا سيَّما من المسيحيِّين الَّذين هم ســـادة الحضارة وقادة العالم اليوم، وبعضهم يرتكب ما يرتكب باسم المســـيح عليه السلام، وهم الَّذين يسمونهم: اليمين المسيحي المتطرف، وأعتقد أنَّ المسيح منهم براء، فقد كان يقابل الظلم بالتسامح والصفح، وهؤلاء يبدؤون النَّاس بالظلم والجبروت غير مكترثين ولا متلومين.

قضية الشعب الفِلَسْطِيني مثل صارخ للظلم:

إن قضيَّة شعب فِلَسْطِين مثل بارز يتجسد فيه الظلم البين من الإنسان لأخيه الإنســـان، وهو يحظى بتأييد قُوى كبرى له، وسكوت قوى أخرى عنه، والســـاكت عن الحـــق كالناطق بالباطل، وقد ســـمي فـــي التراث الإسلامي: الشيطان الأخرس.

شعب أُخرج من وطنه، وشرد من أرضه ليحتلها شعب آخر، ويطرده منها، ويحل محله، ويحصره في قطعـــة ضيقة من أرضه، ثمَّ يحتلها هي الأخرى، ولا يدعه يهنأ فيها أو يســـتريح، بل يظـــل يلاحقه ويحاصره، ويضربه بالطائرات من فوق، وبالدبابات من تحت، وبالصواريخ من كل جانب، يســـفك دماءه، ويروع أبناءه، ويدنس مقدساته، وينتهك حرماته، ويدمر منازله، ويجرف أرضه، ويحرق مزارعه، ويقتلع أشجاره، ويغتصب أملاكـــه، جهرة علانيـــة، ليقيم عليها جـــداره العازل يمـــزق أهل القرية

QaradawiBooks.com

الواحدة بعضهم عن بعض، ويباعد بينهم وبين ما بقى من مزارعهم وبياراتهم وأشجارهم، ويعزلهم عن كل ما يحتاجون إليه.

يفعل ذلك الغازي المحتل جهارًا نهارًا، والعالم يسمع ويرى، ولكنَّه لا يحرك ساكنًا، ولا ينبه غافلًا، حسبه أن يقول للمضروب: لا تصرخ، بدل أن يقول للضارب: كف يدك!

إننا نقدر للبابا يوحنا بولس الثاني وقفته مع الشعب الفِلَسْطِيني والمناداة برفع المعاناة عنه، لكننا أيها الإخوة لا زلنا نرجو المزيد من وقفة أصرح وأقوى، ضد هذه المظالم والمآسي اليومية، الَّتي لا تنتهي، ففي كل يوم أرواح تزهق، وأطفال تيتم، ونساء ترمل، وأمهات تثكل، وبيوت تهدم، وأسر تشرد، وأكباد تجوع، ومن وراء ذلك كله صدور تغلي بالكراهية والحقد على من أنزل بها هذا البلاء الكبير، والشر المستطير.

لا بدَّ لأهل الإيمان أن يقفوا بجانب المظلوم، ليمسحوا دمعته، ويفرجوا كربته، ويردعوا ظالمه، حتَّى يكسبوا رضا الله عنهم، فهو ﷻ مع المظلوم الَّذي يمد إليه يديه بالدعاء، وهو سبحانه يرفع دعوته فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: «وعزتي لأنصرك ولو بعد حين»[1].

* * *

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسَّنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان ـ٨٧١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أسئلة من ألمانيا[1]

(١) تم الحوار بمكتب فضيلة الشيخ بجامعة قطر في يوم الأربعاء ٢١ سبتمبر ٢٠٠٥م، الساعة (١٢) ظهرًا، وقام بمحاورة الشيخ صحفيان أحدهما يجيد العربية واللهجة المصرية، ومن الطريف أنَّه قال: سأحتفل غدًا (٩/٢٢) بمرور (٥٠) سنة له في مصر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بداية نشـكر سـيادتكم على إتاحة هذه الفرصة لنا، لأنَّنا نعلم أنَّكم من أكثر علماء المسلمين شهرة وتأثيرًا الآن.

س: ألا يحتـاج الإسـلام إلى مرجعيـة مركزية واحـدة تجمع المسلمين على فتوى موحدة، بدل هذا التشتت والتضارب ـ أحيانًا ـ في الفتاوى بين العلماء بعضهم وبعض؟

الحمد لله وأزكى صلوات الله وتسـليماته على أنبيائه ورسله، وعلى خاتمهم محمَّد الَّذي أرسله ربه رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

بالنسبة لحاجة الإسـلام إلى مرجعية مركزية موحدة هذا أمر يتمناه الكثيرون من المسـلمين حتَّـى لا تضطرب الفتـاوى، وتتناقض الآراء المختلفة، ولكن هناك حوائل دون هذا.

أولًا: الإسلام ليس فيه باباوية مركزية، ليس فيه سلطة دينيَّة كهنوتية، ولكن هنـاك علماء خبـراء متخصصون فـي معرفة الشـريعة وأحكامها ومقاصدهـا، يطلب مـن جماهيـر النَّاس أن تلجـأ إلى هـؤلاء العلماء لاستفتائهم واستشارتهم ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ثانيًا: هناك اختلاف المذاهب وخصوصًا المذاهب المفصلية الكبرى: السُّنَّة، الشيعة الزيدية والإباضية، فهؤلاء لهم مذاهبهم ولهم مراجعهم.

QaradawiBooks.com

كل ما نستطيع أن نعمله هو: أن نجمع أكبر عدد من العلماء، ليقفوا موقفًا موحدًا في القضايا الكبرى مثل: الاحتلال، المقاومة، الجهاد، الإرهاب... وهذا ما نحمد الله أن وفقنا لإقامته بإنشاء الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين.

وهذا الاتِّحاد يمثل الاتجاهات والمذاهب المختلفة، وقد شرفني الإخوة في الجمعية العامَّة باختياري رئيسًا لهذا الاتحاد، وتم اختيار ثلاث نواب لي: أحدهم من أهل السُّنَّة، والثاني من الشيعة، والثالث من الإباضية.

س: نلاحظ أن ما يحدث تقريبًا أن أي إنسان، يتخذ لنفسه الحق في أن يفتي وأحيانًا تأتي بعض الفتاوى المتضاربة، مثل فتاوى: أسامة بن لادن، أبي حمزة المصري، وأبي مصعب الزرقاوي، ومثنى قبلان ـ شيخ تركي، يقول: إنَّه خليفة ـ فما هي أدوات ومؤهلات المفتي؟

ج: ليس من حق أي أنسان أن يتعرض للفتوى خصوصًا في المسائل العويصة، والمفتي في نظر العلماء: هو المجتهد الَّذي يملك مؤهلات الاجتهاد وشروط الاجتهاد.

هناك شروط علميَّة، وشروط أخلاقيَّة للاجتهاد، اتفق عليها الأصوليون والفقهاء[1].

المؤهلات العلميَّة: أن يكون محيطًا بالقرآن، والسُّنَّة، واللغة، وأصول الفقه، ومعرفة القياس وعلله وشروطه، وأن يكون مطلعًا على مواضع الاختلاف والاتفاق، حتَّى تتكون عنده ملكة الفقه.

(١) راجع هذه الشروط بالتفصيل في كتابنا: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية صـ ١٧ ـ ٥٥، نشر دار القلم، الكويت، ط ٣، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وهناك مؤهلات أخلاقيَّة: ومنها أن يكون محمودًا في سيرته، مؤتمنًا في أخلاقه، وأن يكون مرضيًّا عند الناس.

س: نأخذ مثال أسامة بن لادن كيف استطاع أن يصرح بما يصرح به، ألا يمكن إدانته؟

ج: جمهور علماء المسلمين أدان أعمال أسامة بن لادن، والقليلون هم الَّذين أيَّدوه، ولكن الَّذي أيد أسامة بن لادن أكثر هو المظالم الَّتي وقعت ولا زالت تقع على المسلمين في بلاد مختلفة، وخصوصًا من الصهاينة ومؤيديهم من الأمريكان، موقف الأمريكان من إسرائيل والصهيونيَّة وتأييدها المطلق لكل ما يفعل الإسرائيليون، هو الَّذي جعل طوائف كثيرة وخصوصًا من الشباب يتعاطفون مع أسامة بن لادن.

فلولا السلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي، والمال الأمريكي، لما استطاعت إسرائيل أن تفعل بالفِلَسْطِينيِّين كل يوم من قتل وذبح، وتشريد وتعذيب، وتهديم وتخريب.

وخصوصًا أن أمريكا كانت مع ابن لادن والمجاهدين حين كان يقاتل السوفييت، كانت تنوه بشأنهم، وتقوي ظهرهم لأنَّهم مستفيدون، وتصفهم بالمجاهدين. فلما تغير الأمر؛ أصبح مجاهدو الأمس مجرمي اليوم!

أنا أدنت أعمال بن لادن في ١١ سبتمبر، وأصدرت أوَّل بيان إسلامي لاستنكار أحداث ١١ سبتمبر، دون أن يعرف الفاعل، أدنت الفاعل مهما كان دينه أو وطنه أو جنسيته، ولما سألني بعض الصحفيين الأمريكان: إذا كنت تجيز العمليَّات الاستشهاديَّة في فِلَسْطِين، فما الفرق بينها وبين عمليَّات ١١ سبتمبر؟

QaradawiBooks.com

قلت: إن هنـــاك فرقًا كبيرًا في الغاية والوســـيلة بيـــن الأمرين، بين العمليَّات الاستشهاديَّة الَّتي تقع في فِلَسْـــطِين وبين هذه التفجيرات في نيويورك. العمليَّات الاستشهاديَّة في فِلَسْـــطِين الفاعل وضع روحه على كفه ويضحي بها للمســـتضعفين في وطنه، أمَّا في ١١ ســـبتمبر استخدام الفاعل الطائرات المدنيَّة كأنها صواريخ، وقتل من لا ذنب له من مسلمين وغيرهم، وكان في البرجين مسلمين وغير مسلمين، عرب وغير عرب.

س: هل علماء الدين يدينون أســـامة في هذه الأفعال، ويقولون: إنَّه لا يعتبر مسلمًا؟

لا يقولون: إنَّه ليس بمســـلم أو أنَّه كافر، لا. هذه قضيَّة خطيرة، لأن أساس الغلو هو: قضيَّة التكفير، فلا نريد أن نقع فيما وقع فيه أسامة بن لادن وجماعته، ولكن نقول: هذا عمل غير مشـــروع، والإسلام حريص كل الحرص على عصمة الدماء؛ لأن لها عصمتها في الســـلم والحرب. وعلماء المسلمين لم يكفروا الخوارج برغم استباحتهم دماء المسلمين.

س: أبرزتَ التمييز بين المقاومة والإرهاب. ولكن نأخذ مثلًا الطفل الصغير الَّذي يقع ضحية إذ قتل من المقاومة ســـواء فـــي القدس أو في ألمانيا مثلًا ما حكمه، وما ذنبه؟

ج: أولًا: الإسلام حتَّى في حروبه الرســـميَّة الشرعيَّة الَّتي تتواجد فيها الجيوش كما حدث مع المشـــركين والفرس، الإســـلام في هذه الحروب لا يجيز أن يذهب المسلم إلى قتل من لا يقاتل، هناك دستور أخلاقي للحرب في الإســـلام، فهو لا يجيز قتل النساء، النبي ﷺ رأى

QaradawiBooks.com

امرأة مقتولة فغضب وقـال: «**ما كانت هذه تقاتـل**»[١]، ونهى عن قتل النسـاء والصبيان وحينما كان يرسـل بعض القادة لبعـض المعارك يوصيهم: بتقـوى الله، لا تقتلوا وليدًا (طفلًا) ولا امـرأة، ولا تغدروا (أوفوا بالعهود)، ولا تمثلوا (لا تشوهوا)[٢]، وكانت هذه وصية الخلفاء الراشدين، إنَّها حرب نظيفة، ويقول: لا تقطعوا شجرًا، ولا تهدموا بناءً، ولا تقتلـوا حيوانًا إلَّا لمأكلة، وسـتجدون رجالًا فرغوا أنفسـهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، ولا تقتلوا الحُرَّاث ولا التجَّار، ما نَسَمِّيهم نحن المَدنيِّين.

إذا كان هذا في الحرب الرسميَّة، فما بالنا بغيرها؟

ولكن قد يحدث بالذات في «تل أبيب» فيقتل طفل، وهذا خطأ غير مقصود، هم يعمدون إلى تجمعات الجنود فيحدث هذا دون قصد.

س: ألمانيا بعد الحـرب حاكمت بعض المسـؤولين من «مجرمي الحرب» هل هناك بعض علماء المسلمين دعا لمحاكمة أسامة ومن معه لارتكابهم بعض الجرائم؟

ج: لم تثر هذه القضيَّة بعـد، ولكن يمكن بعـد أن تهدأ الأمور أن تحدث محاكمة، لكن سـتكون هناك ضوابط، ولكن من الَّذي يحاكم؟ ومتى؟ وأين؟ لا بدَّ أن يحاكم أمام محكمة إسـلاميَّة مكونة من علماء مسلمين. ومن حق أسـامة أن يدافع عن نفسه، ويقول: إن معه فتوى من مشايخ وعلماء ونحو ذلك.

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٧.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٥٧.

QaradawiBooks.com

س: بالنسبة لسلمان رشدي وبعض الشخصيَّات الأخرى، بعض من يصدر الفتاوى قالوا بقتله وإعدامه. لماذا لم يحدث هذا لمثل أسامة بن لادن؟

ج: سلمان رشدي أساء إلى البيت النبوي، هناك أشياء تمس مشاعر المسلمين، رجل اعتدى على القرآن والرسول وأهل بيته فهيَّج مشاعر المسلمين، فكيف يقارن بأسامة بن لادن.

س: الزرقاوي الآن بطريقته وتصرفه وقتله للنَّاس ألم يسئْ إلى الإسلام، ومشاعر المسلمين؟

ج: أساء إلى الإسلام أشد الإساءة، وإخواننا في العراق يقولون: إنَّه يؤذينا، وهو يكفر العلماء والحزب الإسلامي. فئة قليلة فقط هي المسلمة عنده، والباقي كله كفار.

س: هل ترون أن من أجل التواصل بالنسبة لـ «للخبطة» في الفتاوى الَّتي صدَّرها غير مؤهلين، هل يمكن أن يكون هناك نوع من الإصلاح كما حصل في أوربا؟

ج: هناك نوع من أنواع التثقيف والتوعية الإسلاميَّة، هناك تيار الآن نسميه تيار: الوسطية الإسلاميَّة، لأن مشكلة المسلمين في هذا العصر: ضياعهم بين الإفراط والتفريط، تيار الغلو والتطرف، وتيار الانحلال والتسيب، فهذا التيار الوسطي، يقف الموقف الوسط «الصراط المستقيم» يدعو للإصلاح في المجال الفقهي، يدعو إلى الاجتهاد والتجديد، ولكن هذا التيار ليس له سلطة، والسلطة تكون من الخلافة لأنَّها تجمع بين الدين والدنيا، سلطة روحية وسلطة زمنيَّة، ولكن المسلمين منذ سقطت

QaradawiBooks.com

الخلافة وليس لهم سلطة دينيَّة ولا دنيوية لم يعد في مقدور هذا التيار أن يصل إلى كل ما يريد، وهذه خطورة الدعوة للعِلْمانيَّة في بلاد المسلمين؛ لأنَّ العِلْمانيَّة في بلاد المسيحيَّة حين تهيمن على السلطة الدنيويَّة تبقي للمسيحيِّين سلطة دينيَّة، ولكن عند المسلمين تضيع السلطة الدينيَّة والدنيوية معًا.

س: في أي المجالات تنقدون القيم الغربيَّة؟

ج: الحضارة الغربيَّة لها أصولها ومواريثها، ومن الأصول الَّتي استمدت منها: الحضارة الإسلاميَّة: حتَّى المنهج التجريبي الاستقرائي الَّذي ينسب إلى «روجر بيكون» مؤرخو العلم قالوا: إنَّها أخذت من الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، فنحن نقر بما في الحضارة الغربيَّة من اتجاهات علميَّة متطورة، حتَّى أحدثت هذه الثورات والإنجازات: العلميَّة كالثورة الفضائية والإلكترونية والبيولوجية والاتصالات والمعلومات... نقر كل هذه الثورات وانتفاع البشريَّة بها؛ ونقر ما وصلت إليه من رقي في جانب الإدارة، حتَّى صار العالم الآن قرية كبرى، وأنا أقول: قرية صغرى.

ولكنَّا نعيب على الحضارة الغربيَّة ما يلي:

١ ـ النزعة المادِّيَّة: الَّتي تكاد لا يذكر فيها الله، ولا الدار الآخرة، ولا القيم الرُّوحيَّة، وهذا أوَّل ما نأخذه على الحضارة الغربيَّة.

٢ ـ الإسراف في النزعة الإباحية، والتحلل من فضائل الإحصان والعفاف الَّتي جاءت بها كل الأديان، الوصايا العشر فيها: «لا تزني» الحضارة الغربيَّة تقول: هذا شيء عادي، المسيح كان يقول: «من نظر إلى

QaradawiBooks.com

امرأة بشـــهوة فقد زنى»[1]. الحضارة الغربيَّة أســـرفت في هذا، وأباحت الشذوذ الجنسي: أن يستمتع الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، وأكثر من هذا فأباحت الـــزواج، وقد جاء فـــي التوراة أنَّ الله أخذ قـــوم لوط بهذا الفعـــل، مبالغة الحضارة الغربيَّـــة تقف الأديان كلها ضد هذا: الإســـلام والنصرانيَّة واليهوديَّـــة. في الصيف الماضي حصلـــت ضدي مظاهرات أرادوا أن يخرجوني من لندن، ومما أخذ عليَّ أنَّني ضد الشذوذ الجنسي، وقلت: ليس هـــذا موقفي؛ بل هو موقف البابا، والمســـيح، وموســـى، وموقف كل الأنبياء.

٣ ـ أنَّ الحضارة الغربيَّة برغم أنَّها عنيت بالحرية وحقوق الإنســـان لكنها ما زالت وخصوصًـــا القوى العظمى الَّتي يغلب عليها ما نســـميه الازدواجية فـــي المعايير، وهذا يســـميه القرآن ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [التوبـــة: ٣٧] فتجيز لإســـرائيل ما تحرمه على غيرها، أمريكا تحمي إسرائيل بالفيتو ولا تدينها أبدًا، العالم كله لا يجوز له أن يمتلك أسلحة الدمار الشامل إلَّا إسرائيل، وهذا يسيء للحضارة الغربيَّة المعاصرة؛ لأن معنى ذلك أن تستخدم القوَّة في فرض آرائها، وفي حماية المظالم.

من الَّذي يمثل الحضارة الغربيَّة الآن: أمريـــكا، وهي الآن تتأله، أنا أسميه «التأله»، أمريكا «لا تسأل عما تفعل».

س: هل تعتبر إسرائيل لها حق في الوجود؟

ج: أصبحنا مضطرين أن نعترف بها، وفرضت نفسها بالحديد والنار والآن أصبحنا نعترف بوجود إسرائيل، وإسرائيل قد اعترفنا بها منذ ٦٧،

(١) سبق تخريجه صـ ١٥٣.

QaradawiBooks.com

بعد ذلـك قالوا نزيل آثار العـدوان، ومع هذا لم نسـتطع أن نزيل آثار العدوان، ولم يقف معنا العالم، ما زالت إسرائيل تحتل الجولان والضفة الغربيَّة، وتجرف الأرض، حتَّى القدس الشرقيَّة لا تريد أن تبقيها، وتريد أن تأخذ الأرض من حولها تحت الحديد والنار والعنف، والدم، الجدار العازل هذا، الَّذي تريد أن تقيمه، كل هذا بمنطق القوَّة.

س: في الصيف الماضي أثار أحد الأئمَّة في ألمانيا: أن غير المسـلم لن يدخل الجنَّة، فما رأيكم في هذا؟

ج: هذا الإطلاق غير مقبول، هذه الأشياء لها قيودها وضوابطها، نحن نعتقد أنَّ الأديان السماويَّة السابقة، اليهوديَّة والنصرانيَّة، دينان سماويان، ونؤمن بالتوراة والإنجيل، وعقيدتنا الإسلاميَّة لا تصح إلَّا إذا آمنَّا بكل كتاب أنزل وكل نبي أرسل، وأباح الإسلام للمسلم أن يتزوج بالكتابيَّة، وتصبح أم أولاده ويصبح أهلها أصهاره.

ولكن هناك حقيقة: أنَّ الإسلام رسالة عالميَّة، وأن محمدًا أرسل إلى النَّـاس كافَّـة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيـاء: ١٠٧]، ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] رسالة محمَّد ﷺ عامَّة، ولكن على المسلمين أن يبذلوا جهدهم أن تصل هذه الرسالة صحيحة مشـوقة إلى العالم، فمن وصلت إليه هذه الرسالة ورفض أن يتبع هذا الرسول الَّذي بشـرت التوراة به وبشر به الإنجيل، ولكن رفض أن يتبعها لا لشـبهة ولكن حرصًا علـى الدُّنْيا والمصالح المادِّيَّة هذا لن يدخل الجنَّة.

وكل صاحـب دين يعتقـد أنَّه صاحـب الحق، وأن عنـده الحقيقة المطلقة، فكذلك اليهود عندهم أنَّ النصارى لا يدخلون الجنَّة، وكذلك

QaradawiBooks.com

النصارى، وكذلك المسلمون، ولكن عندنا نحن المسلمين، لا بد من شروط، منها أن يأتيه الهدى ويتبين له، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥].

س: هل غاندي يدخل الجنَّة؟

ج: إذا لم يأتِه الهدى واضحًا دون شبهة.

س: هناك كلام عن المرشد العام الأسبق، أنَّ المسلمين من الأفضل أن يعيشوا في دولة إسلاميَّة كبرى، فما رأيكم؟

ج: هدف توحيد المسلمين هدف إسلامي عام؛ لأنَّ الإسلام يعتبر المسلمين أمة واحدة، جمعتهم العقيدة الواحدة والشريعة الواحدة والقبلة الواحدة والأخوة المشتركة ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] حتَّى مصالحهم تحثهم أن يتجمعوا.

س: هل في إطار دولة؟

ج: نعم. في إطار دولة لها طبيعة خاصَّة فدرالية، كنفدرالية، كل قطر له استقلاله الخاص وتجمع الجميع العقيدة والمصلحة العامَّة، ألستم تريدون جهة توحد الفتوى؟ هذا لا يكون إلَّا في وجود دولة وإمام، فإذا قام شخص مثل الزرقاوي أو غيره بارتكاب أعمال لا تقرها الشريعة، يصدر بيان من الإمام أو الخليفة بشأنه فتنبذه الأمة كلها.

س: الآن في العراق السُّنَّة والشيعة كيف يتصرف المسلم؟ السُّنَّة في العراق تتخلى عن المشاركة في الدستور، هل عليهم أن يتواصلوا؟ ماذا عليهم؟

ج: ما يجري في العراق محنة كبرى لهذا البلد العزيز، وهذا الشعب العريق، هذه المحنة سببها «الاحتلال الأمريكي» أود أن أقول: إنَّني لم

QaradawiBooks.com

أكن من أنصار صدام يومًا ما، كنت ضد حزب البعث وضد صدام، أقام صدام مؤتمرات ودعا كل علماء المسلمين من كل البلاد ودعاني السفير العراقي في الدوحة بكل إلحاح فرفضت، وقالوا: إن هناك عالمين تخلفا، كل العلماء ذهبوا ما عدا الندوي من الهند والقرضاوي من قطر، وكنت أعلى الأصوات الَّتـي عارضت احتلال الكويـت وألقيت خطبة هنا في الدوحة وكانت إذاعة الكويت الخارجيَّة تذيعها كل ساعتين، ولكنِّي أيضًا وقفت ضد الحرب على العراق.

س: وكذلك وقفنا في ألمانيا.

ج: وأنا أريـد أن أثمِّن موقـف ألمانيا هذا؛ لأنَّها لم تتبع السياسـة الأمريكيَّة وكذلك فرنسا، وكذلك أقدر موقف الشعوب كما في بريطانيا وإيطاليا ومدريد، فخرجت المظاهرات بالملايين، وكنت ضد احتلال العراق وحرب العراق؛ لأني أراه احتـلالًا ظالمًا، وكل دولة قوية تحتل دولة ضعيفة أنا ضـده، وأرى أن أمريـكا لم يكن لها أي مبرر سـوى العراق، أسلحة الدمار الشـامل تبين أنَّها أكذوبة، الحقيقة أنَّها أرادت أن تسـتولي على المنطقة لما فيها من نفـط، كمـا أرادت أن تتحكم في المنطقة كلها لتغييرها من الداخل، حتَّى التعليم الديني، ثمَّ كان احتلال العراق حمايةً لإسرائيل، ولذلك أرى أن سبب ما يحدث في العراق هو الاحتلال، هذه المصائب يسأل عنها الاحتلال الأمريكي بوش، واليمين المسيحي، للأسـف أنَّهم ينسبون هذا إلى المسـيح، والمسيح من هذا براء، والمسيحيَّة من هذا براء.

ممَّا أثلج صدري ما جاء في جريدة الحياة: أنَّ القساوسة في الكنيسة الأنجليكانية أعلنوا الندم والاعتذار للمسـلمين لما جـرى في العراق،

QaradawiBooks.com

وهذا موقف طيب وإن كانوا قالوا: لا يمكن أن تطالب الحكومة البريطانيَّة بالخروج في هذه الظروف.

ما يجري في العراق أنكره، أنكر هذه الأحداث الَّتي يفعلها الزرقاوي وأتباعه من اختطاف ناسٍ لا ذنب ولا حول لهم، وأكثر من مرَّة ناشدت الإفراج عن المختطفين، وفي اتحاد العلماء المسلمين أصدرنا بيانًا حول هذا الأمر ودعونا للإفراج لأنَّ القرآن يقول: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]؛ لأن هذه الأشياء تضر بالمسلمين وأرى أن يتم التحذير كل التحذير من تمزيق العراق، هناك مؤامرة لتمزيق العراق، يجب أن يبقى العراق شعبًا واحدًا، ووطنًا واحدًا.

س: الواقع أنَّنا نرصد أنَّ السُّنَّة لا تشارك؟

ج: اضطر أهل السُّنَّة لهذا، قالوا: وفِّروا جوًّا للأمن ولكن هناك ظروفًا لا تسمح.

س: الآن؟!

ج: الآن غُيِّب أهل السُّنَّة، وأصبحوا قلة، ويفرض عليهم أن يرضوا بالواقع.

س: هل المطلوب أن يدخلوا الانتخابات؟

ج: هم يريدون أشياء قبل الانتخابات، هذا الدستور يتم الاتفاق عليه بالتوافق، لا أغلبيَّة ولا إجماع، وهم حريصون على عدة أشياء يجب أن يتضمنها الدستور.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

١ ـ هوية العراق: الدســتور يجب أن يقول: الشعب العراقي جزء من الأمة العربيَّة، العراق بلد مؤســس للجامعة العربيَّة، الدستور الجزائري يقول: الجزائر جزء من الأمة العربيَّة، الدســتور المغربي يقول: المغرب جزء من الأمة العربيَّة، والعروبة ليست عرقًا، هي لسان وثقافة، وقد قيل: «من تكلم العربيَّة فهو عربــي» الآن رئيس العراق هو عربي؛ لأنَّه يتكلم العربيَّة وإن كان كرديًّا.

لا بدَّ أن يبقى العراق عربيًّا ولــو كان فيه أجناس أخرى أقول: مصر جزء من الأمة العربيَّة، وإن كان فيها أقباط.

٢ ـ قضيَّة الفدرالية: وافق أهل السُّــنَّة أن يكون للأكراد وطن خاص وهم مميزون بأرض، ولغة، وأصبح لهم علــم، وبرلمان، وكيان، يترك هذا، ويكون في العراق اتحاد، أمَّا أن يأخذ الشــيعة وضعًا في الجنوب ووضعًا في الوســط، والفدرالية تعني أن يكون لكل جزء حرســه، أهل السُّنَّة يقولون ما سيبقى، والشيعة.

أهل السُّــنَّة يحمِّلون الجمهوريَّة الإيرانيَّة مســؤوليَّة هذا الأمر، وأنا الحقيقة بيني وبين الإخــوة في إيران علاقة طيبة، وأنــا أتمنى منهم أن ينصحوا الحكيم وغيره أن يتخلوا عن هذه الفدرالية، ويبقى العراق كيانًا واحدًا وإلَّا تمزق العراق.

٣ ـ أيضًا هنــاك كلام حول توزيع الثروة وهنــاك ثروات أخرى غير البترول.

العلاقة بين السلطة والأقاليم، حتَّى في توزيع الثروة تشترك السلطة في المحافظة مع مجلس البلدية.

QaradawiBooks.com

٤ ـ قضيَّة تعديل الدستور: أهل السُّنَّة يقولون: كيف لا يعدل الدستور إلَّا بعد (٨) سنوات، ممكن بعد أربع سنوات ويقولون: أي دستور لا بدَّ أن يستفتى الشعب. هذا أمر أنا لا أستريح له، أن تستفتى الشعب والجماهير؟! وممكن تعارض أشياء فيقبل البعض ويرفض الآخر.

س: بم تنصحون العراقيين؟

ج: أنصح أهل السُّنَّة والشيعة، أن ينظروا إلى العراق على أنَّه شعب واحد ووطن واحد، مصلحة العراق في أن يظل شعبًا واحدًا، ولا يتركوا البلد ليمزق.

لا ينبغي أن تتغلب المصلحة الفرديَّة والطائفيَّة والآنية على المصلحة العامَّة والمستقبلية.

س: سؤال صريح: هل تنصحون المسلم المقيم في أوربا أن يلتزم بالقوانين الوضعية بدون استثناء؟

ج: نحن أنشأنا مجلسًا سمَّيناه «المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث»، وأنا أتشرف برئاسته، وقد عقدناه مرَّة في ألمانيا، ويعقد دائمًا في إحدى العواصم الأوربيَّة، وفي كل مرَّة تكون مهمة المجلس أن يعالج قضايا المسلمين، في ضوء الشرع والواقع والعصر، ونرجح أبدًا التيسير على التعسير للمسلمين، وفي كل دورة يبدأ البيان الختامي بتوصيات عامَّة منها:

١ ـ أن يحترموا النظام العام والقوانين العامَّة للبلاد الَّتي يعيشون فيها؛ لأن هذا مقتضى الالتزام بالعقد الَّذي وقعوا عليه عند دخولهم البلاد.

٢ ـ أن يحترموا مال كل ذي مال: أي سلعة يشتريها المسلم لا بدَّ أن يدفع ثمنها، أي منفعة لا بدَّ أن يدفع أجرتها، وأن يتعاملوا مع هذا المجتمع ويتفاعلوا معه تفاعلًا إيجابيًّا، ولا يتخلوا عن هويتهم وعقيدتهم.

QaradawiBooks.com

هذه وصايانا في كل مرَّة، وأحيانًا يحضر معنا أساتذة من الدراسات الإسلاميَّة في الجامعات الأوربيَّة وحضر معنا أستاذ الدراسات الإسلاميَّة في هولندا.

س: صديقي هـذا الصحفي عنده ثلاث بنات توائم مسـلمات، هل يحق لهن الاشتراك في السباحة؟

ج: نعم بحيث لا يراهن الرجال، وأوصي النساء دائمًا بالرياضة، وأنا تحدثت عن مأخذي على الحضارة الغربيَّة ومنها نظرتها الإباحية.

س: نحن نتقارب منكم، وهذه فرصة أن مرجعًا إسـلاميًّا مشـهورًا مثلكم، وهذه الأسئلة أخذناها منكم حتَّى تقترب منكم، فما موقفكم؟

ج: أنا موقفي واضح عن طريق برنامجي «الشريعة والحياة»، وخطبي، وموقع إسـلام أون لاين نت، وموقع القرضاوي، وكتبي أكثر من (١٤٠) ترجم معظمها إلى لغات شتَّى، ألمانيا أرى موقفها مني غير واضح، وأنا شـبه ممنوع من دخول ألمانيا، حين كنت مدعوًّا في قمَّة سـانت جديو الثانية في برشلونة، وتقدمت لإيطاليا لأخذ تأشيرة قالوا: إن دولة متوقفة.. قد عرفت أنَّها ألمانيا، وأخذت تأشيرة لمدة (٦) أشهر، ولا أدري لماذا.

س: سمعت أنَّه عرض عليكم أن تكون مرشـدًا للإخوان المسلمين فلماذا رفضت؟

ج: لأنني أريد أن أكون مرشدًا للنَّاس كل النَّاس، للمسلمين جميعًا، لا لفئة واحدة منهم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

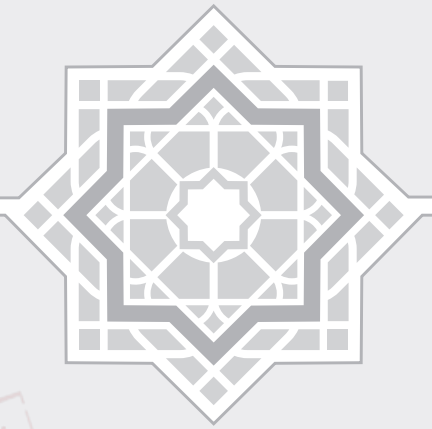

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٣٤	١٩٨
﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	٩٠
﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	٣٦	٩١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	٦٢	٣٢
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	٢٢٤
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾	١٠٩	٣١
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	٣٣
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾	١٣٤	٩١
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾	١٤١	٩١
﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ﴾	١٤٥	٣٣
﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٧٣	١٢٥
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	١٨٥	١٧٤
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ﴾	١٩٠	٦٩، ٧٢، ٢١١، ٢١٧، ٢٣٢

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾	١٩١	٦٩، ٧٢، ٢١١، ٢١٧، ٢٣٢
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٩٣	٦٩
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	٦٧
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾	٢١٧	٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٤، ١٧٢
﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا﴾	٢٥٠	١٣٠
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾	٢٥٦	٤٩، ٧٣، ٨٤، ١١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ﴾	٢٨٢	٩٤، ٩٥
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾	١٩	٤
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾	٢٠	٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٣٣	٢١٤
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٤، ٩، ٢٢٥
﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾	٧٢	٨٤
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	١٩٦، ٢٠٩
﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	١١٣ ـ ١١٥	٣٢
﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	٢٣٠
﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾	١٩٥	٩١، ١٦٥، ٢٠٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٣٤، ٨٩، ٩٠، ١٣٣
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾	١١	٩٧، ٩٨، ٩٩
﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾	١٢	٩٨
﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٣٤	١٠٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	٤٠	٢٣٠
﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾	٥٨	٢٣١
﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	٥٩	٨٧
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾	٧٥	٦٩، ٧٣
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٧٧	٦٨
﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾	٨٦	٦١
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا﴾	٨٦	٦٠، ٦١
﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾	٩٠	٦٩، ٧٢، ١٢١، ١٢٢، ٢١١
﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾	٩٢	١٠٢
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾	١٠٥ ـ ١١٣	١١٨
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾	١١٥	٢٥٢
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾	١٢٤	٩١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٢٣١
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	١١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾	٢	١٠٩
﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾	٥	٣٠، ١١٣
﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾	٨	١٢٧، ٢٣١
﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ﴾	١٣	٣١، ٣٢
﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	٣٢	١٢٠، ١٤١، ٢١٦
﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	٣٣	٨٠
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾	٤٤	١١٢
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾	٤٨	٣١
﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾	٥١	٢٨
﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾	٥١	٢٩، ٨٣
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾	٥٢	٢٨
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾	٥٣	٢٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ﴾	٥٤	٢٩، ٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾	٥٧	٢٩
﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾	٥٨	٢٩
﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾	٦٣	١٩٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	٦٩	٣٢
﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾	٧٩	١٩٦
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾	٨٢	٢٥، ٢٢٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٥	٢٢٩
﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	١٠٨	١٩٥
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	١٥٢	٢٣١
سورة الأعراف		
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٢٣	٩١
﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾	٥٥	١٣١
﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾	٥٩	٢٠٧
﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾	١٤٤	١١٢
﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٢٥١
﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾	١٨٩	٨٩
سورة الأنفال		
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾	٣٩	٧٤
﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾	٤٢	١٧، ١١١
﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٦١	٧١، ١٣٦
﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾	٦٢	٧١، ١٣٦
﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾	٧٥	٣٤، ١١٣
سورة التوبة		
﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾	١٣	٧١، ٧٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾	٣٦	٧٣
﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾	٣٧	١٦٩، ٢٥٠
﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	٧١	٩٠، ٩٢، ١٦٦، ٢٠٣
سورة يونس		
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾	٣٩	١٩١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾	٤٤	٢٣٠
﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٨٥	١٣٠
﴿وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٨٦	١٣٠
﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	٩٠	٧٣
﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	٩١	٧٣
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾	٩٩	٤٩، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٤، ٢١٠
سورة هود		
﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾	٢٨	٧٣
﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾	٨٤	١٣٤
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٢٢٩
﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾	١١٣	٢٣٥
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾	١١٨	٧٤، ١٧٢
﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾	١١٩	٧٤، ١٧٢

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	١٧	٢٠٦
سورة إبراهيم		
﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	١٥١، ١٩٣
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾	٣٨	١١١
سورة النحل		
﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾	٧٢	١٦٥
﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾	٩٢	٢٣٣
﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	٩٧	٩١
﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	١٢٥	١٧٠، ٢١٠
سورة الإسراء		
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	٢١١
سورة الكهف		
﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾	٤٩	٢٣٠
سورة مريم		
﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾	٤٧	٥٧
سورة طه		
﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾	١١٥	٩١
﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾	١٢٠	٩١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾	١٢١	٩١
﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	١٢٢	٩١
سورة الأنبياء		
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	٢٤٣
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾	٤٧	٢٣١
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	١٦٨، ٢٢٤، ٢٤٣، ٢٥١
سورة الحج		
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	٦٩، ٧٢
﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠	٦٩، ٧٢
﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٦٨	٢١٠
﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	٦٩	٢١٠
﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٧٨	١١٦، ١٧٤
سورة النور		
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾	٦ ـ ٩	٩٧
سورة الفرقان		
﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٢٥١
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	٢٢٢
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ﴾	٤٤	٢٢٢

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾	٥٢	٦٧
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾	٥٤	١١٣
سورة الشعراء		
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾	١٠٥ ـ ١٠٧	١٣٤
﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٢٣، ١٢٤	١٣٤
﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٧٦، ١٧٧	١٣٤
سورة النمل		
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾	٥٢	٢٢٩
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾	٤	١٥١
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾	٨	٢٣٤
﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾	٣٥	١٤٠
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾	٤٠	٢٣٤
سورة العنكبوت		
﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	٢	٦٨
﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٦	٦٨
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾	٤٦	١١٣، ١٩٥، ٢١٥، ٢٢١
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	٦٨

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾	١ ـ ٥	٣٠، ٣١، ١٨٥، ٢٢٢
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾	٢١	٢٦، ٢٧، ١١٣
سورة الأحزاب		
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾	٧	١١٢
﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾	٢٥	٧٠، ١٤٨
﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ﴾	٣٥	٩٠
سورة فاطر		
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾	١٨	٦٥، ١٢٩
سورة الزمر		
﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾	٤٥	١٨٧
سورة غافر		
﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾	٨٤، ٨٥	٧٤
﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾	٨٤	٧٤
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾	١٣	١١٢
﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾	١٥	٢١٠
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾	٣٠	٢٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ ﴾	٨٩	٥٧، ٥٨
سورة الجاثية		
﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾	٢٤	٢٠٧
سورة محمد		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾	٤	١٤٦، ٢٥٤
﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ ﴾	٣٠	١٦، ١٩٢
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾	١	٧٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ ﴾	٢٤	٧٠
سورة الحجرات		
﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾	٩	٢٣١
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾	١٠	٢٥٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾	١٣	٩٣، ١١٦
سورة ق		
﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾	٤٥	٧٦
سورة الطور		
﴿ كُلُّ ٱمۡرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾	٢١	١٢٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	٣٨	١٤٢
سورة الحديد		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾	٢٥	١٤٩، ٢٣٠
سورة المجادلة		
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾	٢٢	٢٦، ٢٧
سورة الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾	١	٢٦، ٢٧
﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٧	٢٧
﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾	٨	٢٤، ٢٥، ٥٧، ١١٤، ١٢٢، ٢١٩، ٢٣٢
﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾	٩	٢٤، ٢٥، ١١٤، ٢١٩
سورة الطلاق		
﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾	٢	٢٣١
﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾	٧	٩٧
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٧	١٣٢
سورة المزمل		
﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾	٩	٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المدثر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	١٢٦
سورة الغاشية		
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾	٢١، ٢٢	٧٦
سورة الفجر		
﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾	١١ ـ ١٤	٢٣٧
﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾	١٧، ١٨	١٠٩
سورة البينة		
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾	١	٢٠٨
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾	١ ـ ٣	١٠٨
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾	١ ـ ٦	١٣٢، ٢٠٩

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

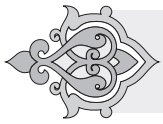

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن، وأقبح الأسماء: حربٌ ومُرَّة	٧٠
إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: أنت ظالم، فقد تُوُدِّعَ منهم	٢٣٦
إذا سلَّم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم	٥٩
اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري	٢٣٧
أُعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر	٥
أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائز	٢٣٦
اللهمَّ إنَّا نجعلُك في نحورهم، ونعوذُ بك من شرورهم	١٣٠
اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه: أنا شهيد أنَّ العباد كلهم إخوة	١٣٤
اللهمَّ مُنزل الكتاب، ومُجْرِيَ السَّحاب، وهازم الأحزاب، اهزمْهم وانصُرْنا عليهم	١٣٠
إنَّ الله طَيِّب لا يقبل إلَّا طَيِّبًا	٦٣، ٢٢٨
إنَّ الله لا يمحو السَّيِّئَ بالسَّيِّئ، ولكن يمحو السَّيِّئَ بالحسن	٢٢٨
إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله	٢٢٤
أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟	٦١
أنَّ رسول الله ﷺ رَكِبَ حمارًا حتَّى مرَّ على مجلسٍ فيه أخلاط المسلمين والمشركين	٥٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنا أولى النَّاس بعيسى ابن مريم في الدُّنْيا والآخرة	٢٥، ٢١٠، ٢٢٠
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٢٣٥
إنَّما أنا رحمة مهداة	٢٢٤
إنَّما النساءُ شقائقُ الرِّجَال	٩٠، ١٦٦، ٢٠٤
إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده	٢٣٦
إنِّي راكبٌ غدًا إلى اليهود، فلا تبدؤوهم بالسلام	٥٩
ت	
التارك لدينه، المفارق للجماعة	٨٥
تحجزهُ، أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره	٢٣٥
خ	
خير أئمتكم الَّذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم	١٥١
د	
دخلت امرأةٌ النار في هِرَّة حبستَها، فلا هي أطعمَتْها	١٦٨، ٢٣٣
ديةُ المرأةِ نصفُ دية الرجل	١٠١
س	
سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله	٢٣٦
ط	
طلبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم	٩٢
ف	
في النَّفْس مائة من الإبل	١٠١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ق	
قد أَجَرْنَا من أجرتِ يا أمَّ هانئ	٩٣
ك	
كُفُّوا أيديَكم، وأقيموا الصلاة	٦٨
كُلُّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه	٥
كلكم لآدم وآدم من تراب	١٤٨
ل	
لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلامِ	٥٨
لا تبدؤوهم بالسلام	٦٢
لا تتمنَّوْا لقاء العدوِّ، وسلوا اللهَ العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا	٧٠
لا تقتلوا وليدًا	١٥٧
لا تُقْطَع الأيدي في الغَزْوِ	٨١
لو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت	٢٢٣
م	
ما رأيتُ أكثر تبسُّمًا من النبي ﷺ	١٧٨
ما كانت هذه تقاتل	١٥٧، ٢١١، ٢١٦، ٢٤٧
المسلم أخو المسلم. لا يظلمه، ولا يسلمه والمسلمون تتَكَافَأُ دماؤهم	١٦٩
من أحيا أرضًا ميتة فهي له	٨٢
من بدَّل دِينَه فاقتلوه	٧٦، ٨١
من سئل عن علمٍ فكتمه أُلْجِمَ بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة	١١٠

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من قتل عصفورًا عبثًا جاء إلى الله يوم القيامة، يقول: يا رب	١٢٠
من قتل قتيلًا له عليه بيِّنة فله سلبه	٨٢
من قطع سدرة ـ شجرة سدر ـ صوب الله رأسه للنار	٢٣٣
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا	١٠٩
ن	
النبيَّ ﷺ شاور أمَّ سلمة	١٦٦
نعم، هو فتح	٧٠
و	
وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى	١٢٤
وفي كُلِّ ذات كبْد رطْبة أجر	١٤١
ي	
يا أيها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	١١٦، ١٤٨، ١٣٣، ٢١٩
يا عبادي، إنِّي حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا	٢٣٠

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

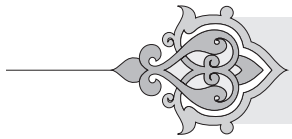

فهرس الموضوعات

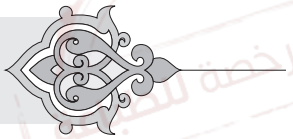

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

• أسئلة من أمريكا ١٩

❖ ١ ـ حول علاقة المسلم بغير المسلم ٢٤

❖ ٢ ـ موادَّة من حادَّ الله ورسوله ٢٦

﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ٢٧

المقصود من آية ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ ٢٨

آية ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ ٣٣

❖ ٣ ـ قضيَّة الجزية ٣٥

❖ ٤ ـ ملابس أهل الذمَّة وأزياؤهم ٤١

❖ ٥ ـ موقفنا من الأقلِّيَّات ٤٦

كيف تُحَلُّ مشكلة الأقلِّيَّات الدِّينيَّة؟ ٤٦

إلقاء السلام على المسلمين وغير المسلمين ٥٦

QaradawiBooks.com

ابتداؤهم بالسلام إذا كانوا وحدهم ٥٧
ردُّ السلام على غير المسلم ٥٩
❖ **٦ ـ شبهات حول الإرهاب** **٦٣**
كيف نفهم آيات القتال؟ ٧٢
ليس القتال لإكراه النَّاس على الإسلام ٧٣
القتال لمنع الفتنة في الدين ٧٤
❖ **٧ ـ جريمة الرِّدَّة وعقوبة المرتدِّ** **٧٦**
خطر الرِّدَّة على المجتمع المسلم ٧٧
إجماع الفقهاء على عقوبة المرتدِّ ٧٩
القرآن وعقوبة المرتدِّ ٧٩
استتابة المرتدِّ وجوبًا ٨٠
من الفقهاء من لم يرَ قتل المرتدِّ ٨٠
سرُّ التشديد في عقوبة الرِّدَّة ٨٣
أمور مُهِمَّة تجب مراعاتها ٨٦
❖ **٨ ـ المـرأة إنسانًـا** **٨٩**
شبهات مردودة ٩٣
حكمة تمييز الرجل عن المرأة في بعض الأحكام ٩٣
شهادة المرأة وشهادة الرجل ٩٤
ميراث المرأة وميراث الرجل ٩٧
الدية ١٠٠
القوامة ١٠٣
المناصب القضائيَّة والسياسيَّة ١٠٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **أسئلة من لندن** **١٠٥**

❖ **١ ـ أسئلة حول مشروع «ائتلاف الخير» والموقف من اليهود** **١٠٧**

اليهود أقرب إلى ملَّة إبراهيم من النصارى ١١٥

لا نعادي إسرائيل لأنَّها ساميَّة ١١٦

الأدعية الاستفزازيَّة ١٢٩

غير المسلمين بدل الكفار ١٣١

مواطنون بدل أهل الذمَّة ١٣٢

التعبير بالأخوة عن العلاقات الإنسانيَّة ١٣٣

وقد أكدت في هذا البيان على عدة أمور أهمها ١٤٢

❖ **٢ ـ بين القرضاوي وجريدة «الجارديان»** **١٤٧**

❖ **٣ ـ بين القرضاوي والـ «بي بي سي»** **١٦٧**

• **أسئلة من سويسرا** **١٨١**

❖ **تمهيـــد** **١٨٣**

❖ **أسئلة مجلَّة المصوِّر** **٢٠٧**

❖ **القمَّة الإسلاميَّة المسيحيَّة الأولى والثانية في روما (أكتوبر ٢٠٠١م)**

وفي برشلونة (أكتوبر ٢٠٠٤م) لماذا يلتقي رجال الإسلام والنصرانيَّة؟ **٢١٤**

نرفض الإرهاب ٢١٧

علاقة المسلم بغير المسلم ٢١٩

نؤمن بالحوار ٢٢٠

ماذا نريد من الغرب ٢٢١

QaradawiBooks.com

مجالات مشتركة للتعاون الإسلامي المسيحي..... ٢٢١
التركيز على القواسم المشتركة..... ٢٢١
التعاون لمواجهة الإلحاد والإباحية..... ٢٢٢
مناصرة قضايا العدل والشعوب المستضعفة..... ٢٢٣
إشاعة روح التسامح لا التعصب..... ٢٢٤
الأساس العقائدي لتسامح المسلم مع مخالفيه..... ٢٢٤

❖ **كلمة في ملتقى برشلونة أكتوبر ٢٠٠٤م**

من مجالات التعاون بين الإسلام والمسيحيَّة: محاربة الظلم..... ٢٢٧
هدف الرسالة السماويَّة العدل..... ٢٣٠
العدل مطلوب في كل مجال..... ٢٣١
الإسلام يكره الظلم ويحاربه في كل مجال..... ٢٣٢
أعوان الظلمة مع الظلمة في النار..... ٢٣٤
الأخذ على يد الظالم..... ٢٣٥
جل مآسي عالمنا بسبب الظلم..... ٢٣٦
قضية الشعب الفِلَسْطِيني مثل صارخ للظلم..... ٢٣٨

- **أسئلة من ألمانيا..... ٢٤١**
- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٢٦١**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... ٢٧٥**
- **فهرس الموضوعات..... ٢٧٩**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية